وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

T
39A

ثريا عبد الفتاح ملحس

أدب الـــــروح
عنـد العـــرب

(~~٤٠٢~~)

* وهي الرّسالة التي قدّمت لكلية الآداب في الجامعة الاميركية لنيل رتبة ماجستير في الأدب

أيار ســـنة ١٩٥١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهرس عام للمواضيع

الفصل الاول

بيـــن المادة والروح

١ ـ	الصراع بين المادة والروح	٦ ـ ١٠
٢ ـ	نشأة الفلســـــفة	١١
٣ ـ	الفلسفة وعلاقتها بالعلم والدين والادب	١١ ـ ١٤
٤ ـ	الادب وعلاقته بالعلم والديـــن	١٤ ـ ١٦

الفصل الثاني

الادب بين الفرنجة والعرب

١ ـ	كيف فهم الادب الفرنجـــة	١٧ ـ ٢٢
٢ ـ	كيف فهم الادب العـــرب	٢٣ ـ ٢٦

الفصل الثالث

الشعر العربـي القديم

١ ـ	القدماء وكيف فهمـوا الشـــعر	٢٧ ـ ٣٠
٢ ـ	تطور الشعر العربي القـــديم	٣٠ ـ ٣٤
٣ ـ	المجارى الفكـــرية في الشعر العربي القديم	٣٥ ـ ٣٧
٤ ـ	النواحي التي ظهر فيها أدب الروح عند العرب القدامى	٣٧ ـ ٣٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٥ - القيم الروحية في الادب العربي القديم :

الله	.....	٣٩ - ٤٧
الحب	.....	٤٨ - ٥٤
الكمال	.....	٥٥ - ٥٦
الجمال	.....	٥٧ - ٥٨
الحقيقة	.....	٥٩ - ٦٠
الحرية	.....	٦١ - ٦٢
السعادة	.....	٦٣ - ٦٦
الدين	.....	٦٧ - ٧١
الفضيلة	.....	٧٢ - ٧٦
العقل	.....	٧٧ - ٧٩
النفس والروح	.....	٨٠ - ٨٤
الموت والمعاد والخلود	.....	٨٥ - ٩٠

٦ - هل عرف العرب القدامى أدب الروح ؟ ٩١ - ٩٢

٧ - العوامل التي اضعفت أدب الروح عند العرب القدامى :

ا - العقلية العربية	٩٢ - ٩٤
ب - الروح الاسلامية ورجال الدين	٩٥ - ٩٦
ج - فقدان الحرية	٩٦ - ٩٧
د - عدم الايمان بقيمة الانسان	٩٧ - ٩٨
هـ - ضعف النقد	٩٨ - ٩٩

الفصل الرابع

الشعر العربي الحديث

توطئة

١ - في عصرى الانحطاط والانبعاث		١٠٠ - ١٠٢
٢ - في الشعر العربي في القرن التاسع عشر		١٠٢ - ١٠٦
٣ - في الشعر العربي في القرن العشرين		١٠٧ - ١٠٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ا ـ العوامل التي اثرت في الشعر العربي الحديث ١٠٩ ـ ١١١
ب ـ اهم مظاهر النهضة الفكرية العربية الحديثة ١١١ ـ ١١٦

الفصل الخامس

ادب الروح عند العرب
في شعر القرن العشرين

١ ـ القيم الروحية :

الله ..... ١١٧ ـ ١٢٤
الروح والنفس ..... ١٢٥ ـ ١٤٠
الحياة والوجود ..... ١٤١ ـ ١٥١
الجمال ..... ١٥١ ـ ١٥٤
الكمال ..... ١٥٤ ـ ١٥٧
الفن ..... ١٥٨ ـ ١٦١
الحقيقة ..... ١٦٢ ـ ١٦٥
الانسانية ..... ١٦٦ ـ ١٧١
الوطنية ١٧٢
السعادة ..... ١٧٣ ـ ١٧٦
الحب ..... ١٧٧ ـ ١٨٢
الحرية ..... ١٨٣ ـ ١٨٩
الدين ..... ١٩٠ ـ ١٩٣
الموت والمعاد والخلود ..... ١٩٤ ـ ٢٠٢

٢ ـ هل عرف العرب المحدثون ادب الروح ؟ ٢٠٣ ـ ٢٠٤

٣ ـ العوامل التي تقوى القيم الروحية في الشعر العربي الحديث :

ا ـ الثقافة الصحيحة ٢٠٤ ـ ٢٠٥
ب ـ الحرية المطلقة ٢٠٦ ـ ٢٠٨
ج ـ النقد الصحيح ٢٠٨ ـ ٢٠٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المقدمة

غرضي من هذه الرسالة ان ابحث عن القيم الروحية عند العرب في شعر القرن العشرين، وغايتي القصوى أن أنبه ادباءنا العرب الى تقوية القيم الروحية في أدبنا الحديث، وألى ضرورة الايمان بها، ثم أن احثهم على سدّ الفراغ الحائر في أدبنا، ومعالجته حتى يكون لنا أدب عربي قوي خالد، يتكلم بكل لسان، ويحكي حال كل انسان.

غير ان الشوق الملحّ حدا بي أن ابحث ايضا عن تلك القيم الروحية في الشعر العربي القديم، كي يتضح امامنا تطوّر فهم العرب للقيم الروحية منذ كان شعرهم حتى عصرنا الحديث، وقد تناولت الدواوين العربية القديمة المشهورة، ثم اضطررت أن ألم بالفكر العربي القديم الماما سريعا لعلّي ادرك مدى تأثيره في الشعر العربي القديم. أما اذا لم اكن قد وفيت هذا الفصل حقه فحسبي أن أفتح طريقا جديدا لمن يهمه أن يلجه، باحثا فيه عن القيم الروحية في الشعر العربي القديم. وقد اهتممت في كلا البحثين، في الشعر العربي القديم وفي الشعر العربي الحديث، أن أذكر الاسباب التي اضعفت القيم الروحية في الشعر العربي القديم، ثم قصدت الى أن أعالج الادب العربي الحديث مشيرة الى العوامل التي تقوّي القيم الروحية وواجب الاديب العربي الحديث نحوها.

وأريد ان ألفت نظر القارئ الى نقطتين اولاهما: انني ما قصدت ألى بحث قصّي في الادب والفكر العربيين القديمين لذلك اكتفيت احيانا بأن آخذ عن مصادر ثانوية في مواضيع مختلفة، غير آبهة للرجوع الى مصادرها الاوّلية لضيق الوقت، وقد يرد في هذه الرسالة امثلة على ذلك، وثانيهما: انني عندما تناولت الشعر العربي الحديث حاولت أوّلا أن اطالع المجلات العديدة باحثة فيها عن أدب الروح عند الشعراء المحدثين، آخذة عن الشعراء المشهورين وغير المشهورين، ثم تناولت الدواوين العربية، والكتب الأدبية الشعرية، وقد يرى القارئ في رسالتي هذه ابياتا مأخوذة عن المجلات دون الرجوع الى مصادرها الاساسية في الدواوين.

وقد قدّمت لرسالتي هذه بفصل مختصر في الصراع الذي قام بين المادة والروح في الفكر الانساني منذ كان حتى عصرنا الحديث، وتبين لنا كيف كانت الروح في جميع العصور تتفلّت من اوهاق المادة، لترتفع بنا الى الملأ الاعلى، ثم بحثت في علاقة الفلسفة بالعلم والدين والادب، وفي علاقة الادب بالعلم والدين، وأردفته بفصل آخر بحثت فيه عن فهم الادب عند الفرنجة والعرب.

وبعد فلعلني قد حققت بعض غرضي في هذه الرسالة، وبلغت شيئا من غايتي. لقد حاولت أن أطرق ناحية جديدة في بحثي وهي ناحية مظلمة، دامسة تكاد تكون مجهولة في ادبنا العربي الحديث. فهل أستطيع أن أدعي جلاء هذه الناحية ولو بعض الجلاء؟ وهل يكون في هذا النور الضئيل الذي القيته على هذه الظلمة ما ينير السبيل أمام أدبائنا وشعرائنا فيأتي أدبهم أعمق روحا وأكثر خصبا، ليدعي بحق أدبا انسانيا عالميا خالدا؟ ...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصـــل الاول

بيـــن المـــادّة والـــروح

١ ـ الصراع بين المادّة والروح
٢ ـ نشأة الفلسفة
٣ ـ الفلسفة وعلاقتها بالعلم والدين والأدب
٤ ـ الأدب وعلاقته بالعلم والديـــن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

١ — الصراع بين المادة والروح في الفكر اليوناني والفكر الاوروبي".

فتح الانسان عينيه فراى نفسه في حضن الطبيعة ، تكتنفه الجبال والبحار ، وتعصف به الامطار والرياح ، فمد يديه يلمس ما حوله ، حتى اذا كان الليل غفا ، واذا كان النهار قام يسعى ، ياكل ما تخرجه الارض ، ويشرب ما تسكب السماء . وكانت فصول السنة تنتقل به من صيف الى خريف ، ومن خريف الى شتاء ، ومن شتاء الى ربيع ، وكان هذا الحول تارة يرضيه ، وتارة يغضبه ، تارة يملا قلبه غبطة وسرورا ، واخرى رعبا وخوفا ، فاخذ يشعر ان الطبيعة مسكونة بشيء غير المادة التي يحسها ويلمسها ، وتاكد له ان ما وراء الطبيعة شيئا غير منظور ، يحرك الاكوان ويسبب ظواهرها المرعبة ، "ولكن ماذا عساه ان يقول عن ظواهر الكون لكي يرضي خياله الساذج الغرير سوى اساطير ينسجها له الخيال فيرويها لتكون له عقيدة وادبا وعلما . " (١) . كرت عليه السنون وهو يبحث بعينه ويديه عن اقوى قوى الطبيعة ليرمي على كاهلها مسئولية الحاكم الاكبر ، فاوحت اليه المادة ان يبحث ويبحث ، حتى اذا كل وتعب ، رجع الى المادة معتصما بها . وكان اليوناني اول من بحريته الانسانية ، وقوة عقله ، فراح يتامل في الفضاء اللاحب ، ملقيا على الكون وظواهره الغامضة قبسا من نوره فطورا كان يثبت وجود المادة ، وينفي وجود الروح ، وطورا آخر كان يتحرر من المادة ليتمسك بالروح ، حتى اذا فشل رجع مرة اخرى الى المادة يستمد منها املا آخر . لذلك نرى في جميع اطوار الفكر اليوناني ان المادة التي يتكون منها الوجود هي الموحية الى جوهر يرتفع عن المادة في ماهيته . وقد مر الفكر اليوناني في ادوار ثلاثة ، واحد قبل سقراط ، وآخر في عهده ، وثالث بعد ارسطو . وفي جميع هذه الادوار كان الصراع مستمرا بين المادة والروح .

وقد قام المفكرون اليونان في الدور الاول يتاملون في الطبيعة ، باحثين عن اصلها وكنه وجودها فراوا في المادة حقيقة الكون ووجوده ، وفي الماء والحرارة والهواء اصل وجود الكائنات كلها . ولكن الفكر اليوناني لم يقف عند هذه الفلسفة المادية بل تخطاها قليلا الى عالم الروح ، فكانت المدرسة الفيثاغورية ، وهي ذات نزعة صوفية روحية ، تمجد الروح ، وتحيا حياة الزهد والتقشف ثم تلتها المدرسة الايلية التي قامت تبحث عن روح واحدة او اله واحد "لان الكمال لا يتعدد وهو لا يشبه البشر في الصورة او في نوع التفكير ، كله عين ، وكله اذن ، وكله عقل . " (٢)

---

(١) احمد امين وزكي محمود — قصة الفلسفة اليونانية ، ج ١ (مصر ، ١٩٣٥م) ص: ٢

(٢) احمد امين وزكي محمود — قصة الفلسفة اليونانية ، ص: ٤١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولم يلبث الفكر اليوناني في هذا الدور بين مد وجزر حتى رجع الى المادة يمجدها فكان المذهب الذرى الذى يرى الوجود مكونا من ذرات تتصل وتنفصل ، ثم طغت على اليونان المدرسة السوفسطائية التي تستطيع ان تجيب على كل سوال ، عن كل ما يسال ، فاصبح الانسان هو المقياس الاول لكل شيء ، وحاز بذلك على التفاتة المفكرين ، حتى اذا جاء الدور الثاني انحصر الاهتمام في الانسان لا ما في حوله من مواد ، لان الانسان لغز ، ويجب ان يحل هذا اللغز ، ولان للانسان قيمة في الحياة ولعقله المكان الاول ، فهو يفكر تفكيرا حرا ويبحث عما يشاء ويخلق ما يشاء من آلهة ، فما هي حقيقة هذا ؟ حاول سقراط ان يبحث في حقيقة النفس البشرية وسعى يعرف نفسه بنفسه ، واشتهرت عنه هذه العبارة "اعرف نفسك بنفسك" ، التي رفعت قيمة الانسان ، وعززت مكانته ، فقام يبحث في اعماقه ويتامل في وجوده ، وطرح الطبيعة وما فيها لانه شعر ان الانسان ارقى الكائنات ، يستطيع بعقله ان يتوصل الى المعرفة التي هي فضيلة بحد ذاتها . وهكذا "رد سقراط الفلسفة الى مجرد تامل او بالاحرى مجرد نظر في حياة الانسان الباطنية ، او النفس الانسانية" (١) وبعد زمن تمخض الفكر اليوناني في سيره هذا عن شاعر فيلسوف هو افلاطون الحكيم جاء يبحث عن الحقيقة بواسطة المثل ، ويحاول ان يدرس اسرار الانسان وغوامضه ، فجرد المادة ، وتوغل في الروح والمثل العليا حتى بلغت الروح مجدها في عصره ، وقد قال افلاطون ان المعرفة "تصعد من المحسوس الى المعقول وتخضع الاول للثاني" (٢) . وقد جاء بعده ارسطو ، وقرب المادة الى الروح ، فامتزجت الناحية الطبيعية بالناحية الذاتية .

وفي الدور الثالث ، سادت "على الفلسفة النزعة الذاتية ، دون الموضوعية ، فان الرواقيين ـ Stoics ـ والابيقوريين ـ Epicureans ـ قد شغلوا بالانسان ومصيره" (٣) ولم يقروا وجود حقيقة الا عن طريق حواسه" ، فاصبحت الحياة العملية وحدها هي المقياس ، فلا يابهون كثيرا في القيمة العلمية لذاتها ان لم تكن وسيلة الى الحياة العملية" (٤) . فامتاز هذا الدور بالعلوم ، وكان اخصب عصور العلم القديم ، في الطب ، غير ان هذا الدور اخذ يضعف ويشح حتى انتهى بمذهب اللاادرية ، التي تنكر العلم واليقين ، "فالحكمة في العدول عن الايجاب والسلب والامتناع عن الجدل والوقوف عند الظواهر" (٥) . وقد امتاز هذا الدور ايضا "بانتشار الثقافة اليونانية في بلدان البحر المتوسط ... فتعارف فيه العالم اليوناني والعالم الشرقي ، وتاثر كل منهما بالاخر او شارك الشرقيون لا سيما الساميون منهم في العلم والفلسفة ، وقامت

---

(١) اسماعيل مظهر ـ فلسفة اللذة والالم (مصر ، ١٩٣٧م) ص: ٣٤
(٢) يوسف كرم ـ تاريخ الفلسفة اليونانية (مصر ، ١٩٣٦م) ص: ٩٨
(٣) اسماعيل مظهر ـ فلسفة اللذة والالم ، ص : ٣٤ ـ ٣٥
(٤) احمد امين وزكي محمود ـ قصة الفلسفة اليونانية ، ص : ٣٢٧
(٥) يوسف كرم ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص : ٣١٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في الشرق حواضر علمية جديدة هي في مقدمتها الاسكندرية " (١) ، حيث انبثقت عنها الافلاطونية الحديثة ، وهي التي انبرت تبحث عن علة وجود المادة وجوهر الروح والانطلاق النفس من سجنها الى عالم الحقيقة الازلي .

وبعد احد عشر قرنا ثكلت الفلسفة اليونانية رجالها ، واقفرت اثينا من العلماء كما ان الاسكندرية فقدت مكانتها ، وقد تناول الشرق الفلسفة اليونانية ونقلها الى العربية ، ثم ترجمت الكتب العربية الى اللاتينية ، وذاعت في الغرب في القرون الوسطى ، وكان رجال الدين في ذلك الحين حملة العلوم والفكر ، فاكبوا على الفلسفة يدرسونها ليثبتوا صحة الدين ، غير ان رجال الفكر شعروا بالحاجة الملحاح الى ثورة ، وكانت ثورة "جارفة عنيفة ، قصدت الى تحرير الحياة مما اصابها ابان العصور المظلمة من عقم وجمود ، وارادت ان تنهض العقل من عثاره ، وان تنفخ فيه روح النشاط والحرية ، فالتمست له غذاء في آداب اليونان والرومان " (٢) . وقد قام على راس هذه الحملة المباركة بترارك (Petrarch) ودانتي (Dante) منادين بالثورة على الكنيسة ، ووجوب حرية الانسان ، هكذا نفض الغرب عنه غبار الخوف والاستسلام ، وقام ينشد المعرفة اينما كانت ، فالمعرفة لا تكون الا بالتجربة الانسانية ، والانسان ذو قيمة عظيمة ، وعقل كبير راجح ، وعلى هذا الاساس قامت الفلسفة الاوروبية الحديثة وعلى راسها ديكارت (Descartes) وبيكون (Bacon) وبدا الفكر الانساني يحيا "حياة جديدة اساسها اجلال العقل والحكم بعصمته " (٣) واصبح الانسان هو الكائن الاعلى الذى يستطيع ان يعرف كل شيء بالتجارب والاختبارات . وبهذا امتزجت المادة بالروح او الجسم بالعقل ، وهب ديكارت يبحث عن علاقة الجسم والعقل او المادة والروح ليوفق بينهما ، اما سبنوزا (Spinoza) فكان مغمورا بروحانية الكون ، مؤمنا بوجود روح كبيرة تلف الكائنات كلها ، معتقدا ان الله حال في كل شيء ، والله هو المحرك لكل شيء في الكون ، وقد قام لوك (Locke) يدعو الى مذهب التعدد ، ويفرق ما وحده سبنوزا ، معترفا بشخصية الفرد وقيمة الفرد بعد ان ذوبها مذهب الحلول السبنوزى .

وكانت المادة لا تزال تتارجح ، وكانت الروح لا تزال قلقة تترنح حتى قام بركلي (Berkeley) ونفى المادة نفيا قاطعا ، واثبت الروح او العقل ، وقال ان العقل هو الذى يبعث المادة الى الوجود ، وجودنه لا وجود للمادة . واراد بذلك ان يصد التيار المادى الجارف الذى طغى على الفكر في عصره ، وان يثبت وجود الله مصدر الروح . ولكن التيار المادى يعلو فنسمع صوت هيوم (Hume) ينادى بمذهب التجربة ، ويؤيد المادة ، ومن تيار آخر نسمع صوت روسو (Rousseau) ينادى

---

(١) يوسف كرم — تاريخ الفلسفة اليونانية ط ١ ص : ٢٧٥

(٢) احمد امين وزكي محمود — قصة الفلسفة الحديثة ج : ٢ (مصر ، ١٩٣٦م) ص : ٢

(٣) محمد قلاب — المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة (القاهرة ١٩٤٨م) ص : ٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بتمجيد الشعور الفطري الساذج ، والرجوع الى الطبيعة ام الانسان الاول . ويقول كانت (Kant) موفقا بين التيارين ، بين المادة والروح ، اذ يشعر ان الانسان لا يستطيع ان يحيا دونهما . فتقف المادة والروح معا ، تبحثان عن مخرج يفتح لهما آفاقا واسعة وسهولا شاسعة ، فتتسرب المادة من القرن الثامن عشر الى القرن التاسع عشر منتصرة ، تاركة خصمها ، ناشرة اجنحتها في الفضاء بالغة اوجها في مذهب النشوء والارتقاء ، ومذهب دارون (Darwin) الذى يقوم على تطور الكائنات من "البسيط الى المركب ، ومن المتجانس الى غير المتجانس ، ومن غير المحدود الى المحدود" (١) ، فعرف هذا العصر سبنسر (Spencer) وكونت (Comte) ودركيم (Durkheim) وهيجل (Hegel) وغيرهم .

وقد قام رجال الفكر الاوروبي الطليان والالمان والانجليز والفرنسيون يشتركون مع الانقلاب الاجتماعي الذى احدثته الثورة الفرنسية ، فتغنى الانسان باخيه الانسان ، وقام ينشر على مسامع الكون الاخاء والمساواة والعدل ، واندفع يسخر المادة ويقويها لتكون خير وسيلة لسعادة البشرية ، واطمئنانها في الحياة . زد على ذلك ان الفيلسوف الالماني نيتشه (Nietzche) سعى ان يجعل الانسان انسانا قويا صحيحا ، يصعد على سلم الارتقاء حتى يصل الى السبرمان (Superman) ، وقد اصبحت الفلسفة هذه فيما بعد ، وحيا لنظم سياسية صارمة ، واصبح الانسان قويا مسيطرا . ولما جاء القرن العشرون انتصر الانسان بآلاته واختراعاته ، وقوي نفوذه ، وسيطرته على الطبيعة ، فاخذ يستخدم الالة وسيلة لغرضه وراحته ، وكانت الحرب العالمية الاولى دافعا قويا للانسان ان يبحث جادا عن مواد جديدة ، لتعزيز قوته الآلية ، فساد في العالم القلق والاضطراب ، والفساد الخلقي ، وراح الانسان يتمرد على النظم ، والقوانين مناديا بحريته المطلقة في ان يفعل ما يشاء متى شاء . فعمت الفوضى في البلاد ، وقد مثلت الوجودية في فرنسا هذه الحالة خير تمثيل . وهكذا طغت الفلسفة المادية على القرن العشرين ، ونشرت مذهب الذرائع الذى اساسه التجربة ، والتجربة فقط ، غير آبه بالوسيلة التي تقود الى تلك النتيجة . ولم تزل الفلسفة المادية تتغلغل في كيان عصرنا حتى بلغت ذروتها في العصر الذرى الذى يؤمن ايمانا كليا بقوة الانسان ، وقوة سعيه وتجاربه واختباراته ، فنرى ان الذين صاغوا القرن العشرين هم رجال العلم والعمل "وليس فيهم احد من رجال الفن او الادب او الفلسفة ... لان هذا العصر اولا وقبل كل شيء كان عصر العاملين لا المفكرين ، وعصر العمل لا الفلسفة" (٢) واراد بذلك ان يصد التيار المادى .

---

(١) ادوار فارس — المقتطف ، مج ٧٧ ج : ٢ ، ص: ١٤٧

(٢) ارثر شلسنجر ، وماركيز تشايلس (ترجمة محمد قطب) مجلة الكتاب السنة الخامسة ج : ٥ ، ص: ٤١٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نرى مما تقدم كيف تطور الفكر الانساني من العصور القديمة منذ كان الانسان الى الفكر اليوناني ، ومن الفكر اليوناني الى الفكر الاوروبي ثم الى المدنية الحديثة ، وخلال هذا التطور نجد الانسان طورا يمجد المادة وطورا يمجد الروح ، واحيانا يمجدهما معا . فكان الفكر يتقلب على تيارات جارفة ، وفي كل طور نجد رجال الفكر هم الذين يديرون دفة الحكم في العالم ، فمن ثورات فكرية الى ثورات اجتماعية وسياسية ، والى اتجاهات فنية وادبية جديدة ، فهل الفلسفة هي السبب الاول في تحرر الانسان من ربقة العبودية ؟ اقول نعم ، لان الفلسفة حررت الانسان من الجهل فقام يسعى وراء المادة فكان العلم ، ولان الفلسفة حررته من ربقة الدين فقام يخلع عنه رداء مهلهلا يسعى وراء الروح المطلقة فكان الفن وكان الخلق والابداع ، ... ولان الفلسفة حررت الانسان من الانسان فقام يسعى ليعرف نفسه ويسبر غوره ، ويؤيد شخصيته وقيمته ، فكانت الانسانية ... وفي كل دور نرى الفلسفة حرة ، طليقة ، تحث الانسان الى السعي المستمر في سبيل المعرفة ، وتحرره من التجمد الفكري القتال ، فما هي الفلسفة ومن هو الفيلسوف ؟ وما علاقة الفلسفة بالعلم والدين والادب ؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ ـ الفلسفة

يقول دريك (Drake) ان الفيلسوف هو محب الحكمة ، والحكمة لا تكون الا بالمعرفة العميقة وبالبحث عن الحقيقة ، والحقيقة ليست في جميع المعارف ولكن في غربلتها وتكريرها ، ويشبه دريك الفلسفة بقطرة من العسل ، لم تكون الا بعد مرورها في مراحل مختلفة . (١) .

فالفيلسوف يتامل في الكون ، ويقف موقف الشاعر الذي يحس بكل جارحة من جوارحه ، فيسجل شعوره ، ويعبر عن غبطته وطربه ، ويغربل حتى اذا شمل الكون كله كان فيلسوفا ، واذا استقل بمعرفة شيء معين في الكون كان عالما ، واذا بحث عن ظواهر الله كان رسولا نبيا ، ففي كل طور نرى سعيا متواصلا وراء المعرفة عن طريق العقل وعن طريق الشعور والاحساس . ونرى من ذلك ان في الفيلسوف شاعرا وعالما ونبيا ، وان المعرفة كانت واحدة تعرف بالفلسفة فانفصلت عنها المعارف كل في حقله ، فما علاقة الفلسفة بالعلم ؟ وما علا قة الفلسفة بالدين وما علاقة الفلسفة بالادب ؟ ...

٣ ـ الفلسفة والعلم

قلت ان المعرفة كانت واحدة تدعى الفلسفة ، فانفصلت عنها تدريجيا المعارف العديدة ، فالعلم جزء من الكل . فكيف يفترق الفرع عن الاصل وكيف يلتقيان ؟

ان العلم ـ على حد تعبير دريك ـ يهتم بالمظاهر الخارجية ، بينما الفلسفة تتغلغل بعمق وتصور لنا علم الحقيقة . (٢) وان كل علم ـ على قول احمد امين وزكي محمود ـ "يلتزم جانبا واحدا من الكون ، فاما الفلسفة فتتخذ من الكون باسره موضوعا لدرسها ، وهي تنشد توطيد المعرفة ما استطاعت اليه سبيلا" . (٣) ويقولان ايضا ان "العلوم على اختلافها تفرض وجود الكون وتسلم ببعض الاسس تتخذها مبدا لابحاثها ، فاما الفلسفة فتنكر هذا التسليم اشد الانكار ، وتصر على ان تغوص الى ابعد الاغوار ، حتى تصل الى جوهر الوجود" . (٤) . اما الفلسفة فتحاول "ما استطاعت الا تربط الفكرة المعينة بجسم من الاجسام ، بل تريد ان تصل الى الافكار الخالصة المجردة" (٥) وان تدرس ـ على حد تعبير دريك ـ القيم كما تدرس كل شيء في علاقاتها الكبرى ، وان الفلسفة لا توسع معرفة الانسان بل تنقيها وتكملها ، بينما العلم هو شيء مفصول محدود يدرس على حدة . (٦) . والفلسفة تاخذ نتائج

---

(١) D. Drake - Invitation To philosophy (Cambridge, 1933) preface: v

(٢) Ibid, Preface : vi

(٣) احمد امين وزكي محمود ـ قصة الفلسفة اليونانية ـ ص : ٨

(٤) المصدر نفسه ، ص : ١٣

(٥) المصدر نفسه ، ص : ٢٤

(٦) Drake, Invitation To philosophy, preface: viii

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جميع العلوم وتوفق بينها لترينا هذا العالم المتعدد ، وهذه الحياة الجارية التي تحتوى على تيارات مختلفة عديدة ، وتيارات معاكسة ، كعالم واحد ، وتبسط امام اعيننا منظرا شاملا للحياة (١) ، واما العلم فينفصل عن هذا المنظر العام ليهتم بحقله فقط ، باحثا ، مختبرا ، منقبا عن حقيقة محدودة ، تتغير بتغير التجارب وقوة الملاحظة . فنرى — على قول ابراهيم مطر — "عناصره من نافذة الكيمياء وتدرس احياءه من نافذة البيولوجيا ، ونتفهم الانسان من نافذة البسيكولوجيا ، وندرك حقيقة قوى الطبيعة من نافذة الطبيعيات ، ولكن يتعذر علينا ان نرى العلاقة بين جميع هذه ، والواحدة التي تشترك بين شتائتها " (٢) .

وقد نسمع اصواتا تدعو الى التعاون بين الفلسفة والعلم ، والى السير بهما معا في الحياة ، "فالتعاون بين العلم آية الحياة الفكرية في هذا العصر . ولا يسعنا الان ان نحسب احدهما وحدة قائمة بذاتها منفصلة عن الاخرى ، بل هما عضوان حيان في جسم حي هو جسم المعرفة الانسانية " (٣) . وقد جعل فؤاد صروف العلم والفلسفة في عناق واحد ، وقال ان العلم كان متصلا بالفلسفة اتصالا وثيقا ، ثم افترق عنها ، غير ان القرن العشرين قد قرب الشقة بينهما (٤) .

وهناك جماعة تنفي الفلسفة التي تحتاج الى كلام مطول ، وتفسير مسهب وقد يكون معقدا ، مبهما ، فالمستقبل اليوم للعلم وللعالم وحده ، وعلى حد تعبير شبلي الشميل "الى العالم الطبيعي والحاسب الرياضي ، والعامل الميكانيكي اقصر كلاما ، وافصح بيانا ، وابسط اسلوبا ، وايبت حجة ، واصدق من الاديب اللغوى ، والعالم اللاهوتي ، والفيلسوف المنطقي ، وسائر العلماء " (٥) .

ومهما يكن من القول فان العلم جزء من الفلسفة ، يشترك مع الفلسفة في البحث والتحليل ، للوصول الى الحقيقة ، غير ان حقيقة العلم معينة محدودة ، وحقيقة الفلسفة شاملة مطلقة ، وكلاهما يهدفان الى راحة البشرية ، فالعلم يهدف الى راحتها المادية ، والفلسفة تهدف الى اطمئنانها الروحي .

الفلسفة والدين

تامل الانسان في الطبيعة ، وفي ظواهرها المختلفة العديدة ، فاحس ارواحا تعمر الكون ، لا بد لها من يد في تسييره ، فسلم وآمن ، وبعد تامل عميق خرج الانبياء من شرقنا هذا ، بآراء فلسفية مختلفة ، عن الخلق وعن الله ، فتوحد الخالق ، وسلم به الناس تسليما ، وآمنوا ايمانا جازما بكل ما اوحي الى انبيائه ، فرفضوا الجدل فيه والبحث عن حقيقته ، فجمد الدين ، وانكمش على ذاته يكفر الفلسفة . غير ان اليونان لم يصابوا

---

(١) Drake - Invitation To Philosophy, Preface : X

(٢) ابراهيم مطر — المقتطف ، مج ٧٦ ج ٢ ، ص: ١٧١

(٣) ؟ المقتطف مج ٧٤ ج ٤ ، ص: ٣٩٤

(٤) فؤاد صروف — المقتطف ، مج ١٠٧ ج ٣ ، ص : ١٧٦ — ١٨٢

(٥) شبلي الشميل — مجلة الزهور — السنة الاولى ج ٤ ، ص : ١٦٤ ، ١٦٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بهذا الجمود لوثنيتهم التي سمحت باتخاذ آلهات عديدة لها ما للانسان من شعور واحساس، وعليها ما على الانسان من واجبات، فلم تكبت رغائبهم الفنية، ولم يسيطر على قلوبهم الخوف والفزع، كما سيطر على العقل السامي . فالاله السامي اله قوى جبار، يبطش بيده كل شيء ، "قاض عادل واله يسخط كل يوم" (١) ـ فاذا غضب ثار وانتقم . وقد تغيرت فكرة الله عند المسيح، واصبح الله حبا ونورا، فتحرك السامي قليلا من كابوس الاله المارد، غير ان المسيحية لم تتحرر الا بعد ان اتصلت بالفلسفة مباشرة، وكان اول اتصالها بها عندما حمت الكنيسة الحياة الفكرية التي كانت تفر من وجه الهجوم البربري، والتي كادت تمحى على ايديهم السفاكة، بذلك ظلت الفلسفة الغربية زمنا طويلا تؤيد العقائد الدينية وتحددها وتنظمها، وتبحث فيها بحثا عميقا، بعد ان كانت مجموعة عقائد مسلما بها كل التسليم، لا تقبل الشك ولا النفي . وفي الواقع ان الفلسفة احدثت ثورة على الدين، فلقح الدين المسيحي بالفلسفة، وتبناها فكانت المسيحية الاوروبية اوسع مدارك من المسيحية التي ولدت في الشرق، وبقيت على ما هي .

الفلسفة والدين كلاهما يبحث عن المثل العليا وعن الحقيقة المطلقة، غير ان الفلسفة لا تقف جامدة امام ما يذهلها ويرعبها، بل تاخذه وتحلله، حتى تصل الى جوهره، وبهذا تلتقي والعلم . واما الدين فمن طبيعته الايمان والخشوع امام فوامض الحياة، وبهذا يلتقي والشعر، غير ان الشعر من طبيعته الانطلاق والتمرد، والدين من طبيعته الاستسلام والهدوء . فالدين يحتاج الى الفلسفة، دونها يكون جامدا متزمتا . فالفلسفة تمد الدين بالقوة، وتصقله مما علق به من آراء سخيفة، وتقاليد بالية، لا يقرها المنطق ولا يقبلها العقل، وينبغي على الدين ان لا يكون عدو الفلسفة، وهو ـ على قول دريك ـ في جوهره روح، شعلة داخلية مصدرها القلب والارادة، .. لا يعارض الفلسفة التي مصدرها العقل والادراك (٢) . فمن الواجب ان يوفق بين الفلسفة والدين، وقد كان لمحمد عبده اثر طيب في التوفيق بين الدين والفلسفة، وقد تاثر باستاذه جمال الدين الافغاني . فيرى محمد عبده ان "العقل وحده لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم بدون مرشد الهي، كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات، والعقل هو صاحب السلطة في معرفة تلك الحاسة وتعريفها" (٣) .

الفلسفة والادب

ان الفلسفة اقرب الى الادب من العلم، فالادب يوحي الى الفلسفة، غير ان الفلسفة لا تقف عند الوحي لتسجيله، بل تغوص باحثة في اعماق الاعماق لتعلم ما يراه الشاعر . وقد "قال الفيلسوف للشاعر: اني اعلم ما تراه، وقال الشاعر للفيلسوف: اني ارى ما تعلمه . مثل هذا الشاعر وهذا الفيلسوف لا يختلفان" (٤) .

---

(١) التوراة : المزمور السابع عدد : ١١
(٢) Drake - Invitation To Philosophy, Preface: xvi
(٣) محمد عبده ـ مجلة المقتطف مج ١٠٥، ج ١ ص : ١٤
(٤) امين الريحاني - انتم الشعراء (بيروت، ١٩٣٣) ص : ٣٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هكذا يرى امين الريحاني الفيلسوف والشاعر، والفلسفة ـ على قول دريك ـ اكثر ميلا الى طبيعة الشعر. (١). ويقول امين الريحاني موفقا بين الفلسفة والادب "ان بين الشعر الكوني الروحي وبين الفلسفة التي تقرن المادة بالروح صلة متينة ونسبا قديما، يمت الى افلاطون، وهوميروس، ومن تقدمهما، والحق يقال في فلسفة افلاطون شعرا صافيا، وفي شعر هوميروس فلسفة سامية (٢). اذا، اينبغي على الشاعر ان يكون فيلسوفا مفكرا؟ يقول كولردج (Coleridge) "لم يستطع إنسان ان يصبح شاعرا كبيرا دون ان يكون فيلسوفا عميقا، لان الشعر نتاج معارف الانسانية جميعا، فالعقل والشعور يمتزجان لذلك كانت الفلسفة ـ كما قال احد النقاد ـ شبحا للشعر، وكان الشعر تجسدا للفلسفة. (٣). وكما قال سقراط ان الشعر اكثر فلسفة من الفلسفة (٤) ـ

راينا مما تقدم ان الفيلسوف والشاعر ينهلان من معين واحد، وان كل واحد منهما يعبر عن ذلك المعين باسلوب خاص، فيحرك الشاعر قلب الحياة بلغته الموسيقية العذبة، ليلقي على الظلمات اشعة ونورا، ويمنح الانسان فبطة وحبورا، هكذا يفعل الفيلسوف الشاعر، والشاعر الفيلسوف، اللذان يحركان القلب والعقل معا، فتهتز الانسانية جمعاء، مترنمة بالانشودة الخالدة. فالشاعر في جميع الادوار، هو الفاتح الاول، بيده السيادة الاولى، الا وهو خياله الخصب المبدع، ليفتح قلوب البشر على جمالات الكون، ويرفع نفوسهم الى المثل العليا، طارحين وراءهم المادة وترهاتها، فالصلة متينة بين الفلسفة والادب، والنسب قريب. فما هي الصلة بين الادب والعلم، وبين الادب والدين ؟؟

٤ ـ الادب والعلم

اتضح لنا مما سبق ان الشعر هو اول طور للمعرفة، فالشاعر يقف متاملا، مسجلا ما يختلج في نفسه من احساس وشعور، والعالم يستوحي احساسه وشعوره ليبحث ويدقق او يسجل النظريات والاستنتاجات، فيضع القوانين والقواعد. وقد نرى ان كل فن من الفنون يصبح علما فيما بعد. فالشاعر يعبر عن شعوره بقصيدة والرسام بلوحة، والنحات بتمثال، والموسيقي بالحان، ثم يجعل الباحث المدقق من هذه الفنون قواعد يسير عليها من اراد ان يتعلم، فينبثق عنها علم العروض، وكيمياء الالوان وعلم التشريح، وعلم الالات والنوتات. ثم نرى الفنان نفسه يرجع الى هذه القواعد، يدرسها درسا دقيقا، فكلما زاد اطلاع الفنان على علم،

---

(٤) ~~امين الريحاني ـ انتم الشعراء (بيروت ١٩٤٣)~~ Preface (1923)

(١) Drake, Invitation To Philosophy, Preface: xi

(٢) امين الريحاني ـ انتم الشعراء ـ ص: ٢٩ ـ ٣٠ ـ

(٣) حسن لطفي المنفلوطي ـ مجلة الكتاب، السنة الخامسة ج ٦، ص: ٥١٣، ٥١٥.

(٤) F.L. Lucas - Ten Victorian Poets, (Cambridge, 1940) Preface: xiii - xiv

This file was downloaded from QuranicThought.com

مؤسسة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

زاد اتقانه لفنه ، وكلما زاد اطلاع الاديب على العلوم زاد عمقه وقوى ادبه ، وهكذا ، فالفنان يحتاج الى العلوم ليأخذ منها المواد الخام لفنه ، والعلم كما قال سبنسر "خادم للفن والادب" (١) . وقد قال انشتين (Einstein) في هذا الصدد : " ان شعوري بجمال الطبيعة ، وكل ميولي الفنية نشأت نشوءا منسجما مع الميل الى البحث العلمي . وانا اعتقد ان وجود الواحد منها دون الاخر متعذر . انني وجدت الواحد متحدا بالاخر ، في اصحاب العقول المبدعة الذين عرفتهم " (٢) .

فالعلم والفن ضروريان للحياة ، ويراد بالعلم على حد تعبير ابراهيم مطر ، "ان يسبر غور هذا الكون من شتيت مظاهره ، وبالفن ان يتم حرية الحياة ، وان يلج بخيالاته في سماوات الغبطة والكمال" (٣) . والعلم يزودنا بالحقائق ويطرد من رؤوسنا — على قول امير بقطر — "اباطيل العادات واضاليل التقاليد ويقودنا للبحث عن الحقيقة اينما وجدت والفن الجميل يصقل لنا الحياة ويزينها ويزخرف لنا المنتجات العلمية وينمقها ويرسم لنا طريق السعادة والسرور والغبطة .. ويصور لنا الجمال بكل ما تنطوى عليه الكلمة من المعاني السامية" (٤) . لذلك يحلق الفنان دائما الى الحقيقة "مقدما على الكبير لانه كبير ، ومتلهفا على الجميل لانه جميل ، فيتقنص لنا السحر" (٥) ، ويتركنا في نشوة مترفعين عن دنايا الارض ، معتصمين بالمثل العليا ، جادين في طريقنا الى المجد والكمال .

لذلك نرى ان الشعر لا ينافي العلم ، وان الشعر كما قال شيللي (Shelley) نقطة ارتكاز المعرفة ، ومحيطها في الوقت نفسه ، وهو الذى يفهم كل العلوم واليه وحده يجب ان ترجع كلها (٥) ، وباستطاعة الشاعر ان ياخذ من العلم ويحطيه ، ان ياخذ من الحقيقة العلمية ، فينفخ فيها روحا من روحه ويكسوها جمالا من مشاعره فتصبح حقيقة ادبية ، وفي ذلك يقول ورد سورث (Wordsworth) " ان مكتشفات الكيماوى ، او العالم النباتي ، او العالم بالمعادن ، يمكن جعلها مواد صالحة للفن الشعرى ، اذا تيسر جعل هذه المكتشفات شبيهة بالكائنات الحية التي تفرح وتتالم " (٦) . وبالتالي يستطيع الفن ان يكون موحيا للعلم والبحث والتدقيق .

---

(١) ابراهيم مطر — المقتطف مج ٧٦ ج ٢ ص : ١٧٢
(٢) انيشتين — المقتطف مج ٧٧ ج ٢ ص : ١٢٦
(٣) ابراهيم مطر — المقتطف مج ٧٦ ج ٢ ص :
(٤) امير بقطر — مجلة الهلال مج ٤١ ج ٣ ص : ٣٦
(٥) ابراهيم مطر — المقتطف مج ٧٦ ج ٢ ص : ١٦٦
(٦) Shelley - Defence of Poetry (London, ?) P:101
(ترجمة حسين نصار) — مجلة الكتاب ، السنة الخامسة ج ٦ ص : ٥٢٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الادب والدين

الادب شعور وايمان ،وكذلك الدين شعور وايمان ، فالعلاقة بينهما حميمة ،لان للدين طبيعة الشعر ،فكلاهما شخصيّ وعاطفيّ ، وفي ذلك يقول دونللي (Donnelly) ان في الدين يكون الشعور عبادة ، وفي الفن يكون مجسدا للمثل ... وكلاهما شخصيّ يتخللها الشعور والاحساس (١) . والادب والدين يهدفان الى مثل عليا ، ويبحثان عن الحقيقة القصوى. غير ان الادب حرّ طليق ، والدين مقيّد بتقاليد . وللادب طبيعة النبوّة ، وللدين طبيعة الشعر . فنقرأ في التوراة اناشيد سليمان ، ومزامير داوود ، كما نردّد في الانجيل اقوال عيسى ، وفي القرآن سور محمّد . كلّها صادرة في قلب الانسانية المعذّب . فالشاعر هو النبي الذي يحمل الى البشر رسالة الجمال ، فتسمو النفس البشرية ، وتترفع عن ثرّهات الدنيا . والنبي هو شاعر يحمل الى البشر رسالة المحبة ، فتأتلف القلوب ويشيع الاخاء . فالشعر هو المعبر عن الدين ، كما ان الفنون —على حدّ تعبير لوبون (Lebon) "لغة المشاعر والروح الديني " (٢) . والدين هو شعور يدفع الى الفنّ ، والفنّ —على قول دونللي — متصل بأساسه بالدين ، وعليه يترعرع ، كما ان الوحي الالهي يدفع الانسان الى الايمان بالله، وطلب الخلود والحقيقة (٣) .

فالادب والدين متعانقان ، لا يختلفان في الجوهر ، لكنهما يختلفان في طريقة اداء رسالتيهما ، وفي ذلك يقول كارليل (Carlyle) ان النبي يحمل الى البشر "رسالة الواجبات ، اما الشاعر فيحمل لهم رسالة الجمال . ذلك قرأ السرّ العظيم فأنار للعالم طريق الناموس ، وهذا قرأه ، فأنار للعالم طريق المحبة " (٤) .

نرى مما تقدم ان في الفلسفة والعلم والدين طبيعة الشعر ، وبينهما جميعا علاقة متينة ، ونسبا قريبا . فالانسان يندفع الى المعرفة يتأملها ويحسّها ، والشاعر المثقف العميق لا يرضى الّا ان يمزج شعوره بالافكار الانسانية السامية التي تحفظ لأدبه قوة عالمية مستمرّة ، ولا بدّ لشعره من ان يبحث في اعماق الانسان ليسمو به الى الروح المدركة الواعية ، حتى يصبح في جوهره الها ، يشارك الله في الخلق والابداع ، ومثل هذا الشعر روحيّ خالد . ومثل هذا الشاعر فيلسوف عالم ، فمن هو الشاعر ؟ وما هو الشعر ؟ وكيف يفهم الادب ؟ ...

---

(١) F.P. Donnelly – Art Principles In literature (Newyork, 1923) P: 31

(٢) جوستاف لوبون (ترجمة احمد زغلول) جوامع الكلم (مصر ، ١٩١٤) ص: ٦٣

(٣) Donnelly – Art Principles In literature, P: 39

(٤) Th. Carlyle – On Heroes, Hero worship and Heroic In History (Britain, 1841) P:

(ترجمة المورد الصافي) : سحر الشعر ج ١ (مصر ، ١٩٢٢) ص: ٢٤٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني

الادب بين الفرنجة والعرب

١ ـ كيف فهم الادب الفرنجة
٢ ـ كيف فهم الادب العرب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

— كيف فهم الادب الفرنجة والعرب

الادب الحقيقي يتغلغل في القيم الروحية ، يمجدها وينشدها ، ليرفع النفس البشرية الى المثل العليا ، والشاعر الحقيقي يقف متأملا في الكون ، وفي النفس الانسانية . ومن اساطير اليونان ان الشاعر اورفيوس (Orpheus) استطاع ان يحرك الجماد بقوة اشعاره ، وسحر غنائه . وان مدرسة صوفية يونانية قامت بأسرها تستوحي شعره (١) . ففي الشعر غذاء للفلسفة وفيه دافع للبحث المستمر عن المعرفة . والاديب حساس ، ذو شعور مرهف دقيق ، لا يقف جامدا امام التيارات الطبيعية والاجتماعية العديدة المختلفة ، بل يسمعنا صداها ممتزجة بروحه الكبيرة ، والناس عامة شعراء بطبيعتهم ، ولكن كما يقول كارليل " في درجات متفاوتة ، وما النوابغ منهم الا الذين وصلوا الى اعماق الوجود ، فرأوا عالم تره عين ، وسمعوا ما لم تسمع به اذن . فهم فوق البشر لانهم اقرب الى الالهة منهم ، وهم معبود الاجيال لان الاجيال لا تدرك غايتهم " (٢) .

ففي كل عصر نسمع اصوات الادباء عاليا في السماء ، تمجد الانسان ، وتعترف بقيمة الوجودية ، ثم ترتفع هذه الاصوات من عصر الى عصر ، حتى تبلغ الذروة في الثورة الفرنسية ، فتصطبغ الآداب بحب الانسانية ، وتندفع النفوس الكبيرة تنادي بالوحدة الانسانية التي تقوم على العدل والاخاء والمساواة ، وطرح الحقد والبغضاء . فيقف الانسان في الطبيعة ، ليرى فيها ما يرى في نفسه من غوامض واسرار ، ويشعر بالشبه الكبير بينه وبين الطبيعة وكائناتها . فهي تفرح وتتألم كما يفرح ويتألم ، وهي تحيا وتموت كما يحيا ويموت . فلم لا يقرأ هذا السفر الضخم ، ولم لا يكتشف اسراره ؟ ، ويكب الشاعر الكبير على نفسه يقرأها ، ثم على الطبيعة يطالعها ، ويجردها من ماديتها ، ويرفع النفس البشرية الى المثل العليا ، فهل للأدب طبيعة السمو والتجريد ؟ هل للأدب طبيعة روحية ؟ وكيف تكون طبيعة الشعر ؟ وما هي وظيفته ؟ لأدباء الغرب ونقاده آراء جليلة في فهم الادب . وسنرى فيما يلي كيف فهم الفرنجة الادب .

١ـ كيف فهم الفرنجة الادب

الادب — طبيعته ووظيفته

للأدب عند الفرنجة طبيعة النبوة ، وهو مقدس سماوي ، وحقيقة ازلية ، وهو سجل لأعقل انسان وارقاه ، ويقول شيللي في دفاعه عن الشعر ، ان الشعر سجل لافضل اللحظات وامتعها ، لخير العقول وافضلها ، وانه حقيقة مقدسة سماوية ، وهو مركز المعرفة ومحيطها يفهم كل العلوم ،

---

(١) احمد امين وزكي محمود — قصة الفلسفة اليونانية ص : ٣٢

(٢) Th. Carlyle — On Heroes, Hero-worship, PP: 83-84

(ترجمة المورد الصافي) : سحر الشعر ج ١ ص : ٢٤٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واليه يجب ان ترجع كلّها ... انه يخلد افضل ما في الدنيا واجمله ،كما انه يحافظ على الانبعاثات السماوية المقدّسة من التلف والفناء (١) . ويقول ايضا ان الشعراء ليسوا محدثي اللغة ومبتدعي الموسيقى والرقص والبناء والنحت والتصوير فحسب بل هم واضعو الشرائع ومؤسسو المدنيات ومخترعو فنون الحياة ، وهم الاساتذة الذين يصلون ما بين الجمال والحق وبين عوامل هذا العالم المستتر الذى يدعى الدين ... وقد كان الشعراء في العصور الاولى مشرّعين ، او انبياء حسب ظروف العصر الذى ظهروا فيه ، والامّة التي نبغوا منها (٢) . والشاعر عند شيللي نور قدسيّ مجنّح ، لا يخلق و لا يبدع الّا اذا الهم واوصي اليه ، بذلك يحوّل كل شيء الى حبّ وجمال ، فيعزّز جمال الاجمل ، ويزيد جمال الاقبح ويزوّق الاطمئنان بالرعب ، والحزن بالفرح ، والثابت بالمتغيّر ، ويمزّق ستار الابتذال من الدنيا ، ليرينا الجمال النائم مجرّدا ، والشاعر يعطي الحكمة ، ويحدث السرور والفضيلة والجلال ، لذلك ينبغي على الشاعر ان يكون اسعد الناس ، وافضلهم ، واعقلهم (٣) . فالفضيلة الادبية في شعر شيللي على قول برادلي (Bradley) لم تكن في عقائده عن ماضي الانسان وحاضره ولكنها في شعوره المدرك الذى كان منبعثا في رغبات روحه ، ومن القيمة الفريدة التي تدعى الحبّ. وخير اسم يطلق على ذلك الكمال الذى يدعى الجمال المثقف والحرية والروح هو الحبّ والحبّ احيانا يتكلم ، وعندما يتكلم يلحن موسيقي فهو الشعر (٤) . وقبل ان يكون شيللي شاعرا ، كان نبيا — على قول ايفانس (Evans) وكان شعره وسيلة لرسالته النبوية السامية (٥) .

ومن طبيعة الشعر ان يكون حرا طليقا ، فهو كالفنون الاخرى لا تزهو ولا تترعرع الا على الحرّية الطليقة المبدعة والشعر يهدف دائما الى المثالية والى الكمال وفي ذلك يقول نيومن (Newman) كما قال قبله ارسطو ان الشعر يعرض علينا المثالية (٦) . فالشاعر يرى الكون كلّا ويشعر بما فيه ، ينقّي الروح ويخلدها ، فلا غريب لديه ، لذلك يكون ادبه ادبا عالميا خالدا ، ويقول جيرارد (Gue'rard) : ... وهكذا كان جوتيه (Goethe) ، وسائر الشعراء العالميين ، وجوتيه هو الذى اعتبر كنز الانسانية تراثا عالميا ، فاطربته القطع اليونانية القديمة ، كما اطربته الفرنسية الحديثة ، والايطالية والاسبانية والانكليزية كلّها على السواء ... والادب هذا انسانيّ عالميّ ، وهو جسر في الخليج العريض الذى يقوم بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية (٧) . فيقرّب الشقة بينهما .

---

(١) Shelley - Defence of Poetry, PP: 101, 103, 104

(٢) Ibid, P: 71

(٣) Ibid, PP: 104 - 105

(٤) A. C. Bradley - Oxford Lectures on Poetry (London, 1926) P: 174

(٥) B. I. Evans - A Short History of English Literature, (Newyork, 1940) P: 55-

(٦) E. D. Jones - English Critical Essays, (England, 1916) P: 237

(٧) A. Gue'rard - Preface To World Literature (Newyork, 1940) P: 3

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والشعر يحمل بين ثناياه الحق والجمال والخير ، وعلى ضوء هذه العناصر يجب ان يدرس الشعر ، وان قصّر في ادائها (١) ، لان الادب ، في الواقع ، على قول بيورل (Burrill) مفتاح القيم الروحية ، وقيمة الادب في انسانيته ووحيه والهامه (٢) . والشاعر يبحث دوما عن الحقيقة ، فيحتضن الطبيعة ، ويبحث فيها عن الجمال ليصيده ، وعن القبيح ليجمّله ، ثم يرفع النفس البشرية فوق المادّة لتحيا ، فينبض له كل قلب ، ويهتزّ له كل وتر ، لذلك — على حدّ تعبير دونللي — عاش هومر (Homer) خالدا ، وبالرغم من سمائه ولغته ، والبسته الغريبة ، نرى حقولنا ومحيطاتنا ، وسماءنا ، ونضع اناملنا على النبض الذى يسجّل ضربات قلب ينبض مثل قلوبنا (٣) ، هكذا يخلد الفنّ ، ويخلد الشعر الذى — على قول دونللي ايضا — يعالج الطبيعة ، والطبيعة الانسانية كلها . فهومر ، وشكسبير (Shakespeare) شاعران حقيقيان ، غاصا الى اعماق القلب البشرى ، ونطقا بالتجربة الناضجة والحكمة اليانعة .... لذلك تقبلهما الناس جميعا في كل العصور (٤) . فالافكار السامية ، والحكم البليغة في الشعر ، يجب الّا تبعث في قلوبنا هزّات الفرح والسرور فحسب ، بل عليها ان تهدئ قلوبنا وتطمئننا . كثيرون هم الذين قالوا ان الدين وحده لا يكفي للاطمئنان الروحي بل يجب — كما يقول موري (Murry) — على الشعر ان يكون دينيا ، فالدين المسيحي نفسه عاش وترعرع على شعر المسيح السحرى . وعن شعره العالي اخذ دانتي (Dante) ، وكذلك فعل شكسبير فينبغي على الشعراء العظام ان يكونوا متدينين ، لان الشعر العالي ، والدين العالي كليهما واحد ، يقومان على العقل وعلى الحسّ والشعور . وينبغي على الشاعر ان يتمّ عمله الروحي هذا بكلّ قلبه وعقله وروحه (٥) . فالشاعر ذو قلب مومن ، وعقل راجح ، وروح خلّاقة مبدعة ، يحرّك الانسان ، ويدفعه الى النشاط المستمرّ ، والى عمل الخير الدائم ، وفي ذلك يقول كولردج ان الشاعر يحرّك روح الانسان كاملة ، ويدفعها الى النشاط ، ويؤلف بين جميع الاشياء المتناقضة العديدة ، ويجعلها بجمال روحه وذكائه وحدة متناسقة ، فالاحساس جسم العبقرية الشعرية ، والخيال لباسها ، والروح فكرها (٦) وليس عمل الشاعر ان يملي علينا الفروض والاحكام ، بل عمله ان يدخل تجاربه كلها في قلوبنا حيّة ، فيجلب الغبطة ، وينبه الحواسّ ، وينعش — على قول اليزابت درو (Elizabeth Drew) — القلب ، ويرفع الروح المتوحشة ، لترى الجمال الخفي في الدنيا ، فلا يستطيع احد ان يتخيل كيف يكون ادب العالم ان لم يكن هناك فكرة الصراع المستمرّ ، القائم بين ارادة الله والمثل العليا ، وبين ارادة الانسان ورغباته الطبيعية ، فأن فقد الادب هذه الناحية الروحيّة ، فمصير الادب الخراب والتلاشي عن الوجود (٧) . وليس للادب قيمة ان لم ينطق بالحق والجمال والقوّة الروحية . والشعر على قول جيمس هانت (James Hunt) هو نطق العاطفة بالحقيقة والجمال والقوة ، مزوجة بالخيال الممرع (٨) . والشاعر — كما يقول ورد سورث — هو انسان يتكلم الى البشر ..

---

(١) A. Guérard - Preface To World literature, P: 447
(٢) E.W. Burrill - Literary Vespers, (New York, 1924) P: 16
(٣) F.P. Donnelly - Art Principles In Literature, PP: 12-13
(٤) Ibid, PP: 15, 9-10
(٥) J.M. Murry - Countries of The Mind, (London, 1931) PP: 30-31
(٦) S.T. Coleridge - Biographia Literaria, (London, 1910) PP: 166-167
(٧) E. Drew - The Enjoyment of Literature, (New York, 1935) PP: 77, 74, 216
(٨) E.D. Jones - English Critical Essays, P: 300

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هو انسان اكثر احساسا ونشاطا ولينا ، من سائر البشر ، واكثر معرفةوفهما للطبيعة الانسانية وللروح .. موضوعه الحقيقة المطلقة ، التي لا تعرف الحدود والسدود ، بل هي عامة ، شاملة ، فعّالة ، لا تقف عند المظاهر الخارجية فحسب ، بل تحملها بعاطفة حية الى قلب الشاعر . فالشعر صورة عامة للانسان والطبيعة ، والشاعر ينشد اناشيده ، فيشترك بها جميع البشر ، لان الشعر هو روح المعرفةكلها ونفسها ، وهو خالد كقلب الانسان . وكما قال شكسبير عن الانسان يقال عن الشاعر انه ينظر في الماضي والمستقبل ، ويجمع شتات هذه الامبراطورية الانسانية العظيمة ، بالرغم من الحدود ، واللغات المختلفة ، والعادات والتقاليد الغريبة (١) . ويقول ايضا ان ورد سورث قد تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية، واتخذها ثورة في سبيل حرية الانسان ، فكانت له تأملات انسانية فيّاضة (٢) .

اما الشعر عند كيتس (Keats) فيبحث دائما عن مواطن الجمال ليسجّلها ، وعن ذرواتها في الطبيعة ليقتنصها ، رافعا النفوس المنخفضة ، محركا القلوب الخامدة ،فالشاعر عند كيتس ، هو رسول الجمال ، والجمال هو الحقيقة الكبرى ، وفي ذلك يقول في قصيدة له : "الجمال هو الحقيقة ، والحقيقة الجمال هذا كل ما يجب ان تعرفه على الارض وكل ما تحتاج ان تعرف".(٣) .

وكان كيتس يتأمل ليزحزح الستائر عن الجمال ، فامتزجت — على حدّ تعبير ايفانس — معظم اشعاره بتصوير الجمال ، ولو عاش اكثر لكان شاعرا فيلسوفا عظيما (٤) .

ولم يختلف رأى هيجل عمّا تقدم ، بل جمع الآراء كلها في قوله ان الشعر " هو التعبير عن الاكمل والاعم ، وعن الروح والمثالية والجمال ... وعالم الشعر في نظر هيجل هو عالم الروح على الاخص ، والافكار الروحية والتأملات العاطفية والاحاسيس ، ورغبات النفس السامية، ومقدراتها المتواضحة في التأمل ، وهذا كله يؤلف الفكرة الشعرية التي يحسن بالشاعر التمرس بها " (٥) .

وقال تولستوى (Tolstoi) ان الفنون على انواعها يجب ان تستمدّ غايتها من المثل الدينية (٦) . فتجسد المجردات ثم تنفخ فيها روحا موسيقية سامية ، ترفع النفوس وتجردها من ادران المادة ، وتحفظ الاخلاق قوية ، مصونة ،لأن الشعر الذى يثور على الاخلاق شعر يثور على الحياة كلها ، وفي ذلك يقول آرنولد (Arnold) ان الشعر يفسّر لنا الحياة ، ويطمئننا ويقوّينا ، لذلك نستغني عن الدين والفلسفة ، وان الشعر الحقيقي الجيد هو نقد الحياة ، فيه قوّة اخلاقية ترضينا ، وتقوينا وتبهجنا (٧) . ومن وظيفة الشعر ان يعنى بالاخلاق والقيم المثلى ، غير ان النزعات العلميّة قد قللت من هذه القيم ، واحتكرت القرن التاسع عشر ، ومع هذا فنحن نرى في اكسفورد — على قول تيسديل (Tisdel) بعثا روحيا عظيما يدعو الى الحماس الخلقي ، والى الصوفية الروحية ، وروحا رومانطيقية ، لم تزل حية فعّالة ومثالية

---

(١) W. Wordsworth — Prose Works of William Wordsworth v.I (New York, London, 1896) PP: 87-93
(٢) B.I Evans — A Short History of English literature, P: 47
(٣) F.B. Snyder and R.J. Martin — A Book of English Literature v.II (New York, 1943) P: 325
(٤) Evans — A Short History of English Literature, P: 57
(٥) ترجمة محمد عيتاني — مجلة الاديب السنة التاسعة ج ٥ ص: ٣٦
(٦) ترجمة نسيب عازار — نقد الشعر في الادب العربي (بيروت ١٩٣٩) ص: ١٨
(٧) Matthew Arnold — Essays in Criticism — series II (London and N.Y. 1893) PP: 2, 3, 5.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المانية حملها كولردج ، وبشّر بها كارليل ، يستمرّ نفوذها وتأثيرها بالرغم من الفلسفة المادية التي طغت على الفكر البريطاني (١) ، وعلى العالم بأسره في ذلك الحين . فالادب الحقيقي لا يدعو الى الانحلال الخلقي ، بل الى التمسك بالاخلاق المثالية ، وان جورج ديهامل (G. Duhamel) يجد في العبقرية المبدعة ما يعزّز الاخلاق فيقول : "يجب ان نفهم جمهور الناس الصادق العزم ان تقديس الروحيات هو الشرط الاساسي لكل حياة نبيلة جميلة ، خصبة ، وان الكتاب هو رمز ذلك التقديس" (٢) . والكتاب هو نتاج قرائح الانسانية ، وينبغي عليه ان يحثنا ، ويحملنا على حبّ الحياة المثلى ، فالفن في نظر ديهامل "حياة حتى في اغاني اليأس وهو — حتى عندما يصور لنا القضاء المحتوم والالم والموت — ضوء رادع للحياة . ليحملنا الفن على الاهتمام بالحياة ، فان بذلك يوشك ان يحملنا على محبتها" (٣) . وعندما يتأمل ديهاميل في انسان القرن العشرين القلق المضطرب ، يصرخ متألما ، فانسان القرن العشرين انسان طغت عليه المادة ، فكبّلت روحه وشلّت نتاجه فيقول : "ما هذا ! نريد ان نعود برجل القرن العشرين القلق الشارد اللب ، الى احترام القيم الروحية والعقلية ، وان نرده الى التفكير والتأمل ، فنضطر في سبيل ذلك الى ان نسكب له الخمر في القداح ، وان نعزف له على آلات الطرب ، بل ان نرقص معه ... المكاتب معابد الروح ، فهي الامكنة التي يدرك فيها الانسان سر عظمته الحقيقية" (٤) .

فالشعر ، كما رأينا ، ليس من الكماليات ، بل من ضروريّات الحياة ، دونه — على حدّ تعبير لوكس (Lucas) — تكون الحياة بعين واحدة ... وليس الشعر خزانا للمثقفين فحسب ، بل للانسانية عامّة ، واعظم الشعراء من سوفوكليس (Sophocles) الى شكسبير ، ومن هومر الى هاردى (Hardy) ، كانوا جميعا معنيا ، زاخرا للانسانية (٥) . وفي الحقيقة ان الانسان نصفان — على قول امرسن (Emerson) — نصف شخصه ، ونصف تعبيره (٦) . فان لم يكن شاعرا معبرا عن شعوره ، فهو انسان ناقص . فالشعر هو المعبّر عن تلك الانسانية ، عن الحب والموت ، وعن الشوق والطموح . وقد وهب الشاعر روحا تدرك وتفهم ، وفي نظر بالمونت (Balmont) ان الروح هي الحقيقة الوحيدة ... وان الشاعر قد وهب ميزة لادراكها وفهمها (٧) .

هكذا فهم ادباء الفرنجة ونقاده الشعر ، وهكذا نظروا اليه كنبع سيّال ، يستمدّون منه الوحي والالهام ، كما يستمدّ هو بدوره من المصدر الاكبر وحيه والهامه . ففي الشاعر روح قدسيّة ، وله رسالة انسانية ، يهدف دائما الى تجريد المادّة ، والتأمّل فيها ليرفع النفوس الصغيرة ، ويمنحها ايمانا وسموا ، ويقدّم للنفوس الكبيرة نشوة وغبطة ، جميعهم يشتركون في الانشودة الكبرى ، جميعهم يغنون مع الشاعر قصيدته المجبولة من دم قلبه ، جميعهم يقفون باسم المحبة على صعيد واحد . وقد بلغ النشيد اوجه في القرنين :

---

(١) F.M. Tisdel - Studies In literature, (New York, 1919) PP: 301-302

(٢) جورج ديهاميل — دفاع عن الأدب (ترجمة محمد مندور) (القاهرة ١٩٤٢) ص: ٤٦

(٣) المصدر نفسه ص: ٢٦١

(٤) المصدر نفسه ص: ٤٥

(٥) F.L. Lucas - Ten Victorian Poets - Preface: ix

(٦) W. Emerson - Essays, (London, 1942) P: 205

(٧) C.M. Bowra - A Book of Russian Verse, (London, 1947) P: 89

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثامن عشر والتاسع عشر . فغرق الشاعر في تأملاته ، وتغلغل في اعماق الطبيعة والنفس البشرية يبحث عن كنه الوجود ، وما فيه من حياة وموت ، ومن حاضر ومستقبل . فالشاعر رسول يحمل النور ليقود البشرية الى طريق السعادة الروحية ، ويحبّب اليها الحياة بالتحترم المبادئ السامية والاخلاق القويمة . وهكذا نرى كيف اهتمّ نقاد الفرنجة وادباؤهم بدراسة الادب وتوجيهه ، وكيف كانوا يسيرون معه خطوة ، خطوة ، ينبهونه ، فاذا زاغ عن طريق الصواب يقوّمونه ويرشدونه ، ثم يجمعونه ويحلّلونه ، ويقيمون عليه مدارس ادبية ، وهكذا نرى ان الادب لم يزه ولم يترعرع الّا على تراب الحرّية الخصب ، فالحرّية الفكرية المنتجة هي الاساس المتين لبناء صرح الادب الخالد ، فالصراع الذى دام بين المادّة والروح في الفكر الانسانيّ ، كان صراعا بين رغبات الانسان الطبيعيّة ، وبين رغباته الروحية المثالية المتصله بالله . ونرى الادب في كل دور ، يهدف الى المثالية ، ويحث البشرية على السموّ الروحي ، فترتاح قلبا ، وتهدأ بالا ، وتعتريها نشوة المعرفة ، وتشترك جميعا — على اختلاف اجناسهم وبلادهم — بهذه الغبطة الروحية . فالمواضيع الروحيّة التي يعالجها الادب ليست الّا مواضيع انسانية ، يشترك بها كل انسان ، كالمحبة والعدل ، والاخاء والمساواة والسعادة ، والحقيقة والكمال ، والجمال والروح والنفس ، والحب والموت والحياة وغيرها ، وبهذه القيم الروحية فقط ، يكسب الادب عالمية وخلودا ، فالقيم هذه تقرب ارواح البشر بعضها الى بعض بالرغم من الحدود الطبيعيّة والاجتماعية والسياسيّة . ولولاها لكان الادب محدودا ، يتيما ، يعيش لعصر من العصور ، ولفئة من الناس ، ثم يفنى ويطويه العدم .

وبينما كان الغرب في اوج نشوته الفكرية الشعرية ، يبحث عن الحقيقة في اعماق الطبيعة والنفس البشرية ، كان شرقنا العربي يرزح تحت عبء ثقيل ، كادت فيه العربية ان تندثر وتفنى ، فالحرّية الفكرية شيّعت الى القبر بعد نزاع طويل دام جملة قرون بدوام الحكم العثماني فشلّ العقل ، وغفت ارادة الانسان ، وخنقت الروح ، فلا تفكير ولا ابداع . وقد ساد الجمود الفكرى هذا ، عامة الاقطار العربية ، فانقطعت انقطاعا كليا عن العالم الخارجي المتمدّن ، وذاق اهله الذلّ والعذاب ، حتى كان القرن الثامن عشر ، فصحت مصر على جلجلة مدافع نابليون ، تحمل اليها قبسا من المدنية الحديثة ، وتفتح عينيها على العالم الخارجي الذى سبقها اشواطا بعيدة ، فتعرّف العرب الى الفرنجة ، وهبّ ابناء العربية جميعا ينفضون عنهم سباتا طال امده ، ونشرت الطباعة في كافة البلاد العربية ، كتبا مترجمة عن الغرب ، وكثرت المدارس الفرنجية ، وازدادت مع السنين ، حتى تعرّف العرب على قرائح ابناء الفرنجة فاستطابوا ثقافتهم الواسعة ، وهبّوا يغرفون منها ما يشاؤون ، وقد اشتدّ اختلاطهم بالفرنجة فأتقنوا لغاتهم ورحلوا الى بلادهم ، فلقح الادب الحديث بالادب الفرنجيّ ، وتأثر ادباؤنا ونقادنا بآراء الفرنجة ونقادهم ، غير ان نقادنا — حتى اليوم — قاصرون عن توجيه الادب العربي الحديث وتصنيفه ، وها هو الادب العربي اليوم متشعب ، مضطرب ، لا يسير على هدى لأنّ ليس هناك من يهديه ، ومع هذا فأننا نقرأ لادبائنا ونقادنا آراء مماثلة لآراء الفرنجة ، ولعلّهم تأثروا باقواله ، دون ان يوجهوا ادبهم ، وينظموه ، لينمو ويزدهر ويحيا . فالادب العربي الحديث لم يزل يعاني اضطرابا وقلقا . فكيف فهم الادب ادباء العرب ونقادهم ؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قلت ان الثقافة الغربية اثرت في ابناء العربية ، فتسرّبت اليهم آراؤهم في الحياة ، وهكذا كان — على قول بطرس البستاني " من اثر الثقافة الغربية في المشارقة أن نشط الكتاب الى الدراسات الادبية في اواخر القرن الماضي ، يحتذون على مثال نقاد الغرب "(١). والادب ضروري للحياة ، لا تحيا امة دونه ، لانّه روحها المحرّك . والاداب — يقول شيخو — " ترقّي المرء فوق الحياة المادية ، وتسحق به الى المدارك الشريفة وتقرّبه الى عالم الارواح ، والى الجمال الذى كفنه يستحيل كل مخلوق جماله " (٢) . والادب يقدّم الانسان ، ويرفع ذاته ، وهو — كما تقول مي — " حجر الزاوية في تكوين الذاتية الفردية ، والذاتية القوميّة بالتبع " (٣) . وتقول ايضا ان الادب سابق للبحث العلمي ، وموح الى الفلسفة والى العلوم ، وقد كانت الصور الخيالية " سابقة للبحث العلمي ومعينة على الخروج من حيز القياس والافتراض الى حيز التطبيق العملي والاختراع " (٤) . هكذا يحملنا الشعر الى التأمل في الكون ، فتتجرّد امامنا الاشياء ، وينطلق الاديب بحرية يخلق ويبدع ، وقد قال جبران : " احب في الادب ثلاثة : التمرد ، والابداع والتجرّد (٥) . ومن طبيعة الشعر — على قول فواد البستاني — ان يكون " صورة الطبيعة السامية الى ما فوق الطبيعة المحسوسة . ومن ينكر ان في هذه الطبيعة غموضا وابهاما ، كما ان فيها صراحة ووضوحا ، بل من ينكر ان غموضها وابهامها اوفر من صراحتها ووضوحها " (٦) ، بهذا يكون الشعر كالرسول الروحاني الذى يحلّ الغاز الكون واسرار الحياة ، ليهدى الناس الى طريق الصواب ، والشعر — كما يقول نقولا فياض — " اول رسول روحاني بعث لتهذيب البشر ، منه انبعثت الفلسفة ، وعليه قامت الاديان ، واليه انتهى الجمال " (٧) ، فهو — على قول جبران — " روح مقدّسة ، متجسمة في ابتسامة تحيي القلب ، او تنهدة تسرق من العين مدامعها . اشباح مسكنها النفس وغذاؤها القلب ، ومشربها العواطف ، وان جاء الشعر على غير هذه الصور ، فهو كمسيح دجّال نبذه الوقى .. (لان) الشعر سرّ في الروح ... والشعر ادراك الكليات ... والشعر لهيب في القلب " (٨) . والشعر العظيم — على قول انيس المقدشي — هو " الذى يتناول اسمى ما تقدمه الطبيعة للبشر ، فينشيء منه هياكل مقدسة لعبادة الفضيلة ، والجمال (٩) . فهل يستطيع الانسان ان يقول الشعر وفي فمه تراب ؟ وفي ذلك يقول جبران " ايستطيع الانشاد من يملأ فمه ترابا ؟ (١٠).

---

(١) بطرس البستاني — ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث — (خريصا ، لبنان ١٩٣٧ م) ص: ٣٢٧
(٢) لويس شيخو — الاداب العربية في القرن التاسع عشر ج: ١ (بيروت ١٩٢٤ م) ص: ١
(٣) مي زياده — رسالة الاديب الى الحياة العربية (بيروت ، ١٩٣٨ م) ص: ٦
(٤) المصدر نفسه ص: ٦
(٥) جبران خليل جبران — كلمات (مصر سنة ؟) ص: ٤٣
(٦) فؤاد افرام البستاني — الروائع عدد ٢ : (بيروت ، ١٩٢٧ م) ص: ٩
(٧) نقولا فياض — على المنبر ج : ١ (بيروت ، ١٩٣٨ م) ص: ١٩٣
(٨) جبران ج كلمات ص: ٨٦ و ٢٢
(٩) روفائيل بطي — سحر الشعر ج: ١ (مصر ، ١٩٢٢ م) ص: ٢١٣
(١٠) جبران — كلمات — ص: ٢١٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالشعر يتمطى دائما ليلامس الذات الكبرى ، وهو في طبيعته ذات روحية " تتمدد حتى تلامس اطرافها — على حدّ تعبير ميخائيل نعيمة — اطراف الذات العالمية . وبالاجمال فالشعر هو الحياة باكية وضاحكة ، وناطقة وصامتة ، ومولولة ومهللة ، وشاكية ومسبحة ، ومقبلة ومدبرة "(١). والشعر الحقيقي في نظر انيس المقدسي هو " نظرة ثاقبة الى ما وراء الحياة الدنيا — الى الملأ الاعلى — عالم المبادئ السامية والنظامات الروحيّة " (٢) . وهو "الجزء الروحي — كما يقول احمد حسن الزيات — من كل انسان ، والقبس الالهي في كل قلب ، والخصيصة الانسانية التي تميز بها آدم من كل حيّ " (٣) . والشعر — على قول جميل سعيد — هو "التعبير عن الحياة بكل معانيها ، وغرضه ادخال السرور الى القلب ، ومساعدة الانسان على فهم نفسه وحقيقتها " (٤) .

وللشعر مرام عالية ، كلّها ترتكز على الاختبار الروحيّ ، والاختبار الروحي — على حدّ تعبير المقدسي — هو الذي " يوسع دائرة الفكر ويفتح للخيال مجارى جديدة ينساب منها ، فيأتي بما لم يعهده السابقون " (٥) . ومن مراميه العالية ايضا ان ينشد روح الفضيلة والخلود ، والحقيقة والجمال وان يرتفع "عن المادة الباردة الى الملأ الاعلى ، فيرتوون من منابع الوحي الخفية ، ويقودون البشريّة — الى ما هو اسمى من المادة ، واعمق من الظواهر الطبيعية "(٦) .

هكذا نرى ان للاديب روحا تختلف عن روح الانسان العادي ، وفيه مزايا تقرّبه الى العنصر الالهي ، وله رسالة لأنه المعلّم الاوّل ، ورسالته — على حدّ تعبير مي — "تعلمنا كيف نفهم كل شيء ، ونستفيد من كل شيء ، باحثين عن الصواب والكمال خلال كل نقص وكلّ زلل ، نازعين الى الجمال الحسّي والادبي حيال كا دمامة خلقية وخلقيه ، مساجلين النفوس والعناصر ، مناجين المنظور وغير المنظور ، لنجعل من حياة متنا ثرة متداعية ، حياة متناسقة ، متماسكة " (٧) . فنتعالى عن حياتنا العادية ، ونتحرر من قيودنا المادّية فالاديب المتأمل — على قول المقدسي — " يدرك قيمة الاشياء ، ويصوّر لنا ادراكه تصويرا جميلا ، يطربنا ويغذّي خيالنا ... يرفعنا الى مستوى من الاختبار الروحي ، نتعالى فيه عن حيا تنا العادية ونتحرر من قيودنا المادّية " (٨) . والشاعر يدرك الكون ويحسّه ، فينقل الينا ادراكه واحساسه ، وهو — على قول جبران — "الوسيط بين قوة الابتكار وبين

---

(١) ميخائيل نعيمة — الغربال (مصر ، ١٩٤٦م) ص: ٦٦
(٢) انيس المقدسي — الذكرى (التنكسون) (بيروت ، ١٩٢٥م) ص: ١٦
(٣) احمد حسن الزيات — في اصول الادب (مصر ، ١٩٤٦م) ص: ٣
(٤) جميل سعيد — اتجاهات الادب الانكليزي في القرنين ١٨ و ١٩ (مصر ، ١٩٤٩م) ص: ٧
(٥) انيس المقدسي — المقتطف مج ٧٠ ج:٥ ص: ٥٠١ — ٥٠٢
(٦) روفائيل بطي — سحر الشعر ج:١ — ص: ٢١١
(٧) مي زيادة — رسالة الاديب الى الحياة العربية ص: ١٥
(٨) انيس المقدسي — المختارات السائرة (بيروت ، ١٩٤٣م) ص: ١٣٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

البشر ، وهو السلك الذي ينقل ما يحدثه عالم النفس الى عالم الحبّ وما يقرره عالم الفكر الى عالم الحفظ والتدوين " (١) ، فيثير النفوس ، ويجعلها تشترك معه .

وفي الشاعر نفس قويّة ، كبيرة ، تبرق من حين الى حين ، لتضيء في الكون الزوايا المظلمة ، وتهدي البشريّة المعذّبة ، وينشد رشيد ايّوب :

لما بدا البرق في الظلماء ملتهبا
وراح يطوي فضاء الله واحتجبا
ناديت ربي وطرفي يرقب الشهبا
ربّاه يا خالق الاكوان واعجبا
كم تشبه البرق هذا انفس الشعرا (٢)

والشاعر في نظر ميخائيل نعيمه " نبيّ وفيلسوف ، ومصور وموسيقي وكاهن . نبي لأنه يرى بعينه الروحية ما لا يراه كل بشر ... العالم كله عنده ليس سوى آلة موسيقية عظيمة تنقر على اوتارها اصابع الجمال ، وتنقل الحانها نسمات الحكمة الابديّة ... كاهن لأنه يخدم الها هو الحقيقة والجمال " (٣). والشاعر الخالد — على قول جيب كاتبة — هو الذي يعرب "عما يخالج نفس كل انسان في كل زمان " (٤) ، فلا يقف خياله الواسع — على قول المقدسي — " عندما يرا ه ، بل يتعداه الى مناطق يفتحها امام الخيال الواسع، فيجعل المرئيات اساسا لغير المرئيات ، ويولّد من المحسوسات صورا مجرّدة ، يرسمها للبشر تأملات وذكريات " (٥) . ذلك ان الشاعر الحقيقي — على قول المقدسي — " دقيق النظر ، والسمع والشعور ، يرى ما لا يرى ، ويسمع ما لا يسمع ، ويشعر بما لا يشعر به ، فليس شعره كلاما موزونا فقط ، ولا اعذب ما فيه الذبه ، بل هو كما قال كارليل .. كالنبي ... ويشترط في الشاعر ان يكون كبير النفس ، شريف المبدأ ، يأبى الضيم ويحتقر الظلم ، وخسة النفس " (٦) ، فرسالته قريبة من رسالة الانبياء ، فيها — على قول الزيات — عبقرية وجلالة وسموّ ... (وهو) خليق ان يسيطر على العقول والميول بمكانه في العلم ، وسلطانه في الادب ، ورجحانه في الرأى " (٧) . وروح الشاعر — يقول ابرهيم العريض " تهزنا بتغلغلها الى كنه الاشياء ، ورفعها جوانب القناع المسدل على وجه الحق " (٨) .

رأينا مما تقدم ان ادباء العرب الحديثين قد تأثروا بادباء الغرب ونقاده ، واخذوا عنهم آراءهم في فهم الادب ، فلا نرى خلافا بين ادباء الفرنجة والعرب الحديثين في فهمهم للأدب ، وقد اتفق كلا الطرفين على ان في الاديب احساسا مرهفا ، وادراكا عميقا يرتفع عن الانسان العادي ، ويقترب من الخالق البارى ، وان الشاعر نبيّ يحمل رسالة المثل العليا الى البشر ، ليهديهم ، ويرفع نفوسهم الى الملأ الاعلى ، وان الادب الخالد هو الادب

---

(١) جبران — كلمات ص: ٨٠
(٢) رشيد ايوب — مجموعة الرابطة القلميّة (نيويورك ، ١٩٢١م) ص: ٩٧
(٣) ميخائيل نعيمة — الغربال — ص: ٧٣ و ٧٤
(٤) نسيب عريضة — الارواح الحائرة (نيويورك ، ١٩٤٦م) المقدمة ص: ٨
(٥) انيس المقدسي — امراء الشعر العربي (بيروت ، ١٩٤٦م) ص: ٢٠١
(٦) انيس المقدسي — الذكرى (لتنسون) (ص: ١٦)
(٧) احمد حسن الزيات — وحي الرسالة (مصر ، ١٩٤٠م) ص: ٣٦٥ — ٣٦٦
(٨) ابراهيم العريض — الاساليب الشعرية (بيروت ، ١٩٥٠م) ص: ١٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

مؤسسة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الذى يغوص في اعماق النفس البشرية ، وفي اعماق الطبيعة ، ليحلّ غوامضها واسرارها . يبحث دائما عن الحقيقة الكبرى ، وعن الكمال والجمال والخير ، فيقرّب الناس بعضهم الى بعض تحت لواء المحبة الانسانية الشاملة ، ويقدّم للبشرية سعادة روحية ، وادبا روحيا ، يتّصل — كما يقول احمد امين — " بالعواطف السامية عند الانسان ، فيهذبها ويرقيها ويغذيها " .... فأدب الروح ينبعث عن النفس ، كما ينبعث صوت البلبل عن نفسه ، ويدل على صاحبه كدلالة ضحكة الطفل البريء " (١) . فالاديب لا يعرف الغش ولا الخداع ، كما انه يجرّد المادة ليخلدها في عالم السماوات ، ويجسّد المجرّدات ليقدّمها قرابين لاطمئنان الانسان الروحي ، فبذلك يكون رسولا للقيم الروحية وتعزيزها ، يبحث دائما عن الله ليرقى اليه ، ويقود البشرية الى الاخلاق السامية ، والمبادىء القويمة .

ومهما قلنا فان ما قاله هؤلاء الادباء والنقاد العرب ليس الّا صدى رفاقهم ادباء الغرب ونقاده ، وليس غريبا الّا يقوم بينهما فرق ، لأن الادب لغة مشاعر الانسان ، والانسان المثقف انسان اينما كان ، ذو قلب وعقل وروح ، فكلاهما متّفق على ان الادب الحقيقي هو الادب الانساني العالمي ، الذى يهزّ كل قلب ، ويرفع كل نفس الى الملأ الاعلى لتشترك بالنشيد الازلي . ومثل هذا الادب يهتمّ بالبحث عن غوامض النفس البشرية ، وعن اسرار الكون ، فينقلها الى رفاقه ، لترتاح نفوسهم وتطمئن قلوبهم ، ومثل هذا الادب لا يعالج الّا مواضيع روحيّة ، وهذه المواضيع لا تكون الّا بعد تأمّل روحي عميق ، وتجارب نفسيّة تبحث عن الله ، والروح والنفس ، والسعادة والحب والانسانية وما فيها من عدل ومساواة واخاء والجمال والكمال والحقيقة والحرية والخلود ، والموت والحياة وغيرها . فهل نستطيع ان ندرس ادبنا العربي القديم على ضوء هذه المجرّدات ؟ وهل عالج ادبنا العربي القديم هذه القيم الروحيّة ؟ فأين تظهر هذه القيم في الادب العربي القديم ؟ ... هذا ما نحاول ان نجيب عليه فيما يلي .

---

(١) احمد امين — فيض الخاطر ج ٢ (القاهرة ، ١٩٤٠) ص ٨٣ و ٨٤ و ٨٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثالث

الشعر العربي القديم

١ ـ القدماء وكيف فهموا الشعر
٢ ـ تطور الشعر العربي العربي القديم
٣ ـ المجارى الفكرية في الشعر العربي القديم
٤ ـ النواحي التي ظهر فيها أدب الروح عند العرب القدامى
٥ ـ القيم الروحية في الادب العربي القديم :

الله ـ الحب ـ الكمال ـ الجمال ـ الحقيقة ـ الحرية ـ السعادة ـ الدين ـ الفضيلة ـ العقل ـ النفس ـ الروح ـ الموت ـ المعاد ـ الخلود .

٦ ـ العوامل التي اضعفت أدب الروح عند العرب القدامى :

ا ـ العقلية العربيّة
ب ـ الروح الاسلامية ورجال الدين
ج ـ فقدان الحرية
د ـ عدم الايمان بقيمة الانسان
هـ ـ ضعف النقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ ـ الشعر العربي القديم

١) القدماء وكيف فهموا الشعر

يعكس لنا الشعر عقلية الامة التي يظهر فيها ، ويبني فهمه على النتاج الشعري نفسه ، فيسير ابناء ذلك العصر على طريق واحد ، محافظين على المقاييس الشعرية المعهودة ، وقد كان الشاعر الجاهلي يتوخى اغراض الشعر ومذاهبه ، حتى اذا سئل احدهم ان يحكم في الشعر ، لم يتجاوز النظر الى تلك الاغراض والمواضيع ، فيصدر حكمه الشامل الذي يقوم على التأثر والانفعال الفطري . والشعر الجاهلي ساذج ، قائم على الاحساس المادي ، يصوّر الشاعر فيه ما يرى كما يراه ويلمسه ، فلم يتجاوز هذا الشعر حدود المادة ، كما ان فهم الشعر لم يتجاوز هذا الحدّ الذي يقوم على خطرات ، وآراء اكثرها لغوية . هكذا ظلّ الشعر العربي حتى امتدّ سلطان الاسلام بالفتوحات ، واحتكّ العرب بغيرهم من الشعوب المتمدّنة ، فأخذوا عنهم ، وتأثروا بهم . وعندما اتسعت آفاقهم ، خطا الادب نحو الطور التأليفي خطوة بارزة ، واصبح للأدباء مؤلفات في الشعر والشعراء ، وكان ذلك في العصر العبّاسي حين دخلت عليه عناصر جديدة ، أثرت في الشعر العربي وفي مجراه ، بذلك تقدّم الشعر العربي وتقدّم فهم الشعر ، غير ان فهم الشعر لم يخط خطوة بعيدة عن المادة المحسوسة ، ولم يهدف الى مرام عالية مجرّدة ، بل ظلّ محصورا في اللفظ والصور البيانية الحسّية ، لكننا نجد قليلا من الشعر قد انفلت حينا من فهم الادباء ، فحلّق مع الفلاسفة ، وشطح مع الصوفيين .

ان العلوم والفلسفة انتشرت في العصور العباسيّة ، واصبح الشاعر مطلعا على علوم عصره ، بعد ان كان ساذجا ، جاهلا ، وقد جاء في كتاب عيون الاخبار ـ "اذا اردت ان تكون عالما فاقصد لفنّ من العلم ، واذا اردت ان تكون اديبا ، فخذ من كل شيء احسنه" (١) . وهكذا كان معظم الادب القديم جامعا شاملا شتات العلوم والمعارف. واما الشعر ـ كما يقول ابن سلام ـ فله "صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم ، والصناعات ، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الاذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان" (٢) . بذلك تشترك الحواسّ كلها في صناعة الشعر ، فترى العين ما لا يُرى ، وتسمع الاذن ما لا يسمع ، وتجيد اليد في حبك الحروف والكلمات ، ويغرّد اللسان بالسحر والبيان . والشعر عند العرب ضروريّ للرجل الكامل ـ واما الرجل الكامل ـ فهو ـ كما قيل "الرجل الذي يكتب ويحسن الرمي ويحسن العلوم ويقول الشعر" (٣).

وقد اعتبر الشعر عموما ـ كما يقول قدامة بن جعفر ـ على انه "قول موزون مقفى ، يدل على معنى" (٤) . فالشعر عند العرب صناعة ، يجب ان يتوخى فيها الصانع التجويد والكمال ، مهما كان المعنى من الرفعة والصنعة ، وفي الشعر مادّة ، وفيه معنى ، وقد

---

(١) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ج:٢ (القاهرة ١٩٢٨م) ص: ١٢٩
(٢) محمد بن سلام الجمحي ـ طبقات الشعراء (مصر سنة ؟) ص: ٦
(٣) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ج:٢ ـ ص: ١٦٨
(٤) قدامة بن جعفر ـ نقد الشعر (قسطنطينيه ١٣٠٢ هـ) ص: ٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

شبّه قدامة بن جعفر الشعر بالصناعة التي تحتوى على مادة ثم على صورة لتلك المادّة (١) . ونحن اذا قرأنا الموازنة بين ابي تمام والبحترى للآمدى ، لا نجد فهما جديدا للشعر ، لانه يقيسه بمقياس الوزن ، والقافية ، ثم يأخذ المعنى الذى يقوم على التشابيه والاستعارات الحسيّة ، ويقارن هذه الصور بين الشاعرين المذكورين . واما الشعر المبرّز عند الجرجاني فهو الذى " يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال ، فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان " (٢).

وان الشعر يروى لنا انساب العرب ، وتاريخهم ، وايامهم ، ووقائعهم ، والشعر هو علم العرب كما يقول الثعالبي وانه محمدة الادب ، وعلم العرب الذى اختصت به (دون) سائر الامم (٣). ويقول العسكرى عن الشعر انه " ديوان العرب ، وخزانة حكمتها ، ومستنبط آدابها ، ومستودع علومها " (٤) ، وله مراتب عالية في موسيقى الالفاظ وجمالها ، ومن مراتبه العالية التي ذكرها :، " النظم الذى به زفة الالفاظ ، وتمام حسنها ، وليس شيء من اصناف المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر " (٥) . والشعر العالي هو الذى يتوخى الصدق ، وفي ذلك يقول حسّان :

" وان اشعر بيت انت قائله : بيت يقال اذا انشدته صدقا (٦) .

وقد علّق على هذا البيت عبد القاهر الجرجاني بقوله انه " يجوز ان يراد به ان خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل ، وادب يحب به الفضل ، وموعظة تروّض جماح الهوى ..."(٧) ثم ذكر ان هناك فئة تقول ان الشعر العالي هو الذى يتوخى الكذب ، فعلّق عليه بقوله لأن الشعر " لا يكتسب من حيث هو شعر فضلا ونقصا وانحطاطا ، وارتفاعا ، بل يتكل الوضيع من الرفعة ما هو منه عار ، او يصف الشريف بنقص وعار ، فكم جواد بخّله الشعر ، وبخيل سخّاه ... " (٨) . والشعر الجيد خالد ، وما يموت الا الشعر الردىء ، وفي ذلك يقول دعبل بن علي :

يموت رديء الشعر من قبل اهله وجيّده يبقى وان مات قائله (٩)

واما بنية الشعر عند ابن رشيق القيرواني فهو " اللفظ والوزن والمعنى والقافية " (١٠) معا ، ويجب ان تكون صنعة الشعر جيّدة ، وبنيته مكينة . فاللفظ عند ابن رشيق كالجسم ، والمعنى كالروح ، فاذا اختلّ احدهما كانت بنية الشعر ناقصة ، وكما ان الجسم والروح معا ضروريان للحياة، كذلك اللفظ والمعنى معا ضروريّان للشعر ، ولا يحيا احدهما دون الآخر . وفي

---

(١) المصدر نفسه ص ٣ ـ ٤ قدامة بن جعفر ـ نقد الشعر ، ص : ٣ ـ ٤
(٢) علي بن عبد العزيز الجرجاني ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه (صيدا لبنان ١٣٣١هـ) ص: ١٩
(٣) الثعالبي ـ يتمة الدهر ج:١ (دمشق ١٣٠٣هـ) ص: ٢
(٤) ابوهلال العسكرى ـ كتاب الصناعتين (الاستانة ١٣٢٠ هـ) ص: ١٠٤
(٥) المصدر نفسه ص: ١٠٣
(٦) ابن رشيق القيرواني ـ العمدة ج:١ (مصر ١٩٠٧م) ص: ٧٣
(٧) عبد القاهر الجرجاني ـ اسرار البلاغة في علم البيان (مصر ١٣٢٠ هـ) ص: ٢٢٠
(٨) المصدر نفسه ص: ٢٢٠
(٩) ابن رشيق القيرواني ـ العمدة ج:١ ـ ص: ٧٣
(١٠) ابن رشيق القيرواني ـ العمدة ج:١ ص: ٧٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذلك يقول ان "اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ ، كان نقصا للشعر" (١)، فمن هو خالق هذا الجسم وهذه الروح ؟ ولم سمي الشاعر شاعرا ؟ وما هي مؤهلاته ؟ فيجيب ابن رشيق بقوله : " انما سمي الشاعر شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر له غيره ، فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، او استظراف لفظ وابتداعه ... كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة " (٢) . والشاعر ذو خيال مبدع ، يعبّر عن احساسه وشعوره ، لا يحتاج الى التأمل الفكرى العميق لان العلم — على قول الجرجاني — " المستفاد من طرق الحواس ، او المركوز فيها من جهة الطبع ، وعلى حدّ الضرورة ، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوّة والاستحكام " (٣) . ويقول ابن الاثير ان من مؤهلات الشاعر "ان يكون مطلّع الكتاب ، عليه حدّة ورشاقة ... (و) ان يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى برابطة ، لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ، (و) ان تكون الفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال .... (و) ان تكون هذه الالفاظ المشار اليها جسما لمعنى شريف على ان تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذى اشرت اليه ، ايسر من تحصيل الالفاظ المشار اليها " (٤) .

رأينا مما تقدم ان العرب القدامى فهموا الشعر على ضوء الالفاظ والمعاني البيانية والصور الحسيّة ، حتى اننا لا نسمع عند ابن خلدون تعريفا جديدا للشعر ، فالشعر عنده هو "الكلام الموزون المقفى ، ومعناه الذى تكون اوزانه كلها على روىّ واحد وهو القافية" (٥) وينبغي على الشاعر ان يجيد علم العروض ، وغريب اللغة ، وان يبدع التشابيه والاستعارات الحسيّة ، وان ينتقي الفاظا تؤدى الى المعنى المطلوب ، وان ينقّح ما ينظم حتى يكون قوى المبنى والمعنى ، فان شلّ احدهما ساءت الصنعة ، وكان يقال ان " خير الشعر ما روّاك نفسه ... (ويقال ايضا) خير الشعر الحولّي المنقّح المحكّك" (٦)

هكذا فهم الشعر العرب ، فمن عهد ابن سلّام ، الى عهد ابن خلدون — بالرغم من المجارى الفكرية التي تغلغلت في الشعر العباسي — نرى ان فهم الشعر لم يتجاوز الاوزان الموسيقية ، والقافية ، والالفاظ الجيّدة ، والصور الحسيّة وما فيها من تشابيه واستعارات وسأترك معالجة الاسباب التي كبّلت الشعر العربي القديم ، فمنعته ان يتخطّى ما وراء المادّة الى اخر هذا الفصل ، بعد ان القي ضوءا على النواحي التي ظهر فيها ادب الروح .... وليس من الانصاف ان نقارن فهم العرب القدماء للأدب ، بفهم ادباء العرب المحدثين ، لأننا اذا فعلنا ذلك ، نكون كمن يقارنهم بأدباء الغرب المحدثين ، وقد رأينا سابقا ان آراء

---

(١) المصدر نفسه ص: ٨٠ ابن رشيق القيرواني — العمدة ج ١ ، ص: ٨٠

(٢) المصدر نفسه — ص: ٧٤

(٣) عبد القاهر الجرجاني — اسرار البلاغة في علم البيان — ص: ٩٥

(٤) ابن الاثير — المثل السائر (مصر ، ١٢٨٢ هـ) ص: ٤٤ و ٤٥

(٥) ابن خلدون — مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر (مصر سنة؟) ص: ٥٦٦ مطبعة

(٦) ابن قتيبة — عيون الاخبار مج ٢ — ص: ١٨٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ادباء العرب المحدثين ما هي الا صدى زملائهم ادباء الغرب ، فالادب العربي القديم وليد زمن خاص ، وعصر خاص ، لم يكن للعلم والمعرفة فيهما ازدهار الاوربيين المحدثين ، وفي ذلك يقول طه حسين اننا " نظلم الادب العربي ان قلنا انه ضعيف او ساذج بالنسبة للادب الفرنسي او الادب الانجليزي او الادب الالماني ، لأن الظروف التي احاطت بالادب العربي القديم مخالفة للظروف التي تحيط بالآداب الاوربية الكبرى " (١) . وبناء على ذلك نترك فهم العرب القدماء المحدود للأدب ، لننظر في تطوّر الشعر العربي القديم وفي المجارى الفكرية التي اثرت فيه ، وحولته عن طريقه الجاهلي .

٢) تطوّر الشعر العربي القديم

كانت تهاويل الطبيعة تفزع الانسان وتدهشه ، وتملأ نفسه جمالا وجلالا حتى يفيض لسانه بالصلوات والاناشيد ، ومن ذلك — كما يقول احمد الزيات — نشأ "الشعر الديني ، وهو مبدأ كل شعر في كل امة ، ومن اقدمه اناشيد "رع" عند المصريين واناشيد "فيدا" عند الهند البرهميين ، واناشيد "جالا" عند الايرانيين ، واناشيد "ارفيه" عند اليونانيين ، وسفر ايّوب عند العرب" (٢) .

وقد عرف عصر الجاهلية عند العرب ، بعصر الشعر وعصر المعلقات ، وكان للشاعر الجاهلي في قومه منزلة رفيعة ، وقدر جليل ، فهو لسان حال قبيلته ، ينتصر لها ويدافع عنها ، ويموت في سبيلها ، فاذا نبغ شاعر في قبيلة ، اقامت له الولائم ، والافراح ، وتهافتت عليه الوفود من القبائل المجاورة مهنئة ، مهلّلة . وكان للشعر الجاهلي قاعدة كلاسيكية يسير عليها ، فمن وقوف على الطلول ، الى بكاء الاحبة ، ومن وصف الديار الخاوية الى وصف الناقة او الفرس او الحبيبة ، او منظر طبيعي يستويه ، الى غير ما ترى عينه وتلمس يده . فالشاعر الجاهلي لا يصف الا ما يرى ، لذلك لم ترتفع قصائده عن المادة ، ولم تحلّق فوقها . بل ظلت اجنحتها مشدودة بامراس قويّة الى الارض .

وقد كان الشعر الجاهلي شعرا عنائيا ، لا تتجاوز مواضيعه المديح ، والهجاء ، والغزل ، والرثاء ، تتخللها الحكم التي تصف حالة الفرد في حادثة من الحوادث ، لو لم تكن لما أبه لها وذكرها . — وكانت المعلقات ، وهي اشهر قصائد العصر الجاهلي على الاطلاق ، تعبّر عن خشونة الفاظ الشاعر ، وفظاظة طباعه ، وانفعالاته الفطريّة الثائرة ، تحدثنا عن انساب العرب ووقائعهم وأيامهم ، وحياتهم الاجتماعية والسياسيّة ، وسذاجتهم العلميّة ، ولم يكن للشعراء الجاهليين حظ من الثقافة ، ولمّا جاء الاسلام ، انشغل المسلمون عن الشعر بالخطب الحماسيّة ، لحاجة الخلفاء اليها في بادئ الامر ، ليستتب السلام ، وينتشر الاسلام ، فقلّ الشعر ، ولم يتعدّ اغراض الشعر الجاهلي ومواضيعه ، لاقتراب العصرين بعضها من بعض . ولما امتدّ سلطان الاسلام ، وآل الحكم الى بني امية ، انتقلت معهم العاصمة من مكة الى دمشق ، فاتسعت آفاقهم ، ورقّت طبيعتهم ، واحرزوا نصرا تلو نصر ، لكنهم رغم هذا لم يختلطوا كثيرا بغيرهم من الشعوب المغلوبة ، ولم يأخذوا منهم ، لأن العصبيّة العربيّة دفعتهم الى العزلة ، وبلغت القومية العربية اوجها في ذلك العصر ، واشتدّ احتقارهم لكلّ ما هو اعجمي ، فلم يبتعد نظم الشعر عما سبقه ،

---

(١) طه حسين — من حديث الشعر والنثر (مصر ، ١٩٤٨م) ص : ٩
(٢) احمد حسن الزيات — في اصول الادب ، ص : ٢٠
ملاحظة : راجع ايضا فيما اذا كان سفر ايوب عربيا
Ph. K. Hitti: History of The Arabs (London, 1949) pp: 42-43

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

غير ان الهجاء استبدّ في هذا العصر ، واتخذ صبغة خاصّة ، ظهر اثرها في النقائض ، والخصومات السياسية . وقد كثر المجون والغزل والترف لتطوّر الحياة العربية في الحجاز اولا ثم في الشام . ولم يكن للشعراء الامويين حظّ من العلم والثقافة الّا ما كانوا يعرفون عن قبيلتهم وآدابها ، فكان الشعر قريبا الى الطبع كما كان في الجاهليّة وصدر الاسلام .

ولما ادبل من بني امية ، وقامت دولة العباسيين ، كان سلطان الاسلام يمتدّ بالفتوحات ، وعاصمة الخلافة تنتقل من دمشق الى بغداد ، ويشتدّ اختلاط العرب بغيرهم من الامم ، ويساهم الاعاجم في ادارة الدولة ، ويقبلون على اللغة العربية ، ويدرسونها ويتعمقون فيها ، وعلى الدين يعتنقونه ، عندئذ عرف الادب العربي عناصر جديدة لا عهد له بها من قبل ، ونبغ من الاعاجم كثيرون من العلماء والشعراء والفقهاء ، والمحدثين ، فضعفت القوميّة العربية التي بلغت اشدها في العصر الاموى ، واندفع العرب بدورهم يطلبون العلم ، ويترجمون الكتب عن غيرهم من الامم ، وكانت هذه اليقظة الفكرية — على قول حتى وجبور — " الى حدّ بعيد وليدة المؤثرات الاجنبيّة سواء أكانت هنديّة فارسيّة ، او سريانية هلّينية ، وهي يقظة تميزت فيها حركة النقل من الفارسية والفكريتية والسريانية واليونانية الى العربية " (١) . وكان هذا القرن الثاني الهجرى مضطربا غير مستقرّ ، لأنه اوّل عهد العرب بالنقل والترجمة ، والاطلاع الواسع على ثقافات غيرهم من الشعوب ، ولأن الاختلاط اوجد بلبلة في الاجيال المهجّنة ، بين الامة العربية وغيرها من الامم التي سبقتها الى الحضارة ، فنشأت — على حدّ قول طه حسين — "اجيال ورثت الى المزاج العربي المزاج الفارسي اوغير الفارسي ، ونقلت الى هذه الاجيال آثار الفرس والهند واليونان في الحكمة والموعظة ، وفي الفلك والنجوم ، وفي السياسة والاخلاق ، وفي العلم والفلسفة ، وكان هذا كله مصدر تغيير قوى شديد في حياة النفس العربية ، انتج ادبا لم تنتجه تلك الحياة البدوية الخالصة في الجاهلية وصدر الاسلام ، او تلك الحياة البدوية المتحضرة في ايام بني امية" (٢) . وقد تأثر العلماء العرب في ذلك العصر ، بالعلوم الاعجمية ، وحاولوا ان يوفّقوا بينها وبين العربية . ولم يكن الشعراء اقل اندفاعا من الكتاب ، وقد اصبح للشاعر حظ من الثقافة بعد ان كان ساذجا جاهلا ، غير ان هذا الاضطراب الفكرى ولّد في قلوب الشعراء الشك والالحاد والمجون ، فامتزج الشعر بالفحش والسخرية من الدين ، ومن الحياة ، ولعلّ ابا نواس اصدق مرآة لهذه الحالة ، وفي ذلك يقول ساخرا متهكّما :

تكثر ما استطعت من الخطايا ... فانك بالغ ربا غفورا
ستبصر ان وردت عليه عفوا ... وتلقى سيدا ملكا كبيرا
تعض ندامة كفيك مما ... تركت مخافة النار السرورا (٣)

ويقول ايضا في شرب الخمر :

يا من يلوم على حمراء صافية ... صرّ في الجنان ودعني اسكن النارا (٤)

---

(١) حتى جرجي جبور — تاريخ العرب (مطوّل) ج:٢ (بيروت، ١٩٥٠) ص: ٣٨٠
(٢) طه حسين — حديث الاربعاء ج:٢ (مصر، ١٩٢٧) ص: ٢٦
(٣) ابن خلكان — وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ج:١ (مصر، ١٢٧٥هـ) ص: ١٩٠
(٤) أبو نواس — ديوان ابي نواس (مصر، ١٨٩٨م) ص: ٢٨٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول ايضا في ارتكابه الفحش والمنكر :

قد اسأنا كلّ الاساءة فاللّهم صفحا عنا ! وغفرا وعفوا (١)

ثم يخاطب العلماء والفلاسفة بتهكم ، وسخرية ، ويرى ان العلم والفلسفة لا يجديان الانسان نفعا ، وان الخمر هو المعرفة الكبرى :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك اشياء (٢)

وابونواس يمثل ذلك العصر الذى كان صراعا — على قول احمد امين — "بين الشكّ والزندقة ، والالحاد ، وبين الايمان الخالص والاعتقاد الصادق" (٣) . وقد بلغت حرية الفكر اوجها ، وانتشرت الزندقة انتشارا فاحشا ، وظهرت حركة الشعوبية وما تنطوى عليه من ازدراء كل ما هو عربيّ ، وتفضيل كل ما هو فارسيّ .

اما في القرن الثالث الهجرى ، فقد استقرت الحياة العقلية ، واما المجون — على حد تعبير طه حسين — فلم يظهر في القرن الثالث كما ظهر جليا ، بشعا في القرن الثاني ، ولم نجد ما نشعر به من الاضطراب والشك ، وبموت ابي نواس مات "كل ما احتمله هذا القرن من عبث ومجون واضطراب وشكّ في كل شيء" (٤) . ويضيف طه حسين متحدثا عن الثقافات التي عرفت واستقرت في القرن الثالث قائلا انها تقسم الى ثلاث ثقافات : "احداهما : الثقافة العربية الخالصة التي تعتمد على القرآن ، وما يتصل به من علوم الدين ، وعلى الشعر وما يتصل به من العلوم الادبية كالنحو واللغة وغيرها ، وثانيتها : الثقافة اليونانية وثالثتها : الثقافة الشرقية (٥) . ويعني بالثقافة الشرقية المعارف التي كانت عند الفرس والهنود والامم السامية . وقد ازداد شغف بعض الشعراء في هذا القرن ، لا سيما في اواخره ، بدرس العلوم والفلسفة ، والتعمق فيها ، والاختصاص بها ، وقد ظهر في الشعر آثار للمذاهب الفلسفية التي عرفت في ذلك العصر ، وقد ذكر ابن الرومي انه يؤيد المعتزلة :

أأرفض الاعتزال رأيا كلّا ! لأنّي به ضنين (٦)

ونقرأ للمتنبي قصيدة يمدح فيها ابن العميد ، وزير ارّجان :

عربيّ لسانه ، فلسفيّ راية ، فارسية اعياده (٧)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٠ أبو نواس — ديوان أبي نواس ، ص : ١٣٠
(٢) المصدر نفسه ، ص: ٢٣٥
(٣) احمد امين — ضحى الاسلام ج:١ (القاهرة ، ١٩٤٦) ص: ١٤٣
(٤) طه حسين — من حديث الشعر والنثر ص: ٨٦
(٥) المصدر نفسه — ص : ٩٠
(٦) ابن الرومي — ديوان ابن الرومي (مصر ، ١٩٢٤) ص: ٩٢
(٧) المتنبي — كتاب العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب (لناصيف اليازجي) (بيروت ، ١٣٠٥ هـ) ص: ٥٧٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي قصيدة اخرى يمدح فيها ابن العميد ايضا :

من مبلغ الاعراب انّي بعدها ... جالست رسطاليس والاكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متهنّكا متبدّئا متحضّرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ... ردّ الاله نفوسهم والاعصرا (١)

وقد كان هناك طبقة من الشعراء لا تقرّ بالمنطق ولا بالجدل العقليّ ، بل تعتبر الشعر فطريا ، يصدر من الطبع السادج ، وفي ذلك يخاطب البحترى أهل الكلام :

كلفتمونا حدود منطقكم ... في الشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ... ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي اشارته ... وليس بالهذر طوّلت خطبه (٢)

وهناك من الشعراء من يقرّ بالمنطق ، ويقدّس العقل ، لكنّه ييأس من الحياة فلا يجد نفعا من العلم والحكمة ، لأن الموت اقوى القوى ، وهل يستطيع انسان ان يقف امامه صامدا ؟ ولعلّ ابا العلاء هو الشاعر العربي الوحيد الذى اكبّ على الفلسفة باحثا فيها ، متعمقا ، متأملا في الكون وفي الوجود ، فلم ير الا الاباطيل ، فنفى القدرة عن الحكماء والعلماء الذين اخفقوا في تحسين المجتمع ، والذين فشلوا امام القضاء والقدر :

وما دفعت حكماء الرجال ... حتفا بحكمة بقراطها
ولكن يجيء قضاء يريك ... اخاغيها مثل سقراطها (٣)

وقد اودع ابو العلاء المعرّى في لزومياته آراءه التأملية في الحياة ، وهو الشاعر الذى دوّن لنا اختباراته النفسية بعد ان اطلع على الفلسفة والعلوم ، وعرف اخلاق الورى ، ودياناتهم ، ومذاهبهم ، فنقد المجتمع نقدا ساخرا ، لاذعا ، بعيدا عن عبودية القصور ، وعن الحياة الاجتماعية الصاخبة .. واما ابن سينا فقد عبّر في قصيدته "النفس" عن الافلاطونية الحديثة التي تقول ان الروح هي من الله ، تحلّ في الجسد لتسمع وتعلم ، ثم ترجع لتلتقي مرة اخرى بالذات الكبرى :

---

(١) المتنبي — ديوان العرف الطيب في شرح ابي الطيب ، ص : ٥٧٠
(٢) البحترى — ديوان البحترى ج:١ (القسطنطينية ، ١٣٠٠ هـ)
ص : ١٣٣
(٣) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم ج:١ (مصر ، ١٩٢٤م)
ص: ٧٨ ، ٧٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فهبوطا ان كان ضربة لازب
لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكلّ خفيّة
في العالمين فخرقها لم يرقع (١)

وبعد ان انتشرت العلوم والفلسفة ، وبلغت ذروتها ، وظهر اثرها جليا في نتاج الفكر العربي ، في الشعر والنثر ، اخذت الامبراطورية الاسلامية تشيخ وتضعف فتجزأت الى ممالك عديدة ، واصبحت نهبا للغزاة والفاتحين ، وقد عظم فيها نفوذ الاعاجم فاصبح الخليفة العباسي آلة في ايديهم ، فراح الشعر يمجّد الله بعيدا عن الفوضى والضوضاء ، بذلك نشأ في هذا العصر فن آخر عرف بالشعر الصوفي ، ولا غرو اذا قلّ نتاج الشعر ، لان الشعر العربي اعتاد حياة القصور الارستقراطية التي كانت تحميه من العوز والفقر . ولمّا تلاشت هذه القصور ، وذهب اهلها ، حلّ فيه الدمار ، والتجأ الشاعر الى الله يحبّه ويمجّده ، ولم يجد نصيرا سواه . ولمّا اكتسح الامبراطورية الاسلامية المغول ، اندثر الشعر ، وخبا نور الفكر ، لان هذه القبائل بربرية متوحشة ، لا هم لها الا التخريب والقتل .

اما في الاندلس فلم نسمع بالفلسفة الّا في القرن السادس للهجرة بعد ان امحت — على حدّ تعبير بطرس البستاني — "معالم الفلسفة في المشرق ، وسبب ذلك ما كان للفقهاء من سلطان على ملوك الاندلس ، فانهم قهروا حرية التفكير ، وكفّروا كل متفلسف ومتمنطق " (٢) . وقد امتد اليهم التصوف بواسطة رحلات المشرقيين فأخذوا عنهم آراءهم ، وقد اشتهر عندهم ابن العربي بشعره الصوفي الالهي .

---

(١) ابن سينا — منطق المشرقيين (القاهرة ، ١٩١٠) ص: كج
(٢) بطرس البستاني — ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، ص: ٤٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٣) المجارى الفكرية في الشعر العربي القديم

قلنا ان الشعر العباسيّ تأثر بالمجارى الفكرية التي عرفت في العصور العباسيّة من فلسفة وكلام وتصوّف ، وقد وصلت اليه هذه المجارى المختلفة من منابع اجنبية ، منها هندية ، ومنها فارسية ويونانية ورومانية ومسيحيّة ، ويهودية وسريانية لم تكن معهودة عند العرب من قبل . وقد ذكرنا ان طه حسين قسّم هذه الثقافات الى عربية خالصة ، وشرقيّة ، ويونانية . اما الثقافة العربية الخالصة فهي تراثهم القديم من شعر ودين ، واما الثقافة الشرقية فهي ما اخذوه عن الهنود والفرس ، والساميين لا سيما اليهود والسريان (١). وقد اختلط العرب بالهنود عن طريق التجارة ، ولم يبلغ هذا الاختلاط ذروته الّا بعد الفتح الاسلامي ، فتسربت اليهم مبادئهم الروحية ، واخذوا عنهم من حكمهم وادبهم . وقد افاد العرب من حياة الفرس الاجتماعية ، واخذوا عنهم الادب ، وتأثروا بالذوق الفني الرفيع ، فالفرس قد امتازوا — على حد تعبير حتي وجبور " بالميل الى تذوق الجمال ، وكادت ان تكون هذه الناحية مفقودة في ثقافة العرب الساميين ، فاقتبسوها منهم " (٢). واما تأثير اليهوديّة والمسيحيّة فظاهر في حياة العرب ، لا سيما في الناحية الدينية وقد نقلوا عنها تقاليد ، لم يعرفها العرب الجاهليون من قبل .

واما الثقافة اليونانية ، فهي ما نقله العرب عن اليونان من فلسفة ، وعلم ، وكان للسريان اليد الطولى في نقل العلوم ، وقد عرّفوا الشرق بفلسفة اليونان وعلومهم ، واخذوا ينشرون مذهب الافلاطونية الحديثة في العراق وما حوله ، وكان الشرق الادنى قبل الدعوة الاسلامية ، متأثرا بالروح اليونانية ، " ففي مدارس القسطنطينية المسيحية — على حدّ تعبير المقدسي — " وفي مدرسة حرّان الصابئية ، ومدرسة جنديسابور الفارسية ، والرّها السريانية ، وفي مدرسة الاسكندرية اليونانية الوثنية ، كان الفكر اليوناني سائدا "(٣) ، وعن طريق الفتوحات الاسلامية الى سوريا ، ومصر ، وسواها من بلدان البحر الابيض المتوسط ، تأثر الفكر العربي بالفلسفة اليونانية ، وبغيرها من الثقافات ، فنقلت الكتب في العصور العباسيّة ، وترجمت ، وقد قال الجاحظ في ذلك معترفا : " لولا ما اودعت لنا الاوائل في كتبها ، وخلّدت من عجيب حكمتها ، ودوّنت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا . فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وادركنا ما لم نكن ندركه الا بهم ، لما حسن حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا الى المعرفة " (٤). وللفلسفة اليونانية لا سيما الافلاطونية الحديثة ، على حد تعبير احمد امين — " اثر كبير في فلاسفة المسلمين ، وعلماء الكلام ، وخاصة المعتزلة والصوفية " (٥) . وقد كانت الحياة الفكرية هذه تساير الخليفة واهوائه ، فان كان من انصارها عززها ورفعها ،

---

(١) الرسالة ص: ٣٢
(٢) حتي — جرجي جبور — تاريخ العرب ج:٢ (مطوّل) ص: ٣٨٢
(٣) انيس المقدسي — امراء الشعر العربي ، ص: ٤٣
(٤) عمرو بن بحر الجاحظ — الحيوان ج:١ (مصر ، ١٩٠٧م) ص: ٤٢ ، ٤٣
(٥) احمد امين — فجر الاسلام (مصر ، ١٩٢٨م) ص: ١٥٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وشجع فيها الترجمة والنقل ، وان كان من اعدائها قتلها ، وطمس آثارها ، وكفّر اهلهـــا ، وقد بلغت حرية الفكر اوجها في عصر المأمون " بسبب ما كان لهذا الخليفة من نزعة عقلية ، ومـن ميل الى مذهب المعتزلة ، القائلين بوجوب التوفيق بين النصوص الدينية ، وبين احكام العقل " (فاندفع) نحو فلسفة الاغريق يبحث عما يبرّر موقفه او يؤيد آراءه " (١) . وقد نشأ الكـلام في العصر العبّاسي ، وتفرق الى مذاهب عديدة ، اشهرها المعتزلة ، وعلى رأسها الخليفة المتحرّر المأمون . وقد اتخذت حركة المعتزلة الفلسفة وسيلة لفهم القرآن ، ونادت بخلقـه ، ونفي الصفات عن الله والتوحيد ، ونبغ طائفة من فلاسفة المسلمين في الشرق والغرب ينقلـون الكتب اليونانية ، ويدرسونها ، ويحلّلونها ، ويستمدون منها ، لا سيما كتب ارســـطو ، والافلاطونية الحديثة ، فكان الكندى والفارابي وابن سينا في الشرق ، وابن باجه وابن طفيل وابن رشد في الغرب ، وظلت الفلسفة الاسلامية — كما يقول دى بور (De Boer) — " انتخابيّة ... قوامها الاقتباس مما ترجم من كتب الاغريق ، ومجرى تاريخها ادنى ان يكـون استمدادا من معارف السابقين ، لا ابتكارا "(٢) . وقد تأثر الادب العربي بالفلسفة ، ونشـأ في العصر العباسيّ الشعر الفلسفي الذى يبحث ويحلّل ، فكانت قصيدة " النفس " لابن سـينا ، وغيرها من القصائد التي عبّر فيها الفلاسفة عن آرائهم الفلسفية . ثم نشأ في العصر العباسيّ قصص تعالج مواضيع فلسفية ، فكانت قصة حي بن يقظان لابن الطفيل الاندلسي ، وهذه القصة ليست الا تحليلا وتوضيحا للفلسفة الافلاطونية الحديثة ، والاستشراق الصوفي ، وأمّا الصوفيّة ، فكانت مجرى آخر من مجارى الفكر في العصور العباسيّة ، فنشأ عنها الشعر الصوفيّ الـــذى يعنى بتمجيد الله ، والتعلّق به تعلّقا شديدا ، حتى يتّحد معه ... ولم تكن الصوفيـــة ربيبة العصور العباسيّة ، ولكنها اختمرت فيها ، واتخذت طريقا خاصا بها . فقد كان محمد بن عبد الله يعتزل في غار حراء ، ويمارس حياة الزهد والتقشف والتعبّد ، حتى يصل الـــى اعلى درجة في التأمل حيث يتّحد مع الله ، ويصبح هو اياه (٣) . فيخاطب الملأ بلسان الخالق ، وقد تأثر الخلفاء الراشدون بتزهد النبي العربي ، وظهر هذا التأثر في كـــل العصور ، غير انه اختمر في العصور العباسيّة بالافكار الهلينيّة والفارسية والهندية ، فاصبح حركة قائمة بذاته . وكانت هذه الحركة الصوفية — على حدّ تعبير حتي وجبور — " حركـــة معاكسة للنظر العقلي في الدين ، وحصره في قوالب لا تتغيّر " (٤) . فالصوفيون هـــم — كما يقول السرّاج — محل جميع الاحوال المحمودة والاخلاق الشريفة سالفا ، ومستأنفا ، وهـــم مع الله تعالى في الانتقال من حال الى حال ، (وان الله) معهم اين ما كانوا ، وانه حاضر لا يغيب ، وهو بكلّ مكان ، لا يسعه مكان ولا يخلو منه مكان " (٥) . وبهذا دعوا الى شـمول الالوهية ، وواجب الاتصال بالله ، والاتحادية . وقد اشتهر شعراء صوفيون يهيمون بحـب الله ، فهو عندهم كل الكمال ، وكل الجمال ، وكل الحق ، ومن اشهرهم رابعة العدويـة ،

---

(١) حتى — جرجي — جبور — تاريخ العرب ج٢ ص: ٣٨٥

(٢) ت.ج . دى بور — تاريخ الفلسفة في الاسلام (ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة) القاهرة ، ١٩٣٨م) ص: ٣٤

(٣) هكذا افسّر الوحي

(٤) حتى — جرجي — جبور — تاريخ العرب ج٢ ، ص: ٥٢١

(٥) ابو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي — اللمع في التصوف (نشر و.ا . نيكلسون) (ليدن ، ١٩١٤م) ص: ٢٠ ، و ٤٠٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وابن الفارض في الشرق ، وابن الفارض العربي في الغرب .

نـــرى مما تقدم ان الفلسفة اليونانية اثرت تأثيرا فعّالا في الفكر العربي القديم فنظمته بعد ان كان مضطربا ، مشوشا ، ومزجته بتيارات اجنبيّة لم تكن معهودة من قبل . وهـــذه التيارات الفكرية الرئيسيّة عرفت بالفلسفة وعلم الكلام والتصوف ، غير ان المسلمين لم يقبلـــوا الفلسفة لدينهم في كل العصور ، فبقي الدين منكمشا بعيدا ، غير قابل للتطوّر ، يكفّـــر الفلسفة ، ويشير الى اصحابها بالزندقة والكفر ، غير اننا لا ننكر تقرّب الدين من الفلســـفة في عصر المأمون ، حيث كاد ان يتخلص من كل تقليد قديم سخيف ، لذلك ظلّ الايمـان فـي الاسلام ساذجا ، فطريا ، يقوم على الاستسلام والخضوع لمشيئة الله ، دون جدل ولا كلام .

هـــذه هي المجارى الفكرية التي تغلغلت في الشعر العباسيّ ، وظهرت في نواح اشهرها في لزوميات ابي العلاء المعرّى ، وفي شعر الفلاسفة والصوفيين ، غير ان الشـــعر العربي القديم عامة ، كان بعيدا عن الفكر والمنطق ، متلهّيا بمدح الخلفاء والامراء ، وكـــان همّ الشاعر ان يعنى بالالفاظ البديعيّة ، والصور البيانية ، لا يتجاوز المحسوس الملموس ، مما حمل النقاد القدماء على القول ان الشعر صناعة ، ويجب ان يتوخّى فيه الشاعر الاجادة اللفظية ، والاتقان المعنوى ، لذلك لم يكن للشعر العربي القديم حظ كبير في التأمـــل الفكرىّ المجرّد ، الذى يرفعنا عن المادة المحسوسة ، وظلّ الشعراء في جميع العصـــور العربيّة القديمة ، لا يصوّرون الا ما يرونه ببصرهم لا ببصيرتهم ، وفي ذلك يقول طه حسين : " فكان احدهم اذا اراد ان يأتي بفكرة ، او يصوّر معنى من المعاني لا يأتي به سهلا ولا يسيرا ، ولا يأتي به على انه معنى يتحدث به قلب الى قلب ، او عقل الى عقل ، وانما يأتـي به في صورة نحسها باللمس ، وبالعين او بالاذن فحسّها على كل حال . ومن هذه الناحية كثر الشعر البديعي ، وكثر فيه التشبيه والاستعارة " (١) . هكذا كان الشعر العربـــي القديم ، لذلك لم يكن للنفس البشريّة قيمة عند الشعراء العرب القدماء ، ولم يأبهوا بالبحـــث عن اسرارها الخفيّة وماهيّتها العجيبة ، فظلّ الشعر كما كان منذ القديم ، خارجا عـــن النفس البشرية ، والعقل الانسانيّ ، كلّنا نرى قبسا روحيا ضئيلا في بعض نواحي الشـــعر العربي القديم ، فما هي هذه النواحي الروحية في الشعر العربي القديم ؟

٤) النواحي الروحية في الشعر العربي القديم

مرّ معنا في فصل مضى كيف يفهم الفرنجة والعرب ادب الروح (٢) . وقد اتضح لنا ان الادب الروحيّ بطبعه ، وهو مقدّس سماوى ، وان الادب الحقيقي الخالد هو الذى يتناول مواضيع انسانية ، يشترك فيها العالم بأسره ، ويغنيها بلسان واحد ، وان الادب الحقيقـــي هو الذى يرفعنا عن المادة ، ويحلّق بنا في السماوات ، بعيدين عن سفاسف الارض ، معتصمين بالمثل العليا والاخلاق الفاضلة ، وقلنا ان المواضيع التي يعالجها الادب هـــي

---

(١) طه حسين — من حديث الشعر والنثر ، ص: ١٠٤

(٢) الرسالة — ص: ١٧ — ٢٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مواضيع مجرّدة ، قد تخطر ببال كل انسان ، فيسأل عنها ويتأمل فيها ، لأن في كل انسان روحا شاعرة ، وأما الشعراء فهم الذين ينقلون الينا اختباراتهم الناضجة ، فنشاركهم في الانسانية جمعاء ، فهي مواضيع روحيّة ، مجرّدة كالله والحب ، والكمال والجمال والحقيقة ، والدين والفضيلة ، والحرية ، والعقل ، والروح والنفس والسعادة والموت والمعاد والخلود ، وسأبحث في الصفحات التالية ، في الشعر العربي القديم ، عن هذه المواضيع المجرّدة وكيف فهمها الشعراء العرب القدامى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٥ - القيم الروحية في الأدب العربي القديم

الله

نظر العرب الى الله كما نظر الاسرائيليون اليه من قبل ، وقد تأثر العرب " بيهوه " الاسرائيلي الذى خلق السموات والارض ، ثم خلق آدم وحوّاء ، ثم استوى على عرشه حاكما مسيطرا ، يرضى على شعبه تارة ، ويسخط عليهم تارة اخرى . وكما جاء في التوراة انه " قاض عادل ، واله يسخط كل يوم " (١) ، ولا يستطيع احد ان ينزل في مسكنه غير " السالك بالكمال ، والعامل الحق ، والمتكلم بالصدق في قلبه " (٢). وهو الذى ينزل الروح على من يشاء ، ويردّها متى شاء ، وهو انانيّ قاس ، لا يرحم الّا الذين يخافونه ، ويعبدونه ، ويسيرون خاضعين لمشيئته " ولمّا جاء المسيح بن مريم ، تغيّر النظر الى الله ، واصبح الله صديقا محبا ، وابا رحوما ، بعد ان كان انانيا حقودا ، وبطّاشا قاسيا ، فانزاح عن ظهر البشر كابوس " يهوه" الاسرائيلي ، واحسّوا بقيمتهم الانسانية ، واطمأنت قلوبهم ، وراحوا ينشدون مع المسيح : " لا تقاوموا الشرّ . بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر ايضا ... احسنوا الى مبغضيكم ، وصلّوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم" (٣) .

وقد ظهر اثر هذه الافكار في الشعر العربي الجاهليّ ، كما ظهر ايضا تأثير الاله " يهوه" على ان الشاعر الجاهلي ، لم يعالج مشكلة الله معالجة عامة ، ولم ينظم في الله قصيدة تأمليّة خاصة ، بل كان يذكره عرضا ببيت من الشعر او بيتين دون تعمّق ، ودون بحث في جوهره ، وجلّ ما نجده عن فكرة الله ، آراء متفرقة هنا وهناك ، بعضها متأثر بالآراء الاسرائيلية والمسيحيّة .

ان الله يمنح السائل ولا يخيبه ، وبالله يدرك الخير كله ، والله هو الحاكم الاكبر ، وهو الذى يقسّم الخلائق الى درجات ، وينبغي على الانسان ان يقنع بما منح ، ان الله يهلك من يشاء ، ويعطي ويمنح من يشاء ، بيده الملك كله ، وينبغي على الانسان ان يتّقيه ، ويخافه ، لأنّه هو الخالد الازليّ وما سواه باطل فان ، والله هو حقّ ، عالم بكل شيء ، غفور ، رحيم ، وشفيع لمن يطيع . وفي ذلك قال هؤلاء الشعراء : عبيد بن الابرص ولبيد بن ربيعة ، وزهير بن ابي سلمى وغيرهم :

قال عبيد بن الابرص :

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير ... والقول في بعضه تلبيب (٤)

وقال لبيد بن ربيعة :

فاقنع بما قسم المليك فانما ... قسم الخلائق بيننا علّامها (٥)

وقال زهير ابن ابي سلمى :

ألم تر ان الله اهلك تبعا ... واهلك لقمان بن عاد وعاديا (٦)

---

(١) التوراة ـ (القاهرة ، ١٩٣٨م) ـ سفر التكوين : الاصحاح الاوّل عدد : ١٢
(٢) التوراة ـ المزمور الخامس عشر
(٣) الانجيل ـ متى : الاصحاح الخامس ، عدد : ٣٩ و ٤٤
(٤) ابو زيد محمد بن الخطاب القرشي ـ جمهرة اشعار العرب (مصر ، ١٣٣٠هـ) ص: ٢٠٢
(٥) ابو زكريا يحي بن علي التبريزى ـ شرح القصائد العشر (مصر ، ١٣٥٢ هـ) ص: ١٧٤
(٦) زهير بن ابن سلمى ـ شرح ديوان زهير بن ابي سلمى (شرح احمد بن يحي بن زيد الشيباني) (القاهرة ، ١٩٤٤م) ص: ٢٨٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال عبدة بن الطبيب :

اوصيكم بتقى الاله فانه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع (١)

وقال لبيد ايضا :

ألا كل شيء ما خلاالله باطل وكل نعيم لا محالة زائل (٢)

وقال زهير ايضا :

بدا لي ان الله حقّ فزادني الى الحقّ تقوى الله ما قد بدا ليا (٣)

وقال ذو الاصبع العدواني :

ان الذى يقبض الدنيا ويبسطها ان كان اغناك عني سوف يغنيني
الله يعلمني والله يعلمكم والله يجزيكم عنّي ويجزيني (٤)

وقال السفّاح بن بكير :

صلّى على يحيى واشياعه ربّ غفور وشفيع مطاع (٥)

ومن الشعراء العرب المسيحيين المشهورين امية بن ابي الصلت ، وله آراء في الله ، لا تختلف عما سبقه ، غير انه امتاز بمدائحه الالهيّة ، فالله في نظره ، هو اله السماوات والارض ، وهو الذى بنى السماوات السبع الشداد ، وزينها بالنجوم وبالشمس والقمر ثم اخرج من الارض عيونا وانهارا ، وقد خلق الليل والنهار ، وبرأ الخلق كله ، وعلى الناس جميعا ان يطيعوه ويعبدوه ويمدحوه ، كل شيء فان ، امّا الله فهو الصمد الازلي ، يحيي ويميت ، وهو الواحد المهيمن ، لا شريك له ، وهو النور المتوقّد ابدا . وفي ذلك قال امية بن ابي الصلت :

آله العالمين وكلّ ارض وربّ الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا بلا عمد يرين ولا رجال
وسوّاها وزينها بنور من الشمس المضيئة والهلال
وشقّ الارض فانبجست عيونا وانهارا من العذب الزّلال (٦)

وقال ايضا :

خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور (XVI)
ثم يجلو النهار رب كريم بمهاة شعاعها منشور (XVII)

---

(١) ابو العباس المفضل بن محمد الضبي ـ المفضليات (مصر ١٩٢٦) ص: ٦١
(٢) لبيد بن ربيعة ـ ديوان لبيد ـ (تحقيق بروكلمان) (ليدن ١٨٩١) ص: ٢٨
(٣) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ـ ص: ٢٨٨
(٤) المفضليات ـ ص: ٧١
(٥) المصدر نفسه ـ ص: ١٥٤
(٦) امية بن ابي الصلت ـ ديوان امية بن ابي الصلت (بيروت ١٩٣٤) ص: ٤٩
(٧) المصدر نفسه ـ ص: ٣٧ و ٣٨
(٨) المصدر نفسه ص: ٣٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال :

هو الباري الخلق والخلق كلهم اماله طوعا جميعا واعبد
وانّى يكون الخلق كالخالق الذى يدوم ويبقى والخليقة تنفد
وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذى يميت ويحي دائبا ليس يهمد (١)

وقال ايضا :

ويفنى بعد جدّته ويبلى سوى الباقي المقدّس ذى الجلال (٢)

وقال :

مليك على عرش السماء مهيمن لعزّته تعنو الوجوه وتسجد
عليه حجاب النور والنور حوله وانهار نور حوله تتوقّد (٣)

وقد قال مادحا الله ، مثنيا عليه :

الى الله اهدى مدحتي وثنائيا وقولا رضينا لايني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه اله ولا ربّ يكون مدانيا (٤)

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء اعلى منك مجدا وامجد (٥)

ولمّا جاء محمد بن عبد الله مبشرا بالله ، لم تختلف آراءه عمّا كان معروفا في التوراة والانجيل ، وقد ظهر في قرآنه اثر اطلاعه على الكتابين المذكورين ، وتأثره الشديد بهما ، فالله هو فاطر الارض والسماوات وما فيهما ، وله ملك السماوات والارض ، وهو على كل شيء قدير ، والله واحد عالم بكل شيء ، يحي من يشاء ، ويميت من يشاء ، وهو اله شبيه بيهوه الاسرائيلي ، فيقول محمد مخاطبا قومه ان الله " هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء ، فسوّاهنّ سبع سموات وهو بكل شيء عليم (٦) ... الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ، وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير ... والهكم اله واحد لا اله الّا هو الرحمان الرحيم ... (٧) لا يخفي عليه شيء في الارض ولا في السماء (٨) ... قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد (٩).

ويقول ايضا عليّ بن ابي طالب في الله :

الله حيّ قديم قادر صمد وليس يشركه في ملكه احد (١٠)

---

(١) امية بن ابي الصلت ـ ديوان امية بن ابي الصلت ، ص: ٢٨
(٢) المصدر نفسه ، ص: ٤٩
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٧
(٤) المصدر نفسه ، ص: ٢٢
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٢٧
(٦) القرآن ـ (مصر ، ١٣٥٨ هـ) سورة البقرة عدد: ٢٩
(٧) المصدر نفسه ـ ج ٢: عدد : ١٠٧ و ١٦٣
(٨) المصدر نفسه ـ سورة آل عمران عدد : ٥
(٩) المصدر نفسه ـ سورة الاخلاص ، عدد : ١ ـ ٤
(١٠) علي بن ابي طالب ـ ديوان علي بن ابي طالب (بيروت ، ١٣٧٧ هـ) ص: ٥٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويخاطب ربّه مبتهلا اليه :

الهي وخلاقي وحرزي وموئلي اليك لدى الاعسار واليسر افزع

اليك ربّي لا الى سواكا اقبلت عمدا ابتغي رضاكا (١)

هكذا ظهر تأثير القرآن في الشعر العربي القديم ، وهكذا فهم محمد الله وصوره للعرب الوثنيين . وقد تجلّى تأثير القرآن فيما بعد في الشعر العربي القديم لا سيّما العباسيّ منه ، بعد ان تغلغلت الفلسفة في الفكر العربي ، فاتخذ هذا الفكر مذاهب شتّى في تفسير القرآن والبحث في طبيعة الكون وفي جوهر الله ، غير ان الشعر العباسيّ ظلّ زمنا طويلا لا يأتي على ذكر الله الّا عرضا ، واذا تناوله بالبحث ، وصفه كما حملته اليه الكتب الدينية ، دون ان يبحث في جوهره ويفرد القصائد في محبته .

قال العجّاج بن رؤبة في مدح الله :

الحمد لله الذى تعلّت بأمره السماء واستقلّت

باذن الارض وما تعنّت ارسى عليها بالجبال الثبّت (٢)

وقال ايضا :

فالحمد لله العلىّ الاعظم ذى الجبروت والجلال الافخم

وعالم الاعلان والمكتّم ورب كلّ كافر ومسلم (٣)

وكذلك قال الاسعد بن عسّال :

الشكر لله الوحيد الذات سبحانه مثلث الصفات

احمده كمثلما هو اهله اذ فاض بحر جوده وفضله (٤)

قلنا ان الشعراء العبّاسيين تأثروا بالافكار الفلسفية التي انتشرت في جميع الاوساط الادبية ، لكنهم لم يفردوا القصائد في البحث الفلسفي عن جوهر الله ، بل اكتفوا في ان يذكروه عرضا ، متأثرين بآراء الفلاسفة ، كما سمعوها ، او كما فعل الشعراء السابقون متأثرين بالكتب المقدّسة ، ولا نجد نظرا تأمليا في الله الّا في لزوميات ابي العلاء المعرّى اذ نجده مكوّنا لنفسه آراء شخصية حرّة ، بعد اطلاعه الواسع على الفلسفة والعلوم ، وامّا في سائر الشعر العربي القديم فنقرأ خواطر وآراء سائرة . فالله هو المدبّر وهو الذى يقضي ويقدّر والانسان مسير لا مخير ، فالخوف من الله اولى وعبادته اسلم وفي ذلك قال ابو نواس :

---

(١) علي بن ابي طالب — ديوان علي بن ابي طالب (بيروت ، ١٣٢٧هـ) ص ٢٠ و ٣٥ و ٣٩

(٢) ابو الفرج الاصبهاني — الاغاني ج ٢١ (ليدن ، ١٣٠٥ هـ) ص ٨٥

(٣) لويس شيخو — شعراء النصرانية بعد الاسلام (بيروت ، ١٩٢٤) ص ٢٣٣

(٤) المصدر نفسه — ج ٣ (بيروت ، ١٩٠٦م) ص ٣٦٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ليس للأنسان الا ما قضى الله وقدّر
ليس للمخلوق تدبير بل الله المدبّر (١)

وقال ايضا :

يا سائل الله فزت بالظفر وبالنوال النهي لا الكدر
فارغب الى الله لا الى بشر منتقل في البلى وفي الغير
وارغب الى الله لا الى جسد منتقل من صبا الى كبر (٢)

وقال ابو تمام في الخوف من الله :

اخاف الهي ثم ارجو نواله ولكنّ خوفي قاهر لرجائيا
ولولا رجائي واتكالي على الذى توحّد لي بالصنع كهلا وناشيا
لما ساغ لي عذب من الماء بارد ولا طاب لي عيش ولا زلت باكيا (٣)

وقال ابن دريد في القضاء :

قلت القضا ما لك امر الفتى من حيث لا يدرى ومن حيث درى
لا تسألنّي واسأل المقدار هل يعصم منه وَزَرٌ ومزدرى (٤)

ولأبي العلاء المعرّى آراء تأملية في الله ، يؤمن بقدرته على كل شيء ومعرفته لكل شيء ، ويستسلم لقضائه وقدره ، فالانسان محكوم مسيّر ، لن يستطيع ان يأبق من حكم ربه ، ويستهزئ ابوالعلاء من الذين يدّعون المعرفة ، ويدّعون المقدرة والقوة ، لأن الاقدار تمرّ بهم ضاحكة ، وتعبث بهم كما تشاء ، وفي ذلك قال :

قضى الله فينا بالذى هو كائن فتمّ وضاعت حكمة الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من ارض له وسماء ؟ (٥)

عجز الاطبة عن جروح نوائب ليست بغير قضاء ربك تبسير (٦)

اذا كنت لا تستطيع دفع صغيرة المّت ولا تستطيع دفع كبير
فسلم الى الله المقادير راضيا ولا تسألنّ بالامر غير خبير (٧)

رددت الى مليك الحق امرى فلم اسأل متى يقع الكسوف
لكم سلم الجهول من المنايا وعوجل بالحمام الفيلسوف (٨)

---

(١) ابو نواس — ديوان ابي نواس ص: ١٩٦
(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٩٦
(٣) ابو تمام — ديوان ابي تمام الطائي (بيروت ١٨٨٩م) ص: ٤٣٢
(٤) ابو بكر بن الحسن دريد الازدى — مقصورة ابن دريد — (مصر ١٩٣٩م) ص: ١٣٣
(٥) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم ج ١: ص: ٥٣
(٦) المصدر نفسه ، ص: ٣٢٠
(٧) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم ج ٢: ص: ٣٨٢ المصدر نفسه ، ص: ٣٨٢
(٨) المصدر نفسه ص: ١٠٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تقفون ، والفلك المسخر دائر وتقدرون فتضحك الاقدار (١)

نبكي ونضحك والقضاء مسلط ما الدهر اضحكنا ولا ابكانا
تشكو الزمان وما اتى بجناية ولو استطاع تكلما لشكانـــا (٢)

وقال في قدرة الله :

اذا ما اعظمي كانت هباء فأن الله لا يعيبه جمعي (٣)

فالله فرد قادر من قبل ان تدعى لآدم صورة او تحسبا (٤)

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر لخلق ولا بعث لأموات (٥)

ويؤمن ابو العلاء بوحدانية الله ، وبأن الله قد انفرد بسلطانه ، فلا مثيل له ، وهو فنّان كبير مبدع ، وعليم خبير بكلّ شيء ، والله ازليّ قديم ، مهيمن لا يتغيّر .

قال في وحدانية الله :

توحّد فان الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء (٦)

انفرد الله بسلطانه فما له في كلّ حال كفاء (٧)

وقال في ابداع الله وقدرته :

وبدائع الله القدير كثيرة فيخور فيها لبّنا ويحار (٨)

والناس من صنعة الخلاق كلهم كالخلط يقرأ حينا ثم يندرس (٩)

اما يرى الانسان في نفســـه آيات ربّ كلها غرّ (١٠)

عجبي كيف يلحد في الخالق من بعد درسه التشريحا (١١)

لم يحص اعداد رمل الارض ساكنها وكل ذلك عند الله محصور (١٢)

---

(١) المصدر نفسه ص: ٣٦٥ ① أبو العلاء المعري — لزوم ما لا يلزم ج:١ ، ص : ٣٠٦
(٢) المصدر نفسه ص: ٩٦
(٣) المصدر نفسه ص: ١٠٣
(٤) المصدر نفسه ص: ١٧٥
(٥) ابو العلاء المعري — لزوم ما لا يلزم ج:١ ص: ٥٢
(٦) المصدر نفسه ص: ٥٩
(٧) المصدر نفسه ص: ٣٣٢
(٨) المصدر نفسه ص: ٢١
(٩) المصدر نفسه ص: ٣٤٤
(١٠) المصدر نفسه ص: ٢٧٤
(١١) المصدر نفسه ص: ٣١٤
(١٢) المصدر نفسه ص: ٣١٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقال ايضا في ازلية الله :

لنا خالق لا يمترى العقل انه قديم فما هذا الحديث المولّد (١)

الم تر للدنيا وسوء صنيعها وليس سوى وجه المهيمن ثابت (٢)

كم غيرتنا بأمر حظّ حادثه وربنا الله لم تلحم به الغير (٣)

والجهل اغلب غير علم اننا تفنى ويبقر الواحد القهّار (٤)

تغيرت الاشياء والملك ثابت مغاربه موفورة ومشارقه (٥)

خالق لا يشكّ فيه قديم وزمان على الانام تقادم (٦)

أن هذا الشاعر المتأمل ، ابا العلاء المعرى ، كان فريد عصره ، سابق اوانه ، غير ان تشاؤمه الهدّام في الحياة ادّى الى احتقاره للانسان وقيمته ، ثم الى الخضوع والاستسلام فلم يتحرّر ابو العلاء من عبودية الله ، كما تحرر من عبودية الناس ، وتقاليدهم الدينية والادبية ، ولم يترك للانسان مجالا للسعي والكفاح في سبيل العمل الصالح ، والارتقاء ، بل كبّله بالله وقضائه ، فالله حرّ ، عظيم ، والانسان عبد ذليل ، والله يعطي من يشاء متى شاء ، ويمنع من يشاء متى شاء ، واما الانسان ، فلا يعطي ولا يأخذ الّا باذنه تعالى ، والانسان حقير عاجز ، في نظر ابي العلاء ، مشلول ، طفيليّ يعيش بلا سعي ، ينتظر من ربه الرحمة والعطاء ، فاذا اراد ، اماط عنه البؤس والضرّ ، وينبغي على الانسان ان يعبد الله في سعادته وشقائه ، وان يستسلم الى قدره وقضائه . وفي ذلك يقول ابو العلاء :

نحن عبيد الله في ارضه واعوز المستعبد الحرّ
بفضل مولانا واحسانه يماط عنا البؤس والضرّ (٧)

آمن به والنفس ترضى وان لم يبق الا نَفَس واحد (٨)

اما الحياة فلا ارجو نوافلها لكنني لالهي خائف راجي (٩)

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٧ (ابو العلاء المعرى ـ لزوم ما لا يلزم ج: ١ ص: ٢٧٠
(٢) ابو العلاء المعرى ـ لزوم ما لا يلزم ج ١ ص ٢٨٧ المصدر نفسه ، ص: ١٥٠
(٣) المصدر نفسه ص: ٣١١
(٤) المصدر نفسه ص: ٣٣٤
(٥) المصدر نفسه ص: ١٢٣
(٦) المصدر نفسه ص: ٣٣٦
(٧) المصدر نفسه ص ٣٣٤
(٨) المصدر نفسه ص: ٢٥٤
(٩) المصدر نفسه ص: ٢٠١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واما الله في نظر الفلاسفة فهو جوهر ، وهو كل الكمال ، وكل الجمال ، وكل البهاء ، وقد عبر بعض الفلاسفة العرب عن رأيهم شعرا ، متحررين من عبودية الدين ، باحثين عن جوهر الكون ، وماهيته ، وبعد ان كان الله بعيدا عن الانسان والاكوان ، اصبح قريبا منه ، يحل في كل آية من آياته ، وبعد ان كان لله صفات الانسان الجبار ، اصبح جوهرا ، وقوة كبيرة تتجلى في كل مكان . وفي ذلك قال ابن سينا :

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد (١)

فيه الكمال بل هو الكمال جوهره البهاء والجمال
مرتب فيه وجود الكل والعلم بالله مفيض العدل (٢)

والله روح كبيرة ، تحل في كل بدن ، لتعلم ما على الارض ، ثم تتحد مرة اخرى بتلك الروح الكبيرة عالمة بما لم يعلم ، وهذه النظرية ظاهرة في قصيدة (النفس) لابن سينا (٣) . وقد تأثر بهذه النظرية الصوفيون ، فاصبح الله عندهم الغاية القصوى التي يهدفون اليها ، فارتفعت قيمة الانسان ، وقدرته على الوصول الى خالقه ، واصبح الله قريبا محببا بعد ان كان بعيدا حاكما مسيطرا ، واشترك الانسان مع خالقه في تسيير الاكوان ، واصبح باستطاعته ان يتطور ويرتقي حتى يصل الى درجة الالوهية ، حيث يقترب من الله ويتحد به اتحادا كليا ، فيصبح هو اياه ، قادرا على كل شيء ، يسير الاكوان ، ويمد الشمس نورا ومن نوره ، ويمنح الكائنات ارواحا من روحه ، وينشد بحرية كبرى ، ظافرا ، مغتبطا ، بعيدا عن قيود البشر ، وعن تقاليدهم السخيفة . وقال الحلاج في اتحاده بالله :

انا من اهوى ، ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا (٤)

وقال ايضا :

انت بين الشغاف والقلب تجرى مثل جرى الدموع من اجفاني
وتحل الضمير جوف فؤادي كحلول الارواح في الابدان

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فاذا مسك شيء مني فاذا انت انا في كل حال (٥)

---

(١) ابو علي الحسين بن سينا — منطق المشرقيين ، ص: لز
(٢) المصدر نفسه ، ص: ٢
(٣) المصدر نفسه ، ص: كب — كج
(٤) محمد مصطفى حلمي — الحياة الروحية في الاسلام (مصر ، ١٩٤٥م) ص: ١١٥
(٥) المصدر نفسه ، ص: ١١٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقال ايضا :

انا سرّ الحق ما الحق انا بل انا حق ففرقق بيننا
انا عين الله في الاشيا فهل ظاهر في الكون الا عيننا (١)

ـ ولعلّ ابن الفارض اكثر الشعراء الصوفيين انشادا ، وهو الذي يبحث دائما عن الله ، ليقترب اليه ، ويتّحد به ، ويغنى ، ويصبح قادرا على كل شيء . يسيّر الاكوان ، ويمنحها ارواحا . وقال ابن الفارض في اتحاده بالله :

وها انا ابدي في اتحادي مبدئي وانهي انتهائي في تواضع رفعتي
ففي الصحو بعد المحو لم أل غيرها وذاتي بذاتي اذ تحلّت تجلّت
وبي موقفي لا بل اليّ توجّهي كذاك صلاتي لي ومنّي كعبتي
وروحي للأرواح روح وكل ما ترى حسنا في الكون من فيض طينتي (٢)

وقال ايضا :

وما سار فوق الماء او طار في الهوا او اقتحم النيران الّا بهمتي
ومنّي لو قامت بميت لطيفة لردّت اليه نفسه واعيدت
ولا ناطق غيري ولا ناظر ولا سميع سوائي من جميع الخليقة
وانجم افلاكي جرت عن تصرفي بملكي واملاكي لملكي خرّت (٣)

لاحظنا مما تقدم كيف تطوّرت فكرة الله ، من التوراة الى الانجيل ، ومن الشعر العربي الجاهلي الى القرآن ، ومن القرآن الى العصور الاسلامية الاولى ، فالعصور العباسية ، حيث امتزج الفكر العربي بثقافات عديدة ، متأثرا بالفلسفة اليونانية ، لا سيّما الافلاطونية الحديثة ، ولاحظنا في هذا المجرى التطوّري كيف ظهر الله عند الساميين ، وفي الشعر العربي القديم عامة . فمن اله بعيد اناني جبار منتقم ، الى اله قريب محبّ ، ومن اله جالس على كرسيه مسيطر مسيّر ، الى اله ذي روح كبيرة تمنح الكائنات ارواحا من روحها ، لذلك يتجلى الله في كل شيء ، ومن اله له صفات الانسان ، الى جوهر هو كل الكمال وكل الجمال ، وكل البهاء ، ومن اله متكبّر جبار لا يسمح لاحد ان يشاركه ملكه ، الى اله حبيب قريب ، يرتقي اليه الانسان بالمثل العليا ، ويتّحد به ، حتى يشاركه في المعرفة الكبرى ، وفي تسيير الكون ، وقد تطوّر الانسان مع الاله ، فبعد ان كان عبدا مقيدا بتقاليد الدين ، ذليلا ، متكلا ، مستسلما لله ، اصبح حرّا ، طليقا ، يستطيع ان يكون رفيق الاله وصنوه ، وبعد ان كان الانسان يخاف ويرتعد من الله ، اصبح يحبه ، ويهيم به ، فالخوف يبعّد الانسان عن ربّه ، والحبّ يقرّبه منه ، ولكن بعد ان اخذ الشعر الصوفي في الاضمحلال ، وعم الجهل والخراب في البلاد العربية ، انطوى الشاعر على نفسه ، خائفا من عصره ، مستمدا قوة ووحيا من الكتب الدينية ، فكثرت القصائد العربية الدينية في مدح الله وانبيائه .

---

(١) محمد مصطفى حلمي ـ الحياة الروحية في الاسلام ص: ١٥٥
(٢) ابن الفارض ـ ديوان ابن الفارض (القاهرة سنة ؟) ص: ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٥٨ ، ٦١ ، ٦٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحب

كان الحب عند شعراء العرب ، من اقدم عصوره حتى العصور العباسية الاولى ، حبا ساذجا ،فطريا ، لا يتجاوز ذكر الحبيبة والتغزل بها ، ثم البكاء لفراقها ،وكان غزلهم هذا وصفا ماديا لتلك المرأة ، شأن شعرهم في كل موضوع ، وكان همّ الشاعر ان ينتقل حيث الحسن والجمال . وقد اشتهر في العصر الاموي شعراء عرفوا بشدة اخلاصهم وصدقهم وتفانيهم في حبّ امراة واحدة ، كمجنون ليلى ، وكثير عزة ، وجميل بثينة وغيرهم وكان شعرهم حنينا وانينا لبعد الحبيبة التي قامت بينهما حتون اللقاء ،عثرات كثيرة . وقد جاء هذا الشعر وصفا لحالتهم المتيمة .

وللحب عند العرب منزلة رفيعة ، وقد افرد المؤلفون كتبا كثيرة في اخبار الشعراء الذين اشتهروا بحبهم العذري المخلص ، الصادق ، كمصرع العشاق للسرّاج ، وتزيين الاسواق للانطاكي ، وروضة المحبين لابن قيّم الجوزية ، وديوان الصبابة للمغربي ، وغيرها من الكتب القديمة التي جمعت اخبار عشاق العرب . وقد تناول هؤلاء المؤلفون الحب ودرسوه ، فوجدوا ان للحبّ مراتب ، وله درجات ، وللقلب سفر طويل شاقّ يصل فيه المحب الى الدرجة القصوى ، حيث الشوق والجنون ، وقد ذكر المغربي في ديوان الصبابة سفر هذا القلب المحبّ ، اذ ابتدأ بالهوى ، وهو ادنى درجة ، واقرب طريق ، ثم العلاقة ، ثم الكلف ، ثم العشق ، ثم الشغف ، ثم التيّم ، ثم الشوق (١) .

وللحب قوم نفوسهم كريمة ، وقلوبهم صافية ، نزيهة ، وهم قوم مخلصون حتى الموت ، متفانون حتى الهلاك ، وفي ذلك قيل :

فللحبّ اقوام كرام نفوسهم منزهة عما سوى الحبّ يا خلي (٢)

وهذا الحب عميق مخلص ، لا يأبه بالحسن ولا بالسماحة ، بل بشيء جوهري مكنون في المحبوب ، وفي ذلك قيل :

وما الحب من حسن ولا من سماحة ولكنه شيء به الروح تكلف (٣)

وقد بلغ التحدّث عن الحب ، والايمان به ، ذروته في ذلك العصر ، حتى قال الشاعر العباس بن الاحنف في الذين لا يحبّون :

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحبّ ويعشق (٤)

وقد قال ابن الصائغ في الذين يكتمون حبهم ، ويموتون شهداء في سبيله :

فقد جاءنا عن سيّد الخلق احمد ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذي في الحب يكتم وجده يموت شهيدا في الفراديس نازلا
وماذا كثيرا للذي مات مغرما سقيما عليلا بالهوى متشاغلا (٥)

---

(١) المغربي — ديوان الصبابة على هامش تزيين الاسواق (مصر ، ١٢٩١ هـ) ص: ١٨ — ٢٠
(٢) داود الانطاكي — تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق (مصر ، ١٢٩١ هـ) ص: ٢٣
(٣) المصدر نفسه — ص: ١٧
(٤) العباس بن الاحنف — ديوان العباس بن الاحنف (بغداد ، ١٩٤٧) ص: ١٧١
(٥) الانطاكي — تزيين الاسواق ص: ٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هكـــذا عرّف الشعراء الحبّ ، وقد عرّفوه اخلاصا ، وتفانيا وجهادا ،موتا ، كما ظهر في الشعر العذري . وكان هؤلاء الشعراء العذريون ، متفانين في حبهم حتى المـوت ، تتقرّح عيونهم من البكاء الشديد ، وتتفتت اكبادهم من الحزن العميق ،والالم المتواصـــل ، والمرض المضني ، حتى يخرج الشاعر عن طوره ، ويجن جنونه ، فنسمع قيس بن ذريح يحدثنا عن دائه :

عند قيس من حب لبنى ولبنى ... داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادني العوائد يوما ... قالت العين لا ارى من اريد
ليت لبنى تعودني ثم أقضي ... انها لا تعود فيمن يعود (١)

وكذلك يصف عروة بن حزام ما تحمّله من حب عفراء :

على كبدي من حبّ عفراء قرحة ... وعيناي من وجد بها تكفان
تحملت من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان
واني لاهوى الحشر اذ قيل انني ... وعفراء يوم الحشر ملتقيان (٢)

ويجد كثيّر عزّة في البكاء شفاءه :

وقالوا فأت ،فاختر من الصبر والبكا ... فقلت البكاء اشفى اذا لخليلي
تولّيت محزونا وقلت لصاحبي ... اقاتلني ليلى بغير قتيل (٣)

ويميل ذو الرمّة حيث تميل حبيبته :

اذا هبت الارياح من نحو جانب ... به آل عيّ زاد قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما ... هوى كل نفس اين حلّ حبيبها (٤)

ويحدثنا قيس عن جنونه :

قالوا جننت بمن تهوى ،فقلت لهم ... العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وانما يصرع المجنون في الحين
اني جننت فهاتوا من جننت به ... ان كان ينفي جنوني لا تلوموني (٥)

واما اخلاصهم ، وتفانيهم ، فيظهران في كل حالة ، في الحياة ان غابوا ، وان حضروا ، وفي الموت وبعده ، وفي ذلك قال قيس ، المعروف بمجنون ليلى :

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ... ومن بين رمسينا عرض الارض منكب
لظل صدى رمسي وان كنت رمّة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب (٦)

---

(١) الانطاكي ـ تزيين الاسواق ،ص ٥٥
(٢) عروة بن حزام ـ ديوان عروة بن حزام (مخطوطة بخط جبرائيل جبور (بيروت ١٣٢٠هـ) ص ٤٣ ،
(٣) كثيّر بن عبد الرحمان الخزاعي ـ ديوان كثيّر ج ٢ (باريس ١٩٣٠م) ص: ٢٥١
(٤) الانطاكي ـ تزيين الاسواق ،ص: ٩٦
(٥) المغربي ـ ديوان الصبابة ،ص: ١٢
(٦) الانطاكي ـ تزيين الاسواق ،ص: ٧٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكذلك قال كثيّر عزة :

فاني وان صدت لمثن وصادق عليها بما كانت الينا ازلّت
فما انا بالداعي لعزّة بالجوى ولا شامت ان تعلل عزة زلّت (١)

وقال ذو الرمّة ايضا :

فبعض الهوى بالهجر يمحى فينمحي وحبك عندي يستجد ويرجح (٢)

وقد رأينا مما تقدم ان للحب عند العذريين منزلة رفيعة ، واخلاصا عميقا مستمرا ، وان شعراءهم عرفوا بحب واحد ، غير متنقل ، محصور في شخص معيّن ، وليس هو في الحقيقة — كما رأينا — على حدّ تعبير موسى سليمان " سوى حب يؤدي بصاحبه الى الهزال والاصفرار ، والنحول ثم الموت . وهو حب طاهر ... والحبيب العذري ، حبيب رقيق ، صادق في حبه حتى الموت ... اما داؤه ، فهو الحبيب المعبود ، ولكن دون الوصول اليه اهوالا واهوالا " (٣) . وهذا الحب لم يتجرّد ، ولم يتجاوز الجسد الا قليلا ، غير ان الاخلاص فيه ، والصدق والمحبة التي لن يزحزحها القدر ، جعلت منه استعداد اوليا لاقتحام درجات عالية في سلّم الحب الافلاطوني ، الذي يعرف بالحب الالهيّ ، والذي يغضله ، شاع في العصور العباسية المتأخرة حب الهي سام ، عرف بالحب الصوفي . غير ان الحبّ في الشعر العباسي عامة ، كان هوى متنقلا ، لم يتجاوز حب الجسد وملاذه . ونقرأ منه الكثير في دواوين ابي نواس وبشار بن برد وابن الرومي وغيرهم .

وقد هلّت الفلسفة في الفكر العربي ، وظهر تجاوبها في الشعر العربي فأخذ الشاعر يغذي تأملاته ، ويرفعها عن المادة ، متأثرا بفلسفة الحبّ الافلاطوني ، وكان من قبل ، قد خطا خطوة او اكثر عند الشعراء العذريين الذين تصوّفوا لحبّ واحد وفنوا في سبيله ، فلقيت هذه الفلسفة اليونانية في الفكر العربي تربة خصبة وارتقاء الى حب الهي مطلق ، ونرى ان كلا الحبين : الحب الافلاطوني والحب الصوفي يقصدان غاية واحدة وهي الوصول الى الله والاتحاد به .

وللصوفيين سفر روحيّ طويل ، مزوّد بالتوبة والمجاهدة ، والخلوة ، والتقوى والورع والزهد ، والصمت والحزن والجوع والصبر والاستقامة ، والصدق والاخلاص والحرية وغيرها من الاحوال والمقامات (٤) . فالحب عند الصوفيين اعراض عن الدنيا ، ولجراح الجسد ، ثم اطلاق الروح في سفرها الطويل الشاق ، حتى تبلغ بغيتها ومرادها ، فترى الله وتفنى به ، والصوفي يحن للوصول الى الله ، ورؤيته ، حتى اذا غمره النور انتشى ، واذا علم ، اعترته غبطة كبرى ، واذا وصل اتحد بالله وفني ، واصبح هواياه . فهؤلاء المحبون احياء بأرواحهم خالدون وفي ذلك يقول الشبلي :

---

(١) الانطاكي — تزيين الاسواق ج١ ص: ٥٠
(٢) المصدر نفسه — ص: ٩٥
(٣) موسى سليمان — الحب العذري ، (بيروت ، ١٩٤٧م) ص: ٤١
(٤) ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري — الرسالة القشيرية في علم التصوف (مصر ، ١٣٣٠ هـ) ص: ٤٥ — ١٠٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

انّ المحبين احياء ولو دفنوا — في التراب اوغرقوا في الماء او حرقوا
او يقتلوا بسيوف وسط معركة — اوحتف انف ان اضناهم الفرق (١)

ويصف ذو النون المصرى حالة المحبين بقوله :

حسب المحبين في الدنيا بأن لهم — من ربهم سببا يدني الى سبب
قوم جسومهم في الارض سائرة — وان ارواحهم تختال في الحجب
يا ربّ يا رب انت الله معتمدي — متى أراك جهارا غير محتجب (٢)

والمحبّون الصوفيون قوم عارفون ، عالمون بما لا يعلمه سائر الناس ، وقد سئل ابو بكر الشبلي : " ما علامات العارف ؟ قال : صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح ، (وسئل ايضا) من العالم ؟ قال : من عرف الله ، وعمل بما علمه الله ، واعرض عما نهاه الله " (٣) . والحبّ عند الصوفيين دين ، لأن الحب هو الذى يسمو بالانسان الى الله ، ويحث روحه على السفر ، ولو كان شاقا مضنيا ، والمتصوف عاطفة حبّية سامية متتخذ المثل العليا موضوعا لها كما يقول الجريرى " ان الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني " (٤) . والمتصوّف يمرّ بمراحل عديدة ، وبنشاط مستمرّ حتى يبلغ صاحبه الله ، ويتّحد به ، فيدرك حقيقة الكون ، ويصبح هو الله في اقنوم واحد فيهتف بنغمات الحب ، وان رابعة العدوية — على حدّ تعبير محمد حلمي — اول من هتف في رياض الصوفية بنغمات الحب شعرا ونثرا " . (٥) . وقد كانت رابعة العدوية شديدة البكاء والحزن ، " ليس هذا الحزن العميق في نفس السيدة رابعة الّا مظهر ما كانت تفيض به نفسها الشاعرة من الحب العميق ، فالسيدة رابعة هي السابقة الى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل الصوفيّة " (٦) . وقد كان حبّها كحب الصوفيين لا لغاية بل للحب نفسه ، وفي ذلك قالت تخاطب الله : " وعزتك ما عبدتك رغبة في جنتك بل لمحبتك ، وليس هذا ما قطعت عمرى في السلوك اليه " (٧) . وانشدت في حب الله ايضا :

احبك حبين : حب الهوى — وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى — فشغلي بذكرك عن سواكا
واما الذى انت اهل له — فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذاك ولا ذاك لي — ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (٨)

وقالت ايضا :

انت لولاك يا حياتي وانسي — ما تشقّقت في فسيح البلاد
حبك الان بغيتي ونعيمي — وجلاء لعين قلبي الصادى (٩)

---

(١) الانطاكي — تزيين الاسواق ج:١ ص: ٢٩
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٦
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٧
(٤) السراج — اللمع في التصوف ، ص: ٢٥
(٥) محمد مصطفى حلمي — الحياة الروحية في الاسلام ص: ٧٦
(٦) محمد مصطفى حلمي — الحياة الروحية في الاسلام ص: ٧٦ المصدر نفسه ص: ٧٦
(٧) عبد الرحمان بدوى — شهيدة العشق الالهي (القاهرة سنة ؟) ص: ١١٢
(٨) محمد بن علي أبو طالب المكي — قوت القلوب في معاملة المحبوب (مصر ١٣١٠ هـ) ص: ٥٧
(٩) عبد الرحمان بدوى — شهيدة العشق الالهي ، ص: ١٦١ و ١٦٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال ابرهيم الخواص انه رأى غلاما في الطواف يقول :

يا عين سحي ابدا
يا نفس موتي كمدا
ولا تحبي احدا
الّا الجليل العمدا (١)

وهتف ابن عربي باسم الحب بملء قلبه ، وملء صدره ، ونادى به دينا وايمانا ، فالحب وحّد في قلبه الصور المختلفة ، والاديان العديدة ، والحبّ قرّب اليه كل كائن وكل مذهب :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي ... اذا لم يكن ديني الى دينه داني
لقد صار قلبي قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف ... والواح توراة ومصحف قرآن
ادين بدين الحب انّى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وايماني (٢)

ولعلّ عمر بن الفارض اكثر الصوفيين شعرا ، وهو الذي غنّى الحبّ ، وهو الذي جمع المحبين تحت لوائه ، وجنّدهم تحت قيادته ، وله في الحبّ علم ، هو امامه ، فالحبّ يفقّه الانسان ، ويرفعه ، والحب ينقذ من ظلمات الجهل ، والحب هو الحياة ، والحياة هي ان ترى الله ، ونتّحد به ، لذلك كان الحبّ ملّته ، فان مال عنه يمل عن حياته كلّها ، ان الحب هو دينه وعقيدته وجوهره ، وهو سبيله الى المعرفة الكبرى والوصول الى الله ثم الاتحاد به حتى يصبح هو أياه . وفي ذلك يقول ابن الفارض مخاطبا الله :

كل من حماك يهواك لكن ... انا وحدي بكل من في حماكا
يحشر العاشقون تحت لوائي ... وجميع الملاح تحت لواكا (٣)

وقال ايضا :

نسخت بحبي اية العشق من قبلي ... فأهل الهوى جندي وحكمي على الكلّ
وكل فتى يهوى فاني امامه ... واني بريء من فتى سامع العذل
ولي في الهوى علم تجل صفاته ... ومن لم يفقّهه الهوى فهو في جهل (٤)

وقال ايضا :

بمن اهتدي في الحب لو رمت سلوة ... وبي يقتدي في الحبّ كل امام (٥)

واذا سألتك ان اراك حقيقة ... فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى
ان الغرام هو الحياة فمت به ... حبّا فحقك ان تموت وتعذرا (٦)

---

(١) القشيري ـ الرسالة القشيرية ، ص: ٨٤
(٢) ابن عربي ـ ترجمان الاشواق (لندن ، ١٩١١) ص: ١٩
(٣) عمر ابن الفارض ـ ديوان ابن الفارض ، ص: ٩٣
(٤) المصدر نفسه ، ص: ١٠١
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٩٦
(٦) المصدر نفسه ، ص: ٩٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعن مذهبي في الحبّ ما لي مذهب وان ملت يوما عنه فارقت ملّتي (١)

وقد يزداد حب ابن الفارض، حتى يبلغ درجة الاسراف فيحبّ بكل ذرة منه وبكل عضو :

وفي كل عضو فيّ كل صبابة اليها وشوق جاذب بزمامي
فلو بسطت جسمي رأت كل جوهر به كل قلب فيه كل محبة (٢)

ويفدى ابن الفارض روحه في سبيل هذا الحب العميق ، حتى يفنى جسده ويتلف فيموت قبل اوانه :

قلبي يحدثني بانك متلفي روحي فداك عرفت ام لم تعرف
ما لي سوى روحي وباذل نفسه في حبّ من يهواه ليس بمسرف (٣)

ويقول ايضا :

بروحي من اتلفت روحي بحبّها فحان حمامي قبل يوم حمامي (٤)

ولم يبق له الحب سوى الحزن والكآبة والسقام ، لانه يتحشم الاهوال ويقطع القفار ، وفي ذلك يقول :

ولم يبق مني الحب غير كآبة وحزن وتبريح وفرط سقام
واين الصفا هيهات من عيش عاشق وجنة عدن بالمكاره حفّت (٥)

هذا هو سفر الروح ، وهذه هي المكاره والمشقات التي تجتازها الروح للبلوغ الى غايتها الكبرى . وهذا هو الحنين والبكاء والانين ، وهذا هو الجسد السقيم الذى يضعف ويفنى من فرط الحب ، غير ان هذا الحبّ سام مجرّد ، مرتفع عن الجسد ، سابح في السماء يبحث دوما عن الله ، فيزيل الحجب ليرى النور ، وتمتزج روحه بذات الله ، ليصبح هو اياه ، فيرى روحه في جميع الكائنات ، وتعتريه نشوة الظفر بالمعرفة والقدرة على كل شيء ، وفي ذلك يقول ابن الفارض :

وما زلت اياها واياى لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي احبّت
ولولاى لم يوجد وجود ولم يكن شهود ولم تعهد عهود بذمة
فأشهدتني كوني هناك فكنته وشاهدته اياى والنور بهجتي (٦)

هكذا تغنّى الشعراء الصوفيون بالحب ، وهكذا اصبح عندهم روحا ، بعد ان كان مادة ، وسماويا مقدّسا ، بعد ان كان ارضيا حقيرا ، وازليا يدوم بعد ان كان متغيّرا لا يدوم ، فمن جوهره الاخلاص والصدق والحقيقة ، ومن وحيه الاعتصام بالمثل العليا والاخلاق السامية ، وقد اصبح الحبّ السبيل الوحيد لرقيّ الروح البشريّة ، فهو النبيّ والرسول ، والمعلّم والمهذّب ، وهو الدين الوحيد الذى يقرّب الانسان من خالقه

---

(١) ابن الفارض — ديوان ابن الفارض ص: ٢٧
(٢) المصدر نفسه ص: ٩٧ و ٤٦
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٨٨
(٤) المصدر نفسه ، ص: ٩٥
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٩٦ و ٢٦
(٦) المصدر نفسه ، ص: ٣٨ ، ٦١ و ٦٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مباشرة ، دون وسيط ، لتشاركه في المعرفة الكبرى ، حتى اذا اتحد به علم حقيقة الوجود وجوهر الكائنات ، وامدّها روحا من روحه ، ومحبة من قلبه ، وهل اعظم من شعور الانسان بتلك الالوهيّة ؟ هل اعظم من شعور الانسان بقدرته الالهية الجبارة ؟ هل اعظم من شعور الانسان بثقته وقوّته عندما يشارك الله في تسيير الاكوان ، ويصبح صنوه وكفوه ، فيمنح الكائنات الارواح ؟ حقّا ، ان الصوفية قد دانت بدين الحب ، وبدين الانسانية جمعاء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الكمـــال :

كان السامي لا يجد الكمال الّا في الله ، فالله كامل ، لأنه قادر على الخلق والابداع ، يحي ويميت ، بيده كل شيء ، وكل شيء يسير بأذنه ، والانسان تافه ناقص ، لا يستطيع ان يكون كاملا ، وهو في هذه الدنيا الفانية ، فينبغي عليه ان يسلك طريق العبادة والزهد ، ليرضي الله الغضوب الجبّار ، ويعمل دائما لآخرته . وقد جاء المسيح بن مريم يبرئ المرضى ويشفي الداء العضال ، ويعلم الناس ان يكونوا كاملين ، بذلك اصبح للانسان قيمة ، وقدرة على الرقيّ ، وفي ذلك قال المسيح : "كونوا انتم كاملين كما انّ اباكم الذي في السموات هو كامل" (١) . ولمّا جاء محمد بن عبد الله ، نفى الكمال عن الانسان ، لأن الكمال لله وحده ، والله هو الاول والاخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم" (٢) ، فسلّم الانسان امره لله ، والله يرفع من يشاء الى جنّته ، ويزجّ من يشاء في جحيمه ، فلم يفكّر الانسان برقيّ في دنياه ، بل اعتكف عن النعيم الدنيوي ، ليستعدّ لنعيم الآخرة ، فأصابه التشاؤم من الحياة الدنيا ، والاحتقار للبشريّة عامة .

وبانتشار الفلسفة في العصور العباسيّة ، بدأ الانسان يشعر بقوة عقله ، ومقدرته الفكرية والروحيّة ، فتحرّر الشعر العربي في تلك العصور ، واصبح طليقا ينطق بما شاء ، كيفما شاء ، مؤمنا بالعقل والشجاعة والحرّية التي هي من اهم عناصر الارتقاء البشريّ ، فاذا اجتمعت كلّها في انسان بلغ من الرقيّ المكان الاعلى ، وفي ذلك يقول المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحلّ الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرّة ... بلغت من العلياء كل مكان (٣)

وامّا ابو العلاء فقد حدا به تشاؤمه الى الكفر بالانسان وقيمته ، والى وصمه بالفساد والشرّ ، مع انه آمن ايمانا ظاهرا بعقل الانسان ، وحكمته ، وقد جعل الكمال لله وحده ، غير ان الانسان العاقل قادر بحكمته وعقله ، ان يهذّب جبلته ، ويسيطر على طبعه ، ويقهر قواه الحيوانية ، ويؤمن بربه ليصبح انسانا ساميا ، وفي ذلك يقول :

وجبلّة الناس الفساد فظلّ من ... يسمو بحكمته الى تهذيبها (٤)

آمن به والنفس ترقى وان ... لم يبق الّا نفس واحد (٥)

امّا الفلاسفة فقد بحثوا في الكمال ، ونظروا اليه نظرة فلسفية مجرّدة ، وكانت غايتهم ان ترقى نفسا لانسان بواسطة التأمل والتفكير والمعرفة ، الى الكمال الالهي ، هكذا كانت غاية اخوان الصفا ، وقد تأثروا بالافلاطونية الحديثة التي تقول برقيّ النفس البشرية على طريقة الفيض الالهي ، كذلك نقرأ لابن سينا قصيدة "النفس" ، فنراها تسير على الطريقة ذاتها ،

---

(١) الانجيل - انجيل متى ، الاصحاح الخامس ، عدد : ٤٨
(٢) القرآن - سورة الحديد ، عدد : ٣
(٣) ابو الطيّب المتنبي - ديوان العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ص: ٤٣٩
(٤) ابو العلاء المعرّي - لزوم ما لا يلزم ج:١ ص: ١٤٠
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٢٦٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فالنفس تهبط من الخالق ثم تعود عالمة اليه ، مرتقية الى ذاته ، فالكمال لا يأتي الا عن طريق المعرفة ، حيث تتحد النفس البشرية بالله ، الذي هو الكمال ، وفي ذلك يقول ابن سينا عن الله :

" فيه الكمال بل هو الكمال (١) ...

وظل الكمال عند الفلاسفة معرفة قصوى ، ومشاهدة كلية لذلك الموجود الواجب الوجود . وظل الانسان ذا قيمة ، فهو ذو نفس وقلب ، عليه أن يسعى لتثقيف نفسه ورقيها ، وسموها ، حتى يبلغ ذلك الموجود الواجب الوجود . وقد بدا لحي بن يقظان — كما يقول ابن الطفيل — " ان كمال ذاته ولذتها انما هو بمشاهدة ذلك الموجود على الدوام مشاهدة بالفعل " (٢) ، واتحاده به ، وقد انتشرت في ذلك العصر فلسفة الاستشراق فاندفع الصوفيون يبحثون عن الكمال بتلك الفلسفة ، فقهروا اجسادهم ، وارتفعوا عن ماديتها ، واطلقوا العنان لنفوسهم العادية الى المعرفة او الكمال ، واستطاعوا بواسطة التأمل والانفراد والحب ان يبلغوا الى الله الذي هو الكمال والمعرفة ، وان يتحدوا به ويشاركوه في كل ما يفعل ، حتى اصبحوا هم الكمال . وعندما سئلت رابعة كيف بلغت هذه المرتبة العالية اجابت : " بقولي دائما : اللهم اني اعوذ بك من كل ما يشغلني منك ، ومن كل حائل يحول بيني وبينك " (٣) . وتصف ميمونة حالة العارفين المقربين الى الله بقولها :

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرونا
والسنة يسرقد تناجي ... تغيب عن الكرام الكاتبينا
واجنحة تطير بغير ريش ... الى ملكوت رب العالمينا
فتسقيها شراب الصدق صرفا ... وتشرب من كؤوس العارفينا (٤)

وعندما يصل المتصوف الى الكمال ، يصبح الها قادرا على كل شيء ، عالما بكل شيء ، ترث عنه الكائنات الكمال ، وفي ذلك يقول ابن الفارض :

فلاحي الا عن حياتي حياته ... وطوع مرادي كل نفس مريدة
ولا قائل الا بلفظي محدث ... ولا ناظر الا بناظر مقلتي
وانجم افلاكي جرت عن تصرفي ... بملكي واملاكي لملكي خرت
ومن لم يرث عني الكمال فناقص ... على عقبيه ناكص في العقوبة (٥)

هكذا فهم الفلاسفة والصوفيون الكمال ، وقد رأينا كيف قربوه من الانسان بعد ان كان بعيدا عنه ، وجعلوا النفس البشرية ترتقي بواسطة التأمل العميق الى الذات الالهية التي هي كل الكمال وكل المعرفة ، وحثوا الانسان الى السعي المستمر في دنياه كي يصل الى الكمال ، بعد ان كان عبدا عاجزا ، مستسلما للقضاء والقدر ، مرتقبا ساعة الموت ليتمتع برؤيا الكيان ، وقد عرفوا الكمال الانساني بالمعرفة الكبرى ، والمشاهدة الالهية ، والتقرب الى الله والعناء به ، بتلك يصبح الانسان كاملا ، منزها عن كل نقص ، مشاركا الكمال الاكبر .

---

(١) ابن سينا — منطق المشرقيين ، ص: ٢
(٢) ابن الطفيل — حي بن يقظان (الاسكندرية ١٨٩٨م) ص: ٨٥
(٣) عبد الرحمن بدوي — شهيدة العشق الالهي ص: ١١٠
(٤) المصدر نفسه ص: ١١٧
(٥) ابن الفارض — ديوان ابن الفارض ص: ٦١ ، ٦٨ ، ٥٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الجمـــال

ان الجمال عند السامي هو ما يراه بعينيه ويلمسه بيديه ، وجنةعدن هي مثال واضح لهذا الجمال المادّي ، تغنّى بها الانبياء ، على انها اخصب بقعة انشأها الله ، في اجمل مكان ، وانبت فيها الشجر واجرى الماء ، وكانت المرأة مثالا آخر للجمال المادّي الذى استهوى السامي ، ففي نشيد الانشاد مثال لهذا الجمال الحسّي الذى اختلفت مقاييسه باختلاف العصر والبيئة . وجاء المسيح بن مريم ، فاتخذ الجمال معنى آخر ، واصبح يتجلّى في العمل وفي الخلق ، وكانت حياة المسيح مثالا رائعا للجمال الروحي والانساني . ولم يتأثر الشعر العربي القديم بهذا الجمال الروحي الّا قليلا ، لان الشاعر الجاهلي كان لا يرى الّا المحسوسات ، ولا يأبه الّا بمنظر جميل او بأى كائن في الطبيعة ، اكان حيوانا او امرأة . وقد عبّر هذا الشاعر الساذج عن شعوره بوصف حسي سطحي ، دون ان يغوص في جوهره ، بذلك ظلّ الجمال محصورا في اشكال خارجيّة ماديّة ، الّا في بعض الحكم المبثوثة التي لا تتجاوز خواطر بسيطة عابرة ، هي نتيجة اختبار فطرى .

ويجد عمرو بن معد يكرب الجمال في الاعمال الصالحة المنبثقة عن النفس الداخلية ، لا في الشكل الخارجي :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن ومناقب اورثن مجدا (١)

وتأمـــل محمد بن عبد الله في الكون ، فرأى فيه جمالا ، وهذا الجمال لا بدّ له من مصدر ينبثق عنه ، رأى ان الله هو مصدر ذلك الجمال ، والله جميل ، وفي ذلك قال : " ان الله جميل يحبّ الجمال " (٢) . وله في القرآن وصف جميل حسي لجنّات النعيم ، وكذلك لم نر فهما جديدا للجمال في الشعر العربي القديم ، بالرغم من انتشار الفلسفة في العصور العباسيّة . بل ظلّ اكثر شعراء العرب يتغنون بوجوه الحسان ، وبعض مواطن الجمال في الطبيعة ، حتى امتلأت بهذه الاوصاف الحسيّة ، كتبهم ودواوينهم .

وأمّـــا ابو العلاء المعرّى ، فقد عبّر عن الجمال بعد تأمل ، فوجد ان الجمال هو الخير ، يظهر في النفس الداخلية لا في الجسد الخارجي ، غير انه لم يجعل للجمال موضوعا قائما بذاته ، شأنه في جميع المجرّدات ، فهو يطلب من الانسان ان يفعل الجميل لأنه جميل خيّر ، لا لغاية اخرى وفي ذلك يقول :

فلتفعل النفس الجميل خير واحسن لا لأجل ثوابها (٣)

وقال ايضـــا :

عليك بفعل الخير لو لم يكن له من الفضل الا حسنه في المسامع (٤)

---

(١) ابو تمام — ديوان الحماسة ج ١ (مصر ، ١٣٣٥ هـ) ص: ٩٠
(٢) احمد بن حنبل — كتاب السنّة ج ١ (مكّة ، ١٣٤٩هـ) ص: ٦١
(٣) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم ج ١ ، ١٣٤
(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص: ٩٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والجمـــال عند ابي العلاء ايضا ، في التقى والعمل الصالح :

وما لبس الانسان ابهى من التقى وان هو غالى في حسان الملابس (١)

وقـــد كان تأثير الفلسفة في بعض نواحي الشعر العربي واضحا في تجريد الجمال وصقله، فاصبح الجمال جوهرا لا يدرك الّا بالله ، الذى هو جوهر مطلق يغمر الكون ، فيعتـــرى الشاعر المتأمل هزّة الجمال بما فيها من خشوع وايمان ، وتمتزج روحه بذلك الجمال المطلـــق، فتشارك حسن الله وبهاءه ، ويبحث حيّ بن يقظان متأملا في ذلك الجمال المطلق الموجـــود الواجب الوجود ، ويطلق نفسه الى المدى البعيد ، لتشارك خالقها في الحسن والجمـــال، حتى اذا وصله اليه ، اتّحدت به ، واصبحت هي الجمال والمعرفة . بذلك بلغ الجمـــال المجرّد عند الصوفيين ذروته ، فالجمال عندهم هو كل شيء " هو النور الدائم ، والمـــدد القائم — على حدّ تعبير التفتازاني — (و) هو سرّ الحياة ، ومعين الحب ، هو القـــوة القاهرة ، والعدة الظاهرة ، هو الدليل الملموس على رعاية ذى الجلال ، هو المظهر الاقدس للوجود المحدود ، ثم هو الطريق المعبّد الى وجود الخلود ، هو القلب النابض والروح الوثابة ... انه جمال الحقّ ، انه جمال التصوير ، ثم انه جمال الوجود المطلق " (٢) . وكـــلّ قلب صوفيّ يتّجه الى الجمال المطلق ، ويتمنى ان يحظى بحضرته ، ويخفق لرؤيته ، ويغتبـــط للاتحاد به ، فتردد رابعة العدوية قولها : "لا تحرمني يا الهي من جمالك الازلي " (٣). وكذلك يقول ابن الفارض :

يا قبلتي في صلاى اذا وقفت اصلّي
جمالكم نصب عيني اليه وجهت كلّي (٤)

ويقول ايضا في الجمال المطلق ، انه دائم حيّ يغمر الاكوان ، ويشمل جميع الكائنات :

وصرّح باطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة
فكلّ مليح حسنه من جمالهـــا معار له بل حسن كلّ مليحة (٥)

ويقول ايضـــا :

فد هشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عنّي مخبرا
فأدر لحاظك في محاسن وجهه تلقى جميع الحسن فيه مصوّرا (٦)

هكـــذا نرى مما تقدم ، ان الجمال لم يتحرر من المادة ، والشكليات الّا عنـــد الفلاسفة والصوفيين ، وقد اصبح الجمال عندهم شيئا غير محسوس ولا ملموس ، وجوهرا يشعر به القلب وتصعد اليه النفس ، لتتّحد به ، ويصبحان واحدا ، بذلك يستطيع الصوفيّ ان يكون هو الجمال ، ومنه تستمدّ الاكوان جمالا ، والكائنات حسنا وبهـــاء .

---

(١) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم ج ٢ ص: ٣٦
(٢) محمد الغنيمي التفتازاني — مجلة الهلال سنة: ٤٤ مج ١ ص: ٨٠
(٣) محمد حلمي ، الحياة الروحية في الاسلام ص: ٧٨
(٤) ابن الفارض — ديوان ابن الفارض ص: ١٠٢
(٥) المصدر نفسه ، ص : ٣٧
(٦) المصدر نفسه ، ص: ٩٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحقيقـــة

اجمعت الاديان السامية الكبرى في ان الحقيقة هي الله ، ومن الله الحقّ ،كما اجمعت في ان الكمال والجمال هما الله ومنه الكامل والجميل . وقد انعكست هـــذه الصور في الشعر العربي القديم ، فتناولها الشاعر كما سمعها ، دون تأمل ولا رويّـــة، فكانت له خواطر وحكم ، هي نتيجة تجاربه في الحياة ، فالحق كما بدا لزهير بن ابي سلمى هو في الله ، ومن اراد ان يعرف الحقّ فينبغي عليه ان يتّقى الله :

بدا لي ان الله حق فزادني الى الحقّ تقوى الله ما قد بدا ليا (١)

ولـــم يختلف سائر شعراء العرب في فهم الحقيقة ، واصبح الشاعر يفكّر ويتأمّل ، وكان حظ ابي العلاء المعرى من التأمّل كبيرا بالنسبة الى سائر الشعراء ، غير انه لـــم يفرد قصائد طويلة في البحث عن المجردات واحدة فواحدة ، بل ارسلها على سجيته ابياتا متفرقة ، تدور حول الانسان والحياة والموت ، فتراءى له ان الله هو الحق ، ولا رجـــاء للانسان الّا في الله ، فالانسان عاجز ، والله قادر على كل شيء ، والانسان شرّير مـــن شأنه الكذب والخداع ، ومن حاول ان يبحث عن الحقيقة في هذه الدنيا الفانية فانه يتعب ، ومن طلبها في الانسان فانه يخدع ، لأن الحقيقة الازلية هي في الله وحده ، وفي ذلـــك يقول ابو العـــلاء :

طلبتم الزاد في الآفاق من طمع والله يوجد حقا اينما طلبا (٢)

والله حق وابن آدم جاهل من شأنه التفريط والتكذيب (٣)

ويقـــول ايضا ان الذى يبحث عن الحقيقة يصيبه العذاب والتعب :

من رام انقاء الغراب لكي يرى وضح الجناح اصابه تعذيب (٤)

ومن طلب الحقيقة بين الناس فأنه يفشل ، وفي ذلك يقول :

اذا جولس الاقوام بالحقّ اصبحوا عداة فكلّ الاصفياء على خبّ (٥)

واّمـــا الانسان العاقل الحكيم عند ابي العلاء ، فقد يستطيع برويته وتفكيره ان يتناول درة الحق :

ولم يتناول درة الحق غائص من الناس الّا بالروية والفكر (٦)

---

(١) زهير بن ابي سلمى ـــ ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص: ٢٨٧
(٢) ابو العلاء المعرى ـــ لزوم ما لا يلزم ج:١ ص: ٩٦
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٨٦
(٤) المصدر نفسه ، ص: ٨٦
(٥) المصدر نفسه ، ص: ١١٢
(٦) المصدر نفسه ، ص: ٣٧٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول ايضا في مساواة الناس امام الحق :

لا يفخرن الها شمسيّ على امرئ من آل بربر
فالحق يحلف ما عليّ عنده الّا كقنبر (١)

وامّا الفلاسفة فقد بحثوا في الحقيقة بحثا فلسفيا ، شأنهم في ذلك ، في كل المجرّدات التي مرّ ذكرها وسيمرّ ؛ والحقيقة هدف الفلسفة منذ عرفت الفلسفة ، فالانسان يستطيع ان يبحث عن الحقيقة القصوى بتأمله العميق ، وقوة عقله ، حتى اذا اقترب منها اتّحد بها وشاركها بالفعل ، وينبغي على الانسان الذي يشتاق البلوغ الى الحقيقة ، ان يتحلّى بالفضائل الكبرى ، ويتزوّد بالمثل العليا ، وليس حيّ بن يقظان الّا رمزا للانسان الذي يبحث منعزلا ، متوحدا ، عن الحقيقة الكبرى حتى اذا ما بلغها شاهدها مشاهدة العين بالعين ، واغتبط برؤية ذلك الموجود الواجب الوجود . وما كانت الصوفية الّا تعزيزا لتلك الفلسفة الاستشراقية ، وتكملة لها .

والحقيقة عند الصوفي هي الله ، وللوصول اليها سفر شاقّ ، طويل ، ورياضة نفسيّة مضنية ، حتى اذا رقي بقوته الروحية الى تلك الحقيقة اتّحد بها ، واصبحا واحدا ، فيسجد امامها ، وفي الواقع فانه ساجد امام نفسه ، وفي ذلك يقول ابن الفارض :

أسافر عن علم اليقين لعينه الى حقّه حيث الحقيقة رحلتي (٢)
كلانا مصلّ ، واحد ساجد الى حقيقته بالجمع في كلّ سجدة
وما كان لي صلّى سواى ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كلّ ركعة (٣)

ويقول ايضا في وحدة حقيقته :

تحققت انّا في الحقيقة واحد واثبت صحو الجمع محو التشتّت (٤)

وقد يأتي ابن الفارض على قوله بالعجائب والآيات فيستنكر ذلك عليه من كان يعرفه من قبل دون ان يدروا ان من يراه يرى الله ، ومن يعرفه يعرف الحقيقة الكبرى ، وفي ذلك يقول :

كذاك بفعلي عارفي بي جاهل وعارفه بي عارف بالحقيقة (٥)

هكذا رفع الصوفيّ شأن الانسان بعد ان كان وضيعا ، واستطاع بقوته الروحية وبمحبته العميقة أن يقترب من الله ، ويتّحد به ، بعد ان كان بعيدا ، واصبح الانسان هو الكمال والجمال والحقيقة ، بعد أن كانت لله وحده ، لا يشاركه فيها احد ، فاطمأنت نفسه ، واصبح سعيدا عالما بكل شيء ، قادرا على كلّ شيء .

---

(١) ابو العلاء المعرى ـ لزوم ما لا يلزم ج ١ ص: ٤٣١
(٢) ابن الفارض ـ ديوان ابن الفارض ص: ٥٣
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٣٢
(٤) المصدر نفسه ، ص: ٥٧
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٥٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحريّة

ان النظرة السامية الى الله كبّلت روح الانسان وارادته ، واعمت عينيه ، والجمت فمه ، فلم ير الّا شيئا واحدا ، قادرا ، قاهرا ، ولم ينطق الّا بكلمة واحدة ازلية ، ولم يسع الى المعرفة لتحرير نفسه ، وضميره مما علق بهما من تقاليد بالية ، وخوف مميت ، لذلك قصّر السامي في الخلق والابداع ، وطوى معه ازميله وريشته ، لأن الخلق لله وحده ، ومن تشبّه بالله فقد كفر .

اما اليوناني ، فقد تحرّر من العبوديّة الالهية ومن الخوف ، وعاش لنفسه ، وخلق آلهات على صورته خلقا ، ونسب اليها صفات من صفاته ، فهي ترضى وتغضب ، وتفرح وتحزن ، وتحب وتبغض ، وانطلق الشاعر اليونانيّ حرا يتأمل دون يأس ، ويبحث دون ملل ، وينشد ما يشاء متى شاء ، وكيفما شاء ، ويشارك الآلهة في الخلق والابداع ، فكانت روائع اليونان حيّة في كل عصر ، ملهمة لجميع الامم .

واما الشاعر العربي القديم ، فلم يعش لنفسه وضميره ، ولم يتحرّر من العبودية الالهية ، بل عاش لقبيلته واهوائها ، وعاش لربّه ورضاه ، وكان لا يفهم من الحريّة الّا الفوضى ، ومثل هذه الحريّة لن تنتج ولن تخلق ، لأنها بدويّة شاردة ، تأبى النظام ، ولا تتعمق في الفكرة . وقد لاقى محمد بن عبد الله عناء كبيرا في اخضاع هذه القبائل العربيّة الثائرة لنظام اجتماعي ، وباعتناق الاسلام ، استقرّ العربي قليلا ، ورأى ارضا خصبة غير ارضه ، واما متمدّنة غير امّته ، غير ان الشعر العربي القديم كان يعيش في كنف الخلفاء ، والامراء والحكام ، ولم يستطع ان يتحرر من القصور والبلاطات ، لذلك ظلّ ارستقراطيا بعيدا عن النفس البشريّة ، وكذلك لم يتحرّر من التقاليد والعقليّة السامية ، وبقي الانسان عبدا خائفا . اما بانتشار الفلسفة في العصور العباسيّة ، فقد اخذ الشعر العربي عند بعض الشعراء يبتعد قليلا عن القصور ، ويتحرّر من العبوديّة ، متأملا في الحياة وفي الانسان ، ولعلّ ابا العلاء هو الشاعر الوحيد في عصره ، الذي حبس نفسه في بيته متحررا من الملوك والناس ، متأملا في الانسان وفي نفسه ، غير اننا لا نراه متحرّرا من خوف الله ، بل مستسلما لقضائه وقدره ، متمنيا الموت ، لأن الجسد ، في نظره ، تافه عائق للحرية الروحية التي ينشدها ، وفي ذلك يقول :

ستطلقني المنيّة عن قريب فاني في اسار واعتقال (١)

ولم يجعل ابو العلاء الحريّة في المعرفة ، وفي التحرّر من الجهل ، مع انه قدّس العقل ، وقال ان الانسان لا يتحرر من الاوهام والسخافات الّا بالعقل والرويّة ، وان الانسان الحكيم العاقل هو الانسان القادر على ان يهذّب نفسه ويرقّيها . ولعلّ تشاؤمه حدا به الى رفض الدنيا ، وطلب الآخرة ، فرأى ان في انفصال الروح عن الجسد حريّة كبرى .

امّا الفلاسفة والصوفيون ، فقد نادوا بالحرّية الروحية والعقليّة ، حتى يستطيع الانسان ان يعرف ما يشاء دون رادع ، ويجادل فيما يشاء ، وبهذا

---

(١) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم ج ٢ ص: ٢٣٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تستطيع الروح الواعية ، العالمة ، ان تسمو بحرية مطلقة الى الله ، وتشاركه في الخلق والابداع ، حتى اذا بلغ الانسان هذه الرتبة العليا ، اصبح حرّا ، طليقا عالميا ، حيث لا حدود ولا تقاليد . وخير مثال على ذلك تائية ابن الفارض الكبرى ، التي ذكرنا منها الكثير في ابواب سابقة ، والتي تحدثنا عن حالات المتصوّف الذى يصبح متحررا من كل نقص ، عالما بكل شيء ، قابلا كل صورة ، واعيا بها ، عارفا اسرارها ، هذه هي الحرية المطلقة التي يتمتع بها الصوفي ، والتي تدفع كل من يطلبها الى الكمال والحقيقة ، حيث تتأثر روحه السعادة الازليّة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

السعادة

كانت السعادة عند السامي في آخرته ، لا في دنياه ، وقد اجمعت الاديان السامية في ان السعادة بعد الموت ، حين تصعد الروح الصالحة الى الجنة ، وتسكن في نعيمها الازلي . لذلك اهتم السامي في ان يطيع ربه ، ويستسلم اليه ويخافه ، ليحفظ له مكانا في جناته . وقد جاء في اول سفر المزامير قول سليمان بن داود : " توكل على الرب بكل قلبك ، وعلى فهمك لا تعتمد " (١) . فلم يعتمد الانسان على نفسه لتحسين حالته الدنيوية ، وتحصيل سعادته فيها ، بل راح يعمل لآخرته معتمدا على الله لينال حظا وافرا من السعادة الحقيقية ، والسعادة الحقيقية في الآخرة لا تتجاوز السعادة المادية ، فنرى في الجنة كل ما يطلبه الانسان من راحة مادية ، فيها المياه العذبة ، والفاكهة الطيبة ، وفيها كل ما تشتهيه العين من مأكل ومنظر ، لذلك ظل الانسان في دنياه عبر مستقر ، مترقبا الموت ، متقيا الله ، وفي ذلك يقول نابغة بني شيبان :

ولست ارى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقى مزيد (٢)

ولم يكن لسعي الانسان قيمة الا في العصور العباسية ، وقد اصبح الانسان — بفضل الفلسفة — ذا عقل نير ، ورأى حر ، قادرا على السعي في دنياه ، ضاربا في الآفاق ، متجشما الاخطار ، والمسالك الوعرة ، مندفعا بكل قوته ، منشدا بملء صدره لتحقيق سعادته . ولعل المتنبي خير مثال لهذا الانطلاق الشارد ، الذي تغلغل في كل ذرة منه ، ساعيا مجادا في سبيل هدفه ، حتى اذا اشقاه المسير قال متألما متهكما :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... واخو الجهالة في الشقاوة ينعم (٣)

اما ابو العلاء المعري فقد ذاق الامرين في دنياه ، فملأ الفضاء بشعره التشاؤمي ، ونفى السعادة عن الدنيا التي يسميها تارة دار دفر ، وتارة اخرى دار الشرور ، ورأى السعادة في الموت حيث يرتاح جسد الانسان ، وتنطلق روحه سابحة في السماء ، هادئة ، مطمئنة ، وفي ذلك يقول :

وان حزنا في ساعة الموت لاضعاف سرور في ساعة الميلاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد (٤)

وما اسعد سفر الروح الى الجنان ! ، وقد حظي ابو العلاء المعري بتلك السفرة الروحية في " رسالة الغفران " ، ومر على الجنان ، واصفا الذين سعدوا بمكان هناك ،

---

(١) التوراة — الامثال : الاصحاح الثالث ، عدد : ٥
(٢) لويس شيخو — شعراء النصرانية بعد الاسلام ج:٢ ، ٤ ، ص: ١٥٠
(٣) المتنبي — العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ص: ٦٣٠
(٤) ابو العلاء المعري — سقط الزند ج:٣ (القاهرة ، ١٩٤٧م) ص: ٩٧٨ و ٩٧٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولم يكن وصفه الا وصفا ماديا لتلك السعادة المادية ، وما كانت رسالة الغفران الا تعقيبا على ما ورد في القرآن من وصف النعيم الابدي المادي ، وتهكما من الذين اتهموه بالزندقة والكفر .

وقد كره ابو العلاء دنياه ، ورأى ان بقاءه فيها رزية ، فتراه دائما يدعو الى الله ان ينقله الى دار النعيم ، هربا من العالم المنكوس ، وفي ذلك يقول :

بقائي في الدنيا عليّ رزية وهل انا الا غابر مثل ذاهب (١)

يا ربّ اخرجني الى دار الرضى عجلا فهذا عالم منكوس (٢)

ويقول ايضا ان عيده في الموت ، والتخلص من دار الشرور :

أنا صائم طول الحياة وانما فطري الحمام ويوم ذاك اعيّد (٣)

دنياك دار شرور لا سرور بها وليس يدري اخوها كيف يحترس (٤)

والسعادة ، يقول ابو العلاء ، قليلة في الدنيا ونادرة :

وان يك في الدنيا سعود فانما تكون قليلا كالشذوذ الشوارد (٥)

وأمّا الانسان العاقل فيتفرّد ليكون سعيدا ، ويطرح الدنيا جانبا ، متقيا الله ، لأن تقى الله لن يفسد ، وفي ذلك يقول ايضا :

ان صحّ عقلك فالتفرّد نعمة ونوى الاوانس غاية الايناس (٦)

اغنى الانام تقى في ذرى جبل يرضى القليل ويأبى الوشي والتاجا (٧)

اصول قد بين على فساد وتقوى الله سوق لا تبور (٨)

فأن اتى الموت — يقول ابو العلاء — فقل له اهلا ومرحبا :

نصحتك فاعمل له دائبا وان جاء موت فقل مرحبا (٩)

---

(١) ابو العلاء المعري — لزوم ما لا يلزم ، ج ١ ، ص: ١١٧
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ص: ٢٩
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص: ٢٤٩
(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص: ٢٢
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص: ٢٦٥
(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص: ٤٩
(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص: ١٩٧
(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص: ٣١٩
(٩) المصدر نفسه ، ص: ١١١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وامّـــا الفلاسفة فقد بحثوا في السعادة وافردوا لها المقالات ، والكتب كابن مسكويه والغزالي وغيرهمـــا . ولم يكن غرضنا التعرّض للابحاث الفلسفية الطويلة ، لكن البحث في مدى تأثير الافكار الفلسفية في الشعر العربي ، او تعبير الفلاسفة عن آرائهم شعرا ، ولابد لنا من الاشارة الى ان السعادة اتخذت مجرى جديدا ، واصبحت جوهرا مجردا عن المادة يبحث فيها الفلاسفة . فالسعادة كما يقول الفارابي هي " ان تصير نفس الانسان من الكمال في الوجود الى حيث لا تحتاج في قوامها الى مادّة ، وذلك ان تصير في جملة الاشياء البريئة عن الاجسام ، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وان تبقى على تلك الحال دائما ابدا ... والسعادة (في نظره) هي الخير " (١) . ولم تختلف السعادة عند ابن سينا ، فالسعادة هي ان تصل النفس الى درجة الكمال بعد ان تتحرّر من ماديتها وترجع الى الله ، لتتّحد به ، وتصبح عالمة بكل شيء ، سعيدة الى الابد ... ويرى الغزالي ان السعادة هي في العلم وفي معرفة الله ، وان الانسان الراقي قادر على ان يبلغ السعادة في حياته الدنيويّة ، وفي ذلك يقول : " ان السعادة في الدنيا والاخرة هو العلم ، فهو اذا افضل الاعمال ... وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ، ومقارنة الملاء الاعلى " (٢) . ويجد الغزالي في العلم لذة وسعادة ، فيقول مستشهدا بشعر علي ابن ابي طالب :

ففز بعلم تعش حيا به ابدا الناس موتى واهل العلم احياء (٣)

وكذلك السعادة عند ابن الطفيل هي في سموّ النفس البشرية ، ومشاهدتها الله مشاهدة بالفعل .

وامّـــا عند الصوفيين فقد بلغت السعادة ذروتها ، فالسعادة هي في العزلـــة ، وقهر الجسد ، ثم سفر الروح الى الله للاتّحاد به ، وقد تفرّدوا داعين الله ان يرضى عليهم ، لأن رضى الله هو اساس سعادتهم ، وفي ذلك تقول رابعة العدويّة :

يا سروري ومنيتي وعمادي وانيسي وعدتي ومرادي
ان تكن راضيا عليّ فاني يا منى القلب قد بدا اسعادي (٤)

وتقول ايضا إن سعادتها هي في الوصل من الله :

يا سروري وحياتي دائما نشأتي منك وايضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا ارتجي منك وصلا فهو اقصى منيتي (٥)

والله محرابها ، وقبلتها ، وفيه سعادتها ، وفي ذلك تقول :

راحتي يا اخوتي في خلوتي وحبيبي دائما في حضرتي
لم اجد لي عن هواه عوضا وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت اشاهد حسنه فهو محرابي اليه قبلتي (٦)

---

(١) ابو النصر الفارابي — آراء اهل المدينة الفاضلة (مصر ، سنة ؟) ص: ٦٦
(٢) محمد الغزالي — احياء علوم الدين ج ١ (مصر ، ١٣٠٢ هـ) ص: ١١
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٧
(٤) عبد الرحمان بدوى ، شهيدة العشق الالهي ، ص: ١٦١ و ١٦٢
(٥) المصدر نفسه ، ص: ١٦٣
(٦) عبد الرحمان بدوى ، المصدر نفسه ص: ١٦٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأمّـــا النشوة الكبرى ، والسعادة العظمى ، فهي في الاتحاد بالله ، والفناء به ، ويصف لنا ابن الفارض غبطته وسعادته ، عندما يسمع بذكر الحبيب فيسكر ويغيب عن الوجود الارضي حتى يصحو مرة اخرى بعد المحو ، فتتوحد لديه الاسباب ، وتتجرّد النفس وتسعد بسموّها ، وقدرتها الالهية ، وفي ذلك يقول :

فيغبط طرفي مسمعي عند ذكرها وتحسد ما افنته منّي بقيّتي (١)
وعانقت ما شاهدت في محو شاهدي بمشهده للصحو من بعد سكرتي (٢)

—

ووحدت في الاسباب حتى فقدتها ورابطة التوحيد اجدى وسيلة
وجرّدت نفسي عنهما فتجردت ولم تك يوما قطّ غير وحيدة (٣)

هكـــذا حررت الفلسفة الافراد الذين شغفوا بها ، واكبّوا عليها ، يقرأونها ويحوّلون فيها ، فارتفعت بهم عن المادة ، وسمت بهم الى الروح الازلية الواعية ، وجرّدت السعادة ، واصبحت اطمئنانا نفسيا ، وروحيا ، بعد ان كانت راحة جسدية ومادّية . وهكذا نرى ممّـــا تقدّم ان السعادة هي سعي روحي متواصل يحدو بها الشوق والحب والحرية الى الكمـــال والجمال والحقيقة ، حتى اذا بلغ هذه الرتبة ، حظي بالسعادة الابديّة الروحية .

---

(١) ابن الفارض ــ ديوان ابن الفارض ، ص: ٣٢
(٢) المصدر نفسه ، ص: ٣٦
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٦٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الديـــن

في الدين جوهر وتقليد ، فالجوهر ثابت ، يهدف الى المثل العليا ، والفضائل الانسانية الكبرى ، وبه تتحد الاديان وتتآخى . والتقليد متغيّر ، يختلف باختلاف العصر ، والأمة التي نشأ فيها ، وهو مجموعة من العادات والقوانين جاءت عن افراد من الناس هم افضل اهل زمانهم خلقا وحكمة ، وقد توارثها الابناء عن الاباء ، وحافظوا عليها ارضاء لله الذى اصطفاهم من بين الامم رسلا ينوبون عنه ويصلحون . وقد كانت كل امّة تحتكر الله وتمجده ، لانه اصطفاها من بين الامم في العالم ، فكان يهوه الاسرائيلي ، والرب المسيحي ، والله الاسلامي . ولم ينس الشاعر العربي ان يمجّد دينه ، ويرفعه الى اعلى عليين ، فالشاعر العربي القديم لم يأبه للتأمل العميق في جوهر الدين ، بل ظلّ يفهمه بشكلياته المادّية التي يقوم بها الانسان خوفا من عقاب الجحيم ، او حبا بثواب النعيم ، وعلى هذه الاسس اختلفت الاديان ، وانتشر بينها الحقد والبغضاء ، واصبحت كل امّة تحتكر لديها كل الفضائل ، وتجعله الحق ، وما سواه ضلال . وفي ذلك يقول اميّة بن ابي الصلت :

كل دين يوم القيامة عند الله الّا دين الحنيفة زور (١)

ولم يستطع احد ان يجادل في الدين ، ويتفلسف ، فالدين موقوف على الله ، منزل من لدنه ، وهو الذى اصطفى رسلا ليكونوا صلة بينه وبين الامم التي قرّبها اليه .

وعندما انتشرت الفلسفة في العصور العباسية ، اصبح الدين الاسلامي على افواه الفلاسفة يبحثون فيه ويجادلون ، وقد وقف رجال الدين يصدّون التيارات الفلسفية عن الدين ، ويناؤون الفلاسفة ، ويكفّرونهم ، حتى قال القاضي ابو يوسف : " من طلب الدين بالكلام تزندق " (٢) ، وبالرغم من هذه المناوءات ، فقد قامت فرق اسلامية ومذاهب مختلفة سرا وعلانية تبحث في الدين وفي تفسيره ، غير ان سلطان رجال الدين كان قويا على الخلفاء ، فلم تعمل الفلسفة في الدين كثيرا ، ولم تؤثر فيه الّا قليلا ، فابتعدت الفلسفة عن الدين بابتعاد الخليفة عنها . كذلك لم يعن الشعر العربي القديم في جوهر الدين ، بل ظلّ الدين الاسلامي هو افضل الاديان ، لأنه دين الدولة ، ودين الخليفة ، فكان الشاعر — وهو يعيش في كنف الخلفاء والامراء والولاة المسلمين ، مضطرا ان يساير اهواءهم ، وان يمجّد دينهم ، غير ان احتكاك العرب بالشعوب الاخرى ، واطلاعهم على الثقافات الجديدة ، ولّد في قلوب الشعراء شيئا من الشك والالحاد ، فتعرّض هؤلاء الشعراء للدين بسخرية ، وقد ترى في الشاعر الواحد شكا ويقينا ، والحادا وايمانا ، ولعلّ ابا نواس يمثل هذا الاضطراب الفكرى افضل تمثيل حين يقول :

تكثر ما استطعت من الخطايا فأنك بالغ ربا غفورا (٣)

ثم يندم فيما بعد ، ويقول :

---

(١) امية بن ابي الصلت — ديوان امية بن ابي الصلت ص: ٣٨
(٢) ابن قتيبة — عيون الاخبار ، ج ٢ ، ص: ١٤١
(٣) ابن خلقان — وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ج ١ ، ص: ١٩٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وارغب الى الله لا الى جسد منتقل من صبا الى كبر (١)

امّـــا ابو العلاء المعرى ، فقد كان في نظرته للاديان ناقدا لشرائعها ، ورجالها ، اكثر منه تأملا في جوهرها . وقد نظر الى الدين الاسلامي والى اهله ، فحزّ في نفسه ان يرى اهل هذا الدين متزمّتين ، عاكفين على تقاليد بالية ، لا يقرّها المنطق ، ولا يقبلها العقل السليم ، وآلمه ان يرى هذا الدين منكمشا على نفسه ، يأبى ان يساير العقل ، فلا يتقدّم ولا يرتقي ، وفي ذلك يقول في قومـــه :

عاشوا كما عاش آباء لهم سلفوا واورثوا الدين تقليدا كما وجدوا (٢)

وقسّـــم ابو العلاء المعرى اهل الارض الى قسمين ، فئة ذات عقل بلا دين ، وفئة اخرى ذات دين بلا عقل . فالعقل يشذّب الدين ، ويفتحه على كلّ تقدّم ورقيّ ، وفـي ذلك يقـــول :

اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له (٣)

ورأى ايضا ان الاديان كلّها واحدة في جوهرها ، غير ان التقاليد او الشرائع هي سبب النزاع المستمرّ والحقد والبغضاء ، فلم لا يدين الناس بدين واحد ؟ ولم لا يزدرون جميعهم الشرائع ويطرحونها ؟ :

انّ الشرائع القت بيننا احنا واودعتنا افانين العداوات (٤)

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها (٥)

ثـم يتأمل ابو العلاء في الكواكب ويتساءل : هل هي مثلنا لا تتفق على ديـــن واحـــد ؟ :

فهل الكواكب مثلنا في دينها لا يتفقن فهائد او مسلم (٦)

ويتراءى امامه رجال الدين ، وما هم عليه من فهم سطحيّ لجوهر الدين ، فيصبّ عليهم وابلا من النقد المرير ، ويروح يتساءل بألم وسخرية : "من هم هؤلاء الذين يمشـون على الارض ، وفي ايديهم السّبح ، وفي صدورهم الغشّ والخداع ؟ من هم هؤلاء الخرّاب الذين يدخلون الجوامع ؟ اهم حقا نسّاك طاهرون ، متعبّدون ، ام هم رجال كماذبون مـــراؤون ؟ ومن هم هؤلاء الرهبان الذين يأكلون اموال الفقراء والمساكين ، وهم قابعون في زوايا كنائسهم ؟

---

(١) ابو نواس ـ ديوان ابي نواس ، ص: ١٩٦
(٢) ابو العلاء المعرى ـ لزوم ما لا يلزم مج ١ ص: ٢٣٥
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص: ٢٠٨
(٤) المصدر نفسه ، ص: ١٧٥
(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص: ٤٢٧
(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص: ٢٨١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولماذا لا يمشون في الارض تعبّدا كما فعل المسيح ؟ لم لا يخرجون من كنائسهم يساعدون الايتام والمعوزين ؟ وفي ذلك يقـــول :

وليس عندهم دين ولا نسك فلا تغرّك ايد تحمل السبحا
وكم شيوخٍ غدوا بيضا مفارقهم يسبحون وباتوا في الخنى سبحا (١)

في البدو خرّاب اذواد مسوّمة وفي الجوامع والاسواق خرّاب (٢)

وقد فتشت عن اصحاب دين لهم نسك وليس لهم رياء
فالفيت البهائم لا عقول تقيم لها الدليل ولا ضياء (٣)

ويقـــول ايضـــا :

متى ما كشفتم عن حقائق دينكم تكشفتم عن مخزيات الفضائح
ويعجبني دأب الذين ترهّبوا سوى انّهم كدّ النفوس الشحائح
فما جشّم النفس المسيح تعبّدا ولكن مشى في الارض مشية سائح (٤)

اذا من الظلم ان نطبع هؤلاء المحتالين الخدّاعين ، الذين يسخرون الدين لغاياتهم الشخصية ، ويتخذونه مطيّة لأهوائهم ، وفي ذلك يقـــول :

ولا تطيعنّ قوما ما ديانتهم الّا احتيال على اخذ الاتاوات
وانما حملوا التوراة قارئهـــا كسب الفوائد ، لا حبّ التلاوات (٥)

وليـــس في نظرة ابي العلاء الى الاديان اثر تعصّب المذهب دون مذهب ، او تفضيل دين على آخـــر ، فالاديان كلّها واحدة ، لا فرق بينها وبين رسلها . وفي ذلك يخاطب المسيحيين :

لا تبدوئني بالعداوة منكم فمسيحكم عندي نظير محمّد (٦)

والديـــن الحقيقي عند ابي العلاء ، ليس في الشرائع او التقاليد ، لكنه فـــي معاملة الانسان لأخيه الانسان ، بذلك يكون ابو العلاء الشاعر الانسانيّ الكبير الذي دعا الى دين واحد ، وهو دين الانسانية ، فهو لا يرى الدين في الكنائس والجوامع فحسب ، بل يراه في الحياة اليوميّة ، وفي معاملة الناس بعضهم لبعض ، دون فرق بين يهـــودي ومسيحي ، او بين مسلم ومجوسي . فالدين هو انصاف وعدل ، وصيانة النفس عن الشرّ والفحش ، ونفض الصدر من كلّ غلّ وحسد ، وفي ذلك يقـــول :

الدين انصافك الاقوام كلهم وأيّ دين لآبي الحقّ ان وجبا (٧)

اذا القوم صاموا فعافوا الطعام وقالوا المحال فقد افطروا (٨)

---

(١) ابو العلاء المعري — لزوم ما لا يلزم ج ١ ص: ٢١٦
(٢) المصدر نفسه ص: ٧٨
(٣) و (٤) — المصدر نفسه ص: ٤٢ و ٢١٩
(٥) و (٦) — المصدر نفسه ص: ١٧٥ و ٢٨٣
(٧) و (٨) — المصدر نفسه ، ص: ٩٥ و ٣٤٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول ايضا في الديـــن :

وانما هو ترك الشرّ مطّرحا ونفضك الصدر من غلّ ومن حسد (١)

ويحـــار ابو العلاء في الناس ، ويتساءل : هل حقا اهتدى الانسان منذ كانت الاديان ؟ هل حقا اتّعظ الانسان مما سمع وقرأ ؟ فما قيمة الانبياء والرسل ؟ وما تأثيرهم في الانسان ، هذا الانسان الذى لن يرعوى عن شروره واباطيله ؟ :

دين وكفر ، وانباء تقصّ وفر قان ينصّ وتوراة وانجيل
في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرّد يوما بالهدى جيل (٢)

ويقول ايضـــا :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلّله (٣)

فقد كذبت على عيسى النصارى كما كذبت على موسى اليهود (٤)

علـــى ان مثل هذه الآراء ، وهذه الاقوال ، قليلة ، متفرقة ، لا يجدها بهذه الجرأة والحرية الا عند ابي العلاء المعرّى :

امّـــا الفلاسفة فقد بحثوا في جوهر الدين ، ورأوا انه قد تدنّس بالجهالات والاوهام والضلالات ، ولا بدّ للفلسفة من ان تطهّره ، وهناك ابحاث كثيرة غير انهـــا لا تهمنا الا بمقدار تأثيرها في الشعر العربي القديم . وقد رأى جميع الفلاسفة العـــرب ان الفلسفة اليونانية يجب ان تتغلغل في الشريعة الاسلامية حتى يتم لها الكمال . وحاول بعضهم ان يوفقوا بين الفلسفة والدين ، فاخفقوا ، ولم تستطع الفرق الفلسفية العديـــدة ان تخلص الدين من شوائبه . واما الشعراء الصوفيون فكان لهم فهمهم الخاصّ للديـــن ، واستطاعوا ان ينطلقوا من عالم المادّة الى عالم كله روح ، وكلّه محبّة ، فانشدوا اعذب الاناشيد الروحيّة ، محاولين ان يوحّدوا جميع الاديان في دين واحد ، هو دين الحبّ ، الديـــن الذى يزيل الحدود ، ويفكّ القيود ، ويرفع الانسان الى الحضرة الالهية ، حيث يصبـــح قلبه محفلا لجميع الاديان ، من وثنيّة ويهودية ومسيحيّة واسلام ، وحيث يتوجه الجميع الـــى قبلتهم الا وهي الحب . وفي ذلك ينشد ابن عربي :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن
ادين بدين الحب انّى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني (٥)

---

(١) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم ج ١ ، ص: ٢٧٢
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص: ١٨٣
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٠٨
(٤) المصدر نفسه ج ١ ص: ٢٤٧
(٥) ابن عربي — ترجمان الاشواق ، ص: ١٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وهـــذه الحالة الروحية من الحبّ الالهيّ تحمل الصوفيّ على ان يعتقد ان نفسه قد اتحدت بنفوس الانبياء ، او انه هو نبيّ من الانبياء الغابرين ، فقد يصير محمـــدا حينا ، وعيسى حينا آخر ، وكذلك يصبح جبرائيل . وفي ذلك يقول ابن عـــربي :

الله يعلم والدلائل تشهد اني امام العالمين محمّد
انا المحبي ، لا اكني ولا اتلبد انا العربيّ الحاتميّ محمد (١)

انا في العالم الذى لا اراكم كمسيح النصارى بين اليهود
فاذا ما رأيتكم نصب عيني انا والله في جنان الخلـود (٢)

ويقول ايضـــا :

انا جبريل وهذى حكمتي فاقرأوها تكشفوا ما كمنا (٣)

وكذلك يقول ابن الفارض انه اصبح موســـى :

ولا سرّ خفيّ يدريه من كان مثلي
وصرت موسى زماني مذ صار بعضي كلّي (٤)

لكـــن الصوفيّ لا يقف عند تلك النبوّة فحسب ، بل يتجاوزها الى الالوهيّة ، حيث يتّحد بالله ، ويصبحان واحدا ، فيقصد اليه جميع الملل والنّحل ، وتتوحد به جميـــع الاديان ، وفي ذلك يقول ابن الفارض :

وان نار بالتنزيل محراب مسجد فما بار بالا نجيل هيكل بيعة (٥)
واسفار توراة الكليم لقومه يناجي بها الاحبار في كل ليلة
وان خرّ للاحجار في البدّ عاكف فلا وجه للانكار بالعصبيّة
وما زاغت الابصار من كل ملّة وما راغت الافكار في كل نحـلة
فما قصدوا غيري وان كان قصدهم سواى وان لم يظهروا عقد نيّة
رأوا ضوء نورى مرّة فتوهمـــوه نارا فضلّوا في الهدى بالاشعّة (٥)

هكـــذا نرى كيف فهم الشعراء العرب القدامى الدين ، وكيف كانوا يحتكرون الله في اديانهم ، وكيف كان الدين مقيدا ، محصورا بشرائع وتقاليد ، ثم كيف اصبح عنـــد ابي العلاء دينا انسانيا ، ثم كيف بلغ الذروة عند الشعراء الصوفيين ، حيث صـــار دينا عالميا ، لا يعرف الها الّا الحب ، ولا يؤمن الا به ، فالحبّ هو الدين العالميّ الذى يجمع ما تفرّق ، ويربـــط ما تقطّـــع .

---

(١) ابن عربي — الديوان الاكبر (بومبي سنة ؟) ص: ٢٣
(٢) المصدر نفسه ، ص: ٤٨
(٣) المصدر نفسه ، ص: ١٠
(٤) ابن الفارض ، ديوان ابن الفارض ، ص: ١٠٢
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٦٦ و ٦٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفضيلـــة

عرفت الفضيلة عند السامي في ما يقوم به الانسان من عمل الخير في سبيل اخيه الانسان . وتحث جميع الاديان السامية على الفضيلة ، واما الفضيلة الكبرى في نظر الاديان فهي في نفس الله وعبادته والاستسلام الى مشيئته ، وكان الانبياء بدورهم يحضون على الخير والاحسان ، وعلى العدل والتواضع ، وعلى الرحمة والصدق والسلام . وقد قال داود " طوبى للذى ينظر الى المسكين ... الرب يحفظه ويحيه " (١) . وقال سليمان : " افتح فمك لاجل الاخرس في دعوى كل يتيم ، افتح فمك . اقضي بالعدل وحسام عن الفقيـــر والمسكين " (٢) . وقال المسيح بن مريم " طوبـــى للودعاء لأنهم يرثون الارض . طوبى للرحماء لأنهـــم يرحمون ، طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يدعون . طوبـــى للمطرودين من اجل البر لأن لهم ملكوت السموات " (٣) .

وقـــد كان للعرب القدامى فضائل طالما تغنوا بها وفاخروا ، اهمها القـرى والشرف ، وعزة النفس ، والاخذ بالثأر ، وطاعة الوالدين .

ومـــن طبيعة الشعر ان يميل الى الفضيلة ، وينصح بها ، كقول عبدة بـــن الطبيب في طاعة الوالدين ، وفي طرح الضغينة عن الاقربـــاء :

ونصيحة في الصدر داخلة لكم ... ما دمت ابصر في الرجال واسمع
وبر والدكم وطاعة امره ... ان الابر من البنين الاطـــوع
ان الكبير اذا عصاه اهلـــه ... ضاقت يداه بامره ما يصنـــع (٤)
ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم ... ان الضغائن للقرابة توضع (٤)

ويحـــث محمد بن عبد الله الانسان على عمل الخير ، وقول الصدق ، وطاعة الله ، واولياء الامـــر ، والعطف على اليتامى والمساكين ، والاحسان اليهم جميعـــا ، فالله يحب المحسنين . وفي القرآن امثال كثيرة في الحض على هذه الفضائل التي لا تظهـــر الا بشكليات يقوم بها الانسان نحو اخيه الانسان ، او نحو خالق الاكـوان . وقد دعا محمد الى العدل وصيانة الجار وصحبته ، وفي ذلك يقول " انصر اخاك ظالما او مظلوما " (٥) " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره " (٦) . ويقـــول ايضا : " لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه " (٧) . ويحض على نشـر السلام بالمحبة والاخـــوة فيقول : " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتـــى

---

(١) التوراة ، المزمور الحادى والاربعون ، عدد : ١ و ٢
(٢) المصدر نفسه ، الامثال ، الاصحاح الحادى والثلاثون ، عدد : ٨ و ٩
(٣) الانجيل ، متى ، الاصحاح الخامس ، عدد : ٥ و ٧ — ١٠
(٤) المفضل بن محمد الضبي — المفضليات ، ص: ٦١ و ٦٦
(٥) المصدر نفسه ص: ٨٨
(٦) البخارى — صحيح البخارى ج ٣ (مصر ١٣١٤هـ) ص: ١٢٨
(٧) المصدر نفسه ج ٨ ص: ٣٢
(٨) المصدر نفسه ج ١ ص: ٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تحابّوا ، او لا ادلكم على شيء ، اذا فعلتموه تحاببتم : افشوا السلام بينكم " (١).
ويقول ايضا : اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ، ولا تحسّسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا" (٢). واما اكبر الكبائر عند محمد فهي الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، وفي ذلك يقول : "الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، او قول الزور " (٣) . وكذلك قال علي بن ابي طالب :

عليك ببرّ الوالدين كليهما وبرّ ذوي القربى وبرّ الاباعد (٤).

فنرى مما تقدم ان الفضيلة هي عمل يقوم به انسان نحو انسان آخر ، فمن احسان الى عدل ورحمة ، ومن صدق في القول الى محبة وسلام . وقد كانت هذه الفضائل تظهر في الشعر العربي القديم عامة ، عن طريق الحكم المبثوثة هنا وهناك ، لا عن طريق قصائد ذات مواضيع مجرّدة ، فيها تأمّل ، وفيها تفكير . وكان الشاعر القديم يحضّ عليها فقط ، نتيجة تجاربه في الحياة ، او لأنه سمعها من افواه الانبياء . يقول ابن الرومي في فعل الخير :

فانفذ لخيرك لا لشرّك واتبع الولاهما بالقادر الغفّار (٥)

ويقول المتنبي في الفعل السيء وما يعاني صاحبه من آلام :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده من توهّم
وعادى محبيه بقول عداته واصبح في ليل من الشك مظلم (٦)

وقد يعرف الانسان من فعله ومن قوله ، لذلك كان المتنبي حريصا ان يحكم على خلق الانسان بعد ان يختبره . وفي ذلك يقول :

اصادق نفس المرء من قبل جسمه واعرفها في فعله والتكلّم (٧)

وبعد ان جرّب المتنبي نفوس الناس ، تراءى له ان الظلم من شيم النفوس ، ومن لا يظلم ففي تسامحه هذا علّة ، وفي ذلك يقول :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفّة فلعلّة لا يظلم (٨)

ومن واجب الانسان ان يسالم الناس حتى يسلم من شرّهم ، ويعاملهم بالعدل والحسنى ، هذا ما يزيد عربيا قول البستي :

من سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جذلان
فالروض يزدان بالانوار فاغمة والحرّ بالعدل والاحسان يزدان (٩)

---

(١) مسلم بن الحجاج ـ صحيح مسلم ج ١ (مصر ١٣٢٩هـ) ص: ٥٣
(٢) البخاري ـ صح البخاري ج ٨ ص: ١٩
(٣) مسلم بن الحجاج ـ صحيح مسلم ج ١ : ص: ٦٤
(٤) علي ابن ابي طالب ـ ديوان علي بن ابي طالب ص: ١٧
(٥) ابن الرومي ـ ديوان ابن الرومي ج ٢ ص: ١٦٩
(٦) المتنبي ـ العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ص: ٤٩٤
(٧) المصدر نفسه ص: ٤٩٤
(٨) المصدر نفسه ص: ٦٣٠
(٩) ابو الفتح البستي ـ ديوان ابي الفتح البستي (بيروت ١٢٩٤هـ) ص: ٧٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

غير ان ابا العلاء المعرى ابى ان يرى في الانسان فضيلة ، فالحياة في عصره كانت آخذة في الانحلال الخلقي والانحطاط الاجتماعي . فمن سيطرة العجم الى الفتن والقلاقل ، ومن ظلم الحكام وجورهم الى انغماس في الملاهي ، ومن الفرق الفلسفية ومذاهبها الى فحش الشعراء ، ولعلّ هذه الحالة حدت بأبي العلاء المعرى ان يزداد في تشاؤمه ، ويملّ مقامه ، وفي هذا المعنى يقول :

ملّ المقام فكم اعاشر امة ... امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فعَدَوْا مصالحها وهم اجراؤها
فرقا شعرت بانها لا تقتني ... خيرا وان شرارها شعراؤها (١)

ويقول ايضا :

قد فاضت الدنيا بادناسها ... على برايا واجناسها
وكلّ حيّ فوقها ظالم ... وما بها اظلم من ناسها (٢)

والناس عند ابي العلاء ظالمون ، مطبوعون على الشرّ ، والشرّ فيهم تليد ، واما الخير فطريف ، وفي هذا المعنى يقول :

الم تر ان الخير يكسبه الحجى ... طريفا وان الشرّ في الطبع متلد (٣)

والشرّ في الجدّ القديم غريزة ... في كل نفس من عرق ضارب (٤)

ويقول ان الانسان اسرع الى عمل الشرّ منه الى الخير :

والمرء يعييه قود النفس مصحبة ... للخير وهو يقود العسكر اللجبا (٥)

ويقول ايضا في الناس وطبعهم الشرير :

في الناس من اعطى الجميل بديهة ... وضنّ بفعل الخير لمّا تفكّرا (٦)

هم السباع اذا عنّت فرائسها ... وان دعوت لخير حوّلوا حمرا (٧)

والخير يهمس بينهم ... ويقام للسوآت منبر (٨)

والشرّ طبع قد بثت غريزته ... مقسومة بين انواع واجناس (٩)

---

(١) ابو العلاء المعرى ـ لزوم ما لا يلزم ـ ج ١ ص: ٤٤
(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص: ٥٠
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص: ٢٢٧
(٤) المصدر نفسه ص: ٨٥
(٥) المصدر نفسه ص: ٩٥
(٦) المصدر نفسه ص: ٣٥٤
(٧) المصدر نفسه ص ٣٥٧
(٨) المصدر نفسه ص: ٤٣٠
(٩) المصدر نفسه ص: ٤٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويدعو ابو العلاء الانسان الصادق الى الانفراد والابتعاد ، لانه ثقيل على الناس الذين يجهلون ويظلمون ، ويكذبون ويغدرون ، وفي هذا يقول :

فانفرد ما استطعت فالقائل الصادق يضحي ثقلا على الجلساء (١)

عداوة الحمق اعفى من صداقتهم فابعد من الناس تأمن شرّة الناس (٢)

ويرى ابو العلاء ان الصخرة الصمّاء افضل من الانسان ، لأنها لا تظلم ولا تكذب ، وان عصا في يد الاعمى ابرّ له من الصديق ، وفي هذا يقول :

افضل من افضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب (٣)

عصا في يد الاعمى يروم بها الهدى ابر له من كل خدن وصاحب
فاوسع بني حواء هجرا فانهم يسيرون في نهج من الغدر لاحب (٤)

واما العقل فقد حاول ان يهذّب الناس ، لكنه اخفق وفشل ، فالبرّية خاوية من الاصدقاء الامناء ، والانقياء البررة ، فلا عجب ، لأن اهل الارض هكذا كانوا قد فطروا ، وفي ذلك يقول ابو العلاء :

واللب حاول ان يهذب اهله فاذا البرّية ما لها تهذيب (٥)

قالوا فلان جيّد لصديقه لا يكذبوا ما في البرّية جيّد
فأميرهم نال الامارة بالخنى وتقيّهم بصلاته متصيّد (٦)

وهكذا كان اهل الارض منذ فطروا فلا يظنّ جهول انهم فسدوا (٧)

ويعجب ابو العلاء من هذه الحياة ، المهزلة الكبرى التي يعيش فيها اللئيم متنعما ، مترفا ، بينما يعيش فيها الكريم فقيرا سقيما ، وفي هذا يقول :

امّا اللئيم فعنده حلل وغدا الكريم وثوبه طمر (٨)

ولا يقف ابو العلاء عند هذا الحدّ ، بل يحاول ان ينبّه الانسان الى المحافظة على الصداقة فلتكن في البؤس والنعيم ، ولتكن في الشقاء والرخاء ، ولينجد كل صديق في عمل الخير والاحسان ، وفي هذا يقول :

---

(١) ابو العلاء المعرى ج ١ ص: ٥٦
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ص: ٤٠
(٣) المصدر نفسه — ج ١ ص: ٨٦
(٤) المصدر نفسه ص: ١١٣
(٥) المصدر نفسه ص: ٨٦
(٦) المصدر نفسه ص: ٢٤٩
(٧) المصدر نفسه ص: ٢٣٨
(٨) المصدر نفسه ص: ٢٣٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

اذا صاحبت في ايام بؤس فلا تنس المودة في الرخاء
ومن يعدم اخوه على غناه فما ادّى الحقيقة في الاخاء (١)

انجد اخاك على خير يهم به فالمؤمنون لدى الخيرات انجاد (٢)

وقد حدا بابي العلاء الالم العميق الذي يحزّ في قلبه حزا ، ان ينادي بالفضيلة الكبرى الا وهي الانسانية ، وما فيها من محبة ورحمة وعدل ومساواة بين الانسان والانسان ، وبين الانسان وسائر الكائنات . فليبق الانسان للطيور ما وضعت ، وليترك للنحل ما جنت . لم يفجع الانسان الطيور من وكناتها ؟ لم لا يجاورها بسلام ويعاملها بعدل واحسان ؟ وفي ذلك يقول :

ولا تفجعنّ الطير وهي غوافل بما وضعت فالظلم شرّ القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من ازهار مهبت فوائح
فما احرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائح (٣)

غير ان ابا العلاء يرى ان الفضلاء قليلون ، وهم غرباء في اوطانهم :

اولو الفضل في اوطانهم غرباء تشدّ وتنأى عنهم القرباء (٤)

هكذا نرى ان الاديان عرفت الفضيلة متجسدة في فعال الانسان ، وفي كلامه . وهي العلاقة الحسنة بين الانسان وبين رفاقه . وقد جاءت على لسان الانبياء والشعراء حكما مأثورة نتيجة تجارب واختبارات . اما الفلاسفة فقد حثوا على فضيلة اخرى وهي المعرفة والسعي وراءها ، فاصبحت الفضيلة عندهم مجرّدة عن الفعل والقول ليست في علاقة الانسان بالانسان فحسب ، بل في علاقة الانسان بروحه ونفسه ، وتغذيتها بالعلم والمعرفة . وقد بلغت هذه الفضيلة عند الشعراء الصوفيين ذروتها بواسطة الحبّ والحرية ، حيث اصبحوا هم المعرفة ، وهم الكمال والجمال والحقيقة ، فلم يخف عليهم سرّ ، وهم بكل شيء عالمون .

---

(١) ابو العلاء المعرى ـ لزوم ما لا يلزم ج ١ ص: ٥٤ و ٥٥
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٤٤
(٣) المصدر نفسه ص: ٢١٨
(٤) المصدر نفسه ص: ٣٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العقـــل

العقل حيّ متيقّظ ، والايمان جامد مستكين . والعقل لا يسلّم الّا بعد جدل وتحليل ، والايمان يستسلم ويخضع . والسامي عامة يستسلم للايمان ، فلا يجادل في الله ولا في انبيائه ، بل يومن ان الله هو المتشرّع والحاكم الاكبر ، ويؤمن بمعجزاتـــه دون ان يحكّم عقله البشري ، لذلك ظلّ العقل نائما ، خاضعا للايمان ، لان الانســان السامي سلّم امره لله ، فشلّت ارادته ، وخاب سعيه ، وقتلت حريته ، فلم يستطع ان يخلق فنا خالدا ، كما فعل الانسان اليوناني ، ولم يحفل الشعر العربي القديم بالعقل الّا نادرا ، فالعقل عند علي بن ابي طالب مثلا ، هو علامة الكمال والعلم والتجربة الواعية ، وفي ذلك يقـــول :

اذا اكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت اخلاقه ومآربه
يعيش الفتى في الناس بالعقل انه على العقل يجرى علمه وتجاربه (١)

وعند مـــا انتشرت الفلسفة في العصور العباسية ، حرّرت العقل وايقظته ، وهذّب الانسان شاعرا بقوته الفكرية ، سائلا ، ساعيا ، باحثا ، ومحلّلا ، غير ان العقل اصطدم بالدين والايمان ، فكان تارة يخمد ، وتارة اخرى يثور ، مسايرا اهواء الخليفة او الحاكم ، وقد نهض الشعراء يمجّدون العقل ، لكنهم لم يفردوا القصائد في تمجيدهم شـــأنهم في سائر المجردات ، بل تنبهوا على ان العقل يحدو بالانسان الشجاع الى السعي المتواصل ، ولو ادّى الى الشقاء ، وفي ذلك يقـــول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم (٢)

وامـــا ذاك الذي يرى ان العجز عقل فهو جبان ، طبعه لئيم ، وفي ذلـــك يقول المتنبـــــي :

يرى الجبناء ان العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم (٣)

فالانســـان امتاز بعقله على سائر الكائنات ، فلا بدّ للعقل الحازم ان يكون قادرا على ان يصدّع الصخور الصمّاء بالبحث والتحليل ، وفي ذلك يقول المتنبي :

لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان (٤)

ولا بدّ للقلب من آلة ورأى يصدّع صمّ الصفا (٥)

---

(١) علي ابن ابي طالب ـ ديوان علي بن ابي طالب ، ص: ٦
(٢) المتنبي ـ العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ص: ٦٣٠
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٣٩
(٤) المصدر نفسه ، ص: ٤٣٩
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٥٥٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

اما ابو العلاء المعرى فقد قدّس العقل ومجّده ، وجعله كعبته ، انّى توجه ، فالعقل يطهّر الانسان من الجهل والسخافات التي علقت به ، ولعله الشاعر العربي الوحيد الذى اعتصم بالعقل ، ونادى بقوّته وسطوته ، واكرامه ، وفي ذلك يقول :

كذب الظن لا امام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء (١)

نكذّب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديق (٢)

ويقول ابو العلاء ان العقل هو قطب للامور كلّها :

اللّب قطب والامور له رحى فيه تدبّر كلّها وتدار (٣)

غير ان طبع الانسان يحول بينه وبين العقل ، فهو جاذب للشرّ ، وان العقل يفشل ان دعا الى الرشد او الى الخير ، فلم لا يهتدى بالعقل ذلك الحيوان الناطق :

اذا ما اشار العقل بالرشد جرهم الى الغيّ طبع اخذه اخذ ساحب
نهاني عقلي عن امور كثيرة وطبعي اليها بالغريزة جاذب

ويقول ايضا مخاطبا الضالين :

سريتم على غيّ فهلا اهتديتم بما خبّرتكم صافيات القرائح (٤)

وينصت ابو العلاء الى العقل بكل ذرّة منه ، فيخبره ان الناس لئام جاهلون ، والافضل ان يدارى الانسان العاقل اعداءه ، فيقول :

يخبّر العقل ان القوم ما كرموا ولا افادوا ولا طابوا ولا عرفوا (٥)

يقول لك العقل الذى بيّن الهدى اذا انت لم تدرأ عدوّا فداره (٦)

ويظلّ ابو العلاء باحثا عن انسان عاقل ، باغيا من وجوده ، وهل يوجد ذلك الانسان الذى يفرّق بين الحقّ والباطل ، وبين الايمان والكفر ؟ لم لا يتّخذ الانسان العقل مرآة له ؟ فبالعقل يجد الانسان الصدق والحقّ ، ويزيل اوهام العين وخدعها ، وفي ذلك يقول :

اما في الارض من رجل لبيب يفرّق بين ايمان وكفر (٧)

وما تريك مرائي العين صادقة فاجعل لنفسك مرآة من الفكر (٨)

---

(١) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم — ج ١ ص: ٥٥
(٢) المصدر نفسه ص ١٤١
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص: ٣٢٦
(٤) المصدر نفسه ص: ١١٣
(٥) المصدر نفسه ج ٣ ، ٢١٨
(٦) المصدر نفسه ج ١ ص: ١٠٠
(٧) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨١
(٨) المصدر نفسه ص: ٣٩٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وبعـــد ان تأمل ابو العلاء في حياة الذين يؤمنون بالعقل ، ويعملون على تنويره، رأى ان الانسان اللبيب هو الانسان الذى تألفه الرزايا ، وهو الانسان الذى لا يطاع وهو الانسان الذى يسرع اليه الموت : وفي هذا يقول :

لبيب القوم تألفه الرزايا ويأمر بالرشاد فلا يطاع (١)

فكم سلم الجهول من المنايا وعوجل بالحمام الفيلسوف (٢)

امـــا الفلاسفة فقد جعلوا العقل نبراسا يهتدون به ، والمنطق عمودا يستندون عليه . وقد بحثوا في العقل بمنطقهم بحثا فلسفيا ، وجعلوه جوهرا اساسيا في الانسان ، منبثقا عن العقل الاوّل الذى هو المعرفة والعلم . وقد اتفق ابن سينا والفارابي على أن العقل الاوّل — على حدّ تعبير فيلمون الخورى — أو العام هو الذى يتّحد بالعقل الانســـاني في الافراد فيتولد منه المعرفة والعلم . وان العقل المتولد في الفرد من هـــــذا الاتحاد هو خالد ابدى " (٣) . ويحدّثنا ابن الطفيل عن حياة حيّ بن يقظان العقلية، وكيف ارتقت حتى اندمجت بالعقل الاكبر وذابت فيه ، وحظيت بالمعرفة الكبرى . وقد بحـث في العقل غير هؤلاء الفلاسفة ، غير اننا لا نقصد الى تناول الابحاث الفلسفية بل الالمـام بها الماما سريعا لنرى مدى تأثيرها في الشعر العربي القديم .

وامـــا العقل عند الشعراء الصوفيين ، فكان الروح والنفس معا . وقد اســـتطاع الشعراء الصوفيون بالتأمل العميق ان يدمجوا ارواحهم بالذات الالهية ، ويصبحوا هـــم المعرفة الكبرى والعقل الاوّل .

---

(١) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم مج ٢ ص: ٨٨

(٢) المصدر نفسه ص: ١٠٦

(٣) فليمون الخورى — مجلة المقتطف ص ٣٨٦ مج ٩٢ : ج ٣ ص : ٣٠٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الروح والنفس

لم يفرّق السامي بين الروح والنفس ، فكلتاهما واحدة ، وهما علويّتان مقدّستان . وقد خلق الله آدم من التراب "ونفخ في انفه نسمة حيواة" (١) . والروح هذه من الله واليه ترجع ، "وترجع الروح الى الله الذى اعطاها" (٢) . واما الجسد فهو ارضيّ حقير ، من التراب والى التراب يعود . وهو فان ، واما النفس او الروح فخالدة ، لن تفنى . وفي ذلك يقول المسيح بن مريم : "ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون ان يقتلوها" (٣) . وقد انعكست هذه الآراء في الشعر العربي القديم ، وظهرت في ابيات قليلة متفرّقة ، ويقول اميّة بن ابي الصلت في الروح والجسد :

وفارق روحا كان بين جنانه وجاور موتى ما لهم متردّد (٤)

ولما سئل محمد بن عبد الله عن الروح ، اجاب انها من امر الله : "ينزّل الملئكة بالروح من امره على من يشاء من عباده" (٥) .

والنفس في القرآن تظهر في شكل يختلف عن الروح ، فالروح طاهرة ، وهي من الله ، ينزلها بواسطة ملاك على من يشاء ثم ينزل ملاكا ليقبضها متى شاء ، والروح وديعة من الله ، على قول علي بن ابي طالب :

والروح فيك وديعة اودعتها سترد ها بالرغم منك وتسلب (٦)

واما النفس فلها سوءات ، تموت بموت الجسد ، ولها معدن ترابي يشبه الجسد ، "كل نفس ذائقة الموت" (٧) .

وبانتشار الفلسفة والعلوم في العصور العباسية ، تأثر الشعراء العرب بمذاهبها ومدارسها المختلفة ، غير ان تأثيرها لم يظهر الا بأبيات عابرة ، ولم يبحثوا في المجرّدات كما فعلت الفلسفة ، بل اكتفوا ان يذكروها كما سمعوها . ومثل هذا كثير في الدواوين العربية . ولم يحزم الشاعر العربي في فهم الروح والنفس ، بل ظلّ حائرا بين الآراء المختلفة مناقلا ما يسمع ، وهذا هو ابن الرومي يجعل النفس من جوهر الروح :

النفس خيرك ، انها علوية والجسم شرّك ، ليس فيه تمارى (٨)

ويصوّر لنا المتنبي تخالف الناس في النفس ، وفي جوهرها ودينها ، فيقول :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم الّا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب (٩)

---

(١) التوراة — سفر التكوين ، الاصحاح الثاني ، عدد : ٧
(٢) المصدر نفسه ، الجامعة ، الاصحاح الثاني عشر عدد : ٧
(٣) الانجيل — متى ، الاصحاح العاشر عدد : ٨
(٤) امية بن ابي الصلت — ديوان امية بن ابي الصلت ، ص: ٢٩
(٥) القران — سورة النحل ، عدد : ٢
(٦) علي ابن ابي طالب — ديوان علي بن ابي طالب ، ص: ٦٧
(٧) القران — سورة ال عمران ، ص: عدد ٦٨٥
(٨) ابن الرومي — ديوان ابن الرومي ج ٢ ، ص: ١٦٩
(٩) المتنبي — ديوان العرف الطيب في شرح ابي الطيب ، ص: ٤٦٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

غير ان المتنبي يرى ان النفس هي جوهر لا يتغير ، وقوة طموحة لا تكل ، تختلف عن الجسد : ، وفي الصفحة التالية :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولو ان ما في الوجه منه حراب
يغير مني الدهر ما شاء غيرها وابلغ اقصى العمر وهي كعاب (١)

واما النفوس الطموحة ، والنفوس الكبيرة فتتعب الاجساد في الحاحها ، وفي مرادها ، وفي ذلك يقول ايضا :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجساد (٢)

وكذلك يقول المتنبي ان الارواح عليوية ، كالنفوس في جوهرها :

فهدة الارواح من جوّه وهذه الاجسام من تربه (٣)

وقد اهتم ابو العلاء المعري بمعرفة الروح ، فعبّر عنها شعرا في ابيات متفرّقة . وقد صدّر لنا ما كانت عليه المذاهب العديدة من اختلاف في فهم الروح ، فذكر آراءهم ، وقد وقف تارة شاكا ، وتارة اخرى لأدريا ، واحيانا جازما في رأيه ، يحدّثنا بيقين عن جوهر الروح . قال ابو العلاء في الاراء المختلفة عن الروح :

قد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي غنيت به
ان كان يصحبها الجبي فلعلّها تدري وتأبه للزّمان وعتبه
او لا فكم هديان قوم غابر في الكتب ضاع مداده في كتبه (٤)

وقال ايضا :

والروح ارضية في رأى طائفة وعند قوم ترقّى في السموات
تمضي على هيئة الشخص الذي سكنت فيه الى دار نعمى او شقاوات (٥)

وقال في الشك في الروح :

دفناهم في الارض دفن تيقّن ولا علم بالارواح غير ظنون (٦)

ارواحنا معنا وليس لنا بها علم فكيف اذا حوتها الاقبر (٧)

لا حسّ للجسم بعد الروح نعلمه فهل نحسّ اذا بانت عن الجسد (٨)

وقد رأينا كثيرا بيننا جسدا بغير روح فهل روح بلا جسد ؟ (٩)

---

(١) المتنبي ـ ديوان العرف الطيب في شرح ابي الطيب ص: ٥١٦
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٦٧
(٣) المصدر نفسه ص: ٦٠١
(٤) ابو العلاء المعري ـ لزوم ما لا يلزم ـ ج ١ ص: ١٣٢
(٥) المصدر نفسه ص: ١٧٤ ، ١٧٥
(٦) المصدر نفسه ص ٣٧٦
(٧) المصدر نفسه ج ١ ص: ٣٢٣
(٨) المصدر نفسه ص ٢٧٢
(٩) المصدر نفسه ص: ٢٧٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فما هي الروح اذا ؟ هل هي شيء لطيف لا يدركه العقل ؟ هل هي نور خفيّ للجسد ؟ اترقد الروح مع البدن ام ترقى الى السماء ؟ وفي ذلك يقول ابو العلاء :

والروح شيء لطيف ليس يدركه ... عقل ويسكن من جسم الفتى حرجا
سبحان ربك هل يبقى الرّشاد له ... وهل يحسّ بما يلقى اذا خـــرجا
وذاك نور لأجساد يحسّنهـــا ... كما تبيّنت تحت الليلة الســـرجا
قالت معاشر يبقى عند جثته ... وقال قاس اذا لاقى الرّدى عـــرجا (١)

ثـــم يخاطب الروح حائرا متشـــككا :

ان كنت من ريح فيا ريح اسكني ... او كنت من لهب فيا لهب اخمدي (٢)

وقد يتيقّن ابو العلاء من ان الروح موجودة في البدن ، وهي تفارقه عندما يحين للجسم ان يرسب الى الارض ، ولا بدّ حينئذ للروح من ان تنأى حتى تتخلص من الضغن والحسد الذين يخيمان على الجسد ، فتطير حرّة لانّها تهوى الرحب وتترك وراءها جسدا باليا ، وفي هذا يقول :

روح اذا رحلت عن الجسم الذى ... سكنت به فمآله ان يرسبا (٣)

—

لا بدّ للروح ان تنأى عن الجسد ... فلا تخيم على الاضغان والحسد (٤)

—

والروح ظائن محبس في سجنه ... حتى يمنّ رداه بالاطلاق (٥)

—

هي النفس تهوى الرّحب في كل منزل ... فكيف بها ان ضاق في الارض قبرها (٦)

—

الجسم للروح مثل الريح تسكنه ... وما تقيم اذا ما خرّب الجسد (٧)

ثـــم يرجع ابو العلاء مرة اخرى الى نفسه القلقة ، الملأى بالمتناقضات فيقـــول ان الجسم كالشمعة والنفس نارها فاذا حان الرّدى خمدت النفس وماتت بموت الجسد :

وجسمي شمعة والنفس نار ... اذا حان الرّدى خمدت بأفّ (٨)

وفي الدواوين العربية آراء عابرة للشعراء ، كلّها متأثرة بما سمعوه عن الفلاسفة ولا نجـد فرقا واضحا بين الروح والنفس في الشعر العربي القديم ، فالشاعر العربي لم يأبه بالتأمل العميق في المجرّدات ، لذلك لم يأت بفكرة واضحة عن الروح والنفس ، ولم يجزم ابو العلاء —

---

(١) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم — ج ١ ص: ١٩٧
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٨٤
(٣) المصدر نفسه ص: ١٠٤
(٤) المصدر نفسه ص: ٢٧٠
(٥) المصدر نفسه ص: ١٤٥
(٦) المصدر نفسه ص: ٣٠٤
(٧) المصدر نفسه ص: ٢٣٨
(٨) المصدر نفسه ص: ١١٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما رأينا — في فهم الروح والنفس ملكته ظلّ حائرا ، لا أدريا عاقلا ما سمع ، آنا يوحد الروح والنفس ، وآنا آخر يفصلهما ، غير ان الشعراء عامّة لم يفرّقوا بين النفس والروح ، فالنفس او الروح هي المحرّك الاوّل في الانسان ، والدافع الاعلى للحياة المثلى ، وباستطاعة الانسان ان يقبل على نفسه يستكمل فضائلها ، وفي ذلك يقول ابو الفتح البستي :

اقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم انسان (١)

وقد تبرّم بعض الشعراء العرب من الاراء المتناقضة السائرة ، والفلسفات العديدة التي تعبي الانسان دون فائدة ، فالنفس سراب يتلاشى ، والجسم صخرة تتفتت ذرات من التراب ، هذا هو اليقين الذي نعلمه . وفي ذلك يقول ابن وهبون الاندلسي :

نفسي وجسمي ان وضعتهما معا ... آل يذوب وصخرة خلقاء
انا لنعلم ما يراد بنا فلم ... تعْيي القلوب وتغلب الاهواء
تتعاقب الاضداد مما قد ترى ... جلبت عليك الحكمة الشنعاء (٢)

اما الفلاسفة فقد بحثوا فلسفيا في الروح والنفس . وقد فرّق بينهما بعضهم ووفّق بينهما البعض الاخر . فالروح تشترك في جميع الكائنات ، وهي من مادة بُخارية ، اما النفس فهي من جوهر الله ، امتاز بها الانسان على سائر الكائنات . والروح حيوانية لا ترتقي ، اما النفس فالهية ، ترتقي حتى تشاهد الموجود الواجب الوجود . وكذلك توصّل ابن الطفيل في قصته " حيّ بن يقظان " الى ان في وسع الانسان ان يرتقي بنفسه الى معرفة الاله والعالم ، وان في وسعه — كما يقول ابن سينا — ان يهذب نفسه بالعلوم ويرقيها بالمعرفة . ويشبه النفس بالزجاجة سراجها العلم ، وزيتها حكمة الله :

هذب النفس بالعلوم لترقى ... وذر الكل فهي للكلّ بيت
انما النفس كالزجاجة والعلم ... سراج وحكمة الله زيت
فاذا اشرقت فانك حيّ ... واذا اظلمت فانك ميت (٣)

← ولابن سينا قصيدة في النفس ، يرمز اليها بالورقاء ، فهي تهبط من الله وينبغي على الانسان ان يطهّرها من الادران ، ويرفعها بالعلم والمعرفة ، حتى اذا دنا الموت سجعت في الفضاء ، تاركة وراءها الجسد الترابي ، حيث تتحد بالله طاهرة عالمة بكلّ خفيّة . وفي ذلك يقول :

هبطت اليك من المحل الارفع ... ورقاء ذات تعزّز وتمنّع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ... ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف ... عنها حليف الترب غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع (٤)

---

(١) ابو الفتح البستي ، ديوان ابي الفتح البستي ، ص: ٧٤
(٢) بطرس البستاني ، ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، ص: ٤٨
(٣) ابن سينا — منطق المشرقيين ، ص: لج
(٤) المصدر نفسه ، ص: كب — كج

This file was downloaded from Quranic Thought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم يقـــول :

وتعود عالمة بكلّ خفية في العالمين فخرقها لم يرقع
فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمـــع (١)

هكـــذا كانت غاية الفلاسفة ان ينقّوا النفس البشريّة ، ويطهّروها بالعلم والمعرفة من الادران والاوهام ، حتى اذا نمت وارتفعت بلغت الكمال الانسانيّ الذى يماثل الكمال الالهي ، واتحدت بالذات الالهية الكبرى ، واصبحت عالمة معارفة باسرار الكون والكائنات. وقد حظي الصوفيون بهذا الاتحاد ، كما انه كانتغايتهم القصوى ، ولم يفرّق الصوفيون بين الروح والنفس ، بل جعلوهما واحدة ، فالروح او النفس تسافر في مسلك وعر حتى تبلغ الله حيث تسكن فيه سعيدة بالمعرفة . والروح عند الصوفيّ قبس من الله ، ولا بدّ لذلك القبس ان يقوى على الجسد ، حتى يستطيع ان يرتقي الى الذات الالهية . وقد عزّز وا فكرتهم هذه بالفلسفة الافلاطونية الحديثة ، ولم يعبر الصوفيّ عن الروح باكثر من انها موجودة ، لا يعلم جوهرها الّا الله . وقد قال الجنيد : "الروح شيء استأثر الله بعلمه ، ولا تجوز العبادة عنه باكثر من موجود" (٢) . وقال عبد الله النباجـــي : "الروح جسم يلطف عن الحس ، ويكبر عن اللمس ولا يعبّر عنه باكثر من موجود" (٣). اما الصوفي وحده فيعرفها بعد ان يقطع الاحوال والمقامات ، ويسعد بها عند ما يتّحـــد بالذات الالهية . وقد عبّر ابن الفارض عن هذه الاحوال في تائيته الكبرى المشهورة ، فوصف رحلة النفس او الروح من الارض الى السماء ، ثم مجاهدتها واستشهادها فـــي سبيل الفوز بما قصدت اليه . حتى اذا افنت بالله ، اصبحت قادرة ان تحيي وتميت ، مسيرة الاكوان بمشيئتها ، ممدّة الفلك من نورها ، والبحار من عبابها ، وما الانوار التـــي نراها الّا لمعة منها ، وما المحيطات التي تعجّ الّا قطرة منها ، وفي ذلك يقـــول :

ولمّا نقلت النفس من ملك ارضها بحكم السرّ امنها الى ملك جنّة
وقد جاهدت واستشهدت في سبيلها وفازت ببشرى بيعها حين وفت
سمت بي لحجبي عن خلود سمائها ولم ارض اخلادي لارض خليفتي
ولا فلك الّا ومن نور باطني به ملك يهدي الهدى بمشيئتي
ولا قطرا الّا حلّ من فيض ظاهري به قطرة عنها السحائب سحّت
ومن مطلعي النور البسيط كلمعة ومن مشرعي البحر المحيط كقطرة (٤)

هكذا آمن الصوفي بنفسه ، او بروحه ، وهكذا صعّدها بالتأمل العميق لتكـــون المعرفة كلها ، والكمال كله . فالانسان ذو قيمة لان له روحا او نفسا تتوق الى مشاهـــدة الخالق ومعرفة جوهره . وهكذا اصبحت النفس والروح قوّة واحدة ، قاهرة ، لا يثنيـــها شيء عن سفرها الشاق الطويل الى الذات الالهية حيث الطهر والنقاء ، وحيث الفنـــاء والبقاء .

---

(١) ابن سينا ــ منطق المشرقيين ص: كب ــ كج
(٢) جبور عبد النور ، التصوّف عند العرب (بيروت ، ١٩٣٨) ص: ٩٥ (لم استطع الرجوع الى المرجع الاصلي لضيق الوقت)
(٣) المصدر نفسه ص: ٩٥
(٤) ابن الفارض ــ ديوان ابن الفارض ص: ٥٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الموت ، المعاد ، الخلـــود

عـــرف الانسان الموت منذ كان ، فالموت لا بدّ منه ، وبه ينتهي الانسان ويرجع الى التراب . ولم يستطع الانسان ان يعرف حقيقة الموت ، وان يعلم ما قبله وما بعده ، فلجأ الى الاديان ليطمئن روحه الحائرة ، فرأى ان الموت هو فناء الجسد وعروج الروح الى الله ، واما الجسد فسيبعث باذن الله مرّة اخرى في يوم الحساب . وقد قيل ان الروح تنتقل بعـــد الموت من جسد الى جسد . وقد اجمعت الاديان السامية على ان الله قد خلق الانســـان من تراب ، واعطاه روحا من روحه ، ثم يعيده الى التراب ويعيد الروح اليه . وقد اعتبـــر العرب القدامى الموت مظهرا طبيعيا ، كما رأوه وهو فناء الجسد والنفس معا . والمـــوت يرصـــد دوما الانسان ، وهو قريب منه اينما كان ولا يعلم احد متى يحين اجله ويشـــدّ رسنه ، وفي ذلك يقول طرفة بن العبد :

ارى الموت اعداد النفوس ولا ارى ... بعيدا غدا ما اقرب اليوم من غد
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتـــى ... لكالطول المرخى وثنياه باليـــد (١)

ويـــرى زهير بن ابي سلمى ان الانسان فان ، ولا يخلد الّا الله والسماء ولكلّ ايـــام معدودات ، يقضيها فينالـه تيار الموت ويجرفه معه ثم يمضي :

الا لا ارى على الحوادث باقيا ... ولا خالدا الّا الجبال الرواسيا
والّا السماء والبلاد وربنـــا ... وايامنا معدودة والليالـيـــا (٢)

ويقـــول ايضا في الموت :

ومن هاب اسبابا لمنايا ينلنه ... ولو نال اسبابا لسماء بسلّم (٣)

كذلك يقول النمّر بن تولب العكليّ :

فان المنية من يخشـــها ... فسوف تصادفه اينما (٤)

ويشبه لبيد الانسان بالشهاب الذي يضيء ثم ينطفيء . ويرى ان الناس جميعا هم ودائع الله ، لا بدّ ان تردّ اليه ، وهناك تنكشف له اعماله :

فلا جزع ان فرّق الدهر بيننا ... فكل امرئ يوما له الدهر فاجع
وما المرء الّا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد ان هو ساطع
وما المال والاهلون الّا وديعة ... ولا بدّ يوما ان تردّ الودائـــع (٥)

ويقول ايضـــا :

حبائله مبثوثة بسبيله ... ويفنى اذا ما اخطأته الحبائل
وكل انا مرسوف تدخل بينهم ... دويهية تصفّر منها الانامـــل
وكل امرئ يوما سيعلم سعيه ... اذا كشفت عند الالـه المحاصل (٦)

---

(١) الزوزني ـ شرح المعلّقات السبع (مصر ١٣٥٢ هـ) ص: ٧٨
(٢) زهير بن ابي سلمى ـ ديوان زهير بن ابي سلمى (شرح الشيباني) ص: ٢٨٨
(٣) المصدر نفسه ص: ٣٠
(٤) ابن الشجري ـ مختارات ابن الشجري (مصر ١٩٢٥م) ص: ١٦
(٥) لبيد العامري ـ ديوان لبيد العامري (رواية الطوسيّ) (وين ١٨٨٠م) ص: ٢١ و٢٢
(٦) لبيد ـ ديوان لبيد (ط ثانية ١٩٦٢م) (تحقيق [illegible]) ص: ٧٨ و٧٩

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول ابو ذؤيب الهذلي ان الموت قهّار مفترس ، وان التمائم لا تجدي نفعا اذا حان الموت :

واذا المنية انشبت اظفارها ... الفيتكلّ تميمة لا تنفع (١)

ويقول علقمة ذو جدن الحميري ان النفس اذا ماتت لا ترجع ولن يستطيع احد ان يدفع الموت عن اي حميم له :

والنفس لا يحزنك اتلافها ... ليس لها من يومها مرتجع
والموت ما ليس له دافع ... اذا حميم عن حميم دفع (٢)

والموت يرصد كلّ انسان اينما سلك ، ففي ذلك تقول السلكة ام السليك في قتل ابنها :

والمنايا رصد ... للفتى حيث سلك
اي شيء حسن ... لفتى لم يك لك (٣)

ويقول ايضا عنتـــرة :

اذا كان امر الله امرا يقدّر ... فكيف يفرّ المرء منه ويحذر
ومن ذا يردّ الموت او يدفع القضا ... وضربته محتومة ليس تعبر (٤)

وقـــد حاول محمد بن عبد الله ان يصوّر الموت للناس بصورة محسوسة ، ملموسة فقال ان الله يرسل عزرائيل ، ملاك الموت ومساعده ، لينتزع الروح متى حان اجلها ثم يجرها صاعدا بها الى الله ، ويبقى الجسد في التراب حتى البعث ، فاذا وقعت الواقعة ، بعث ما في الصدور ، ونشر ما في القبور فقامت الاموات تسعى الى يوم الحساب يمرّون على السرّاط ، فمن خفّت موازينه ، كان في عيشة راضية ، خالدا في جنان النعيم ومن ثقلت موازينه كان في عيشة معذّبة ، في نيران الجحيم . وقد تأثر العرب بهذه الصور المادية ، ذات الاصوات والالوان العديدة ، واصبح الانسان يحيا لآخرته ، ويعمل لأرضاء ربه حتى يحظى بجنان النعيم . والله محيي الموتى لترى ما اعدّ لهم يوم الحساب ، وفي ذلك يقول علي بن ابي طالـــب :

ولو انا اذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حيّ
ولكنّا اذا متنا بعثنا ... ونسأل بعده عن كل شيء (٥)

وقـــد تأثر الشعراء العرب بهذه الآراء ، فقال العجّاج بن رؤية في البعـــث :

بعد الممات وهو محيي الموت ... يوم ترى النفوس ما اعدّت
من نزل اذا الامور غبّت ... من سعي دنيا طال ما قد مدّت (٦)

وبانتشـــار الفلسفة في العصور العباسية ، اخذ الشاعر العربي يتأثر بالاراء المتناقضة المتضاربة في الروح بعد الموت ، وقد رأينا سابقا في باب الروح والنفس كيف كان الشاعر يقف موقف الشاك تارة ، والمؤمن تارة اخرى . ناقلا الينا ما يسمع من آراء الفلاسفة في ماهية

---

(١) المفضل بن محمد الضبي ـ المفضليات ج ١ ص: ٢٠١
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٧٣
(٣) ابو تمام ـ ديوان الحماسة ج ١ ص: ٣٨٦
(٤) عنترة بن شداد العبسي ـ ديوان عنترة (مصر ، سنة ؟) ص: ٦٩
(٥) علي بن ابي طالب ـ ديوان علي بن ابي طالب ص: ٦٤
(٦) لويس شيخو ـ شعراء النصرانية بعد الاسلام ـ ج ٢ ص: ٢٣١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الروح وفي خلودها وفنائها عبر آبه للتعمق فيها . فالشاعر العربي القديم تأثر بالقرآن في فهم الموت ولعلّه وجد فيه عزاء عميقا لنفسه الحائرة ، ويرى ابو نواس ان على الانسان ان يستعدّ للموت ويعمل لآخرته في دنياه ، ويتوكل على الله ، فالموت آت ، لا بدّ منه ، فيقول :

الموت ضيف فاستعدّ له ... قبل النزول بافضل العدد
واعمل لدار انت جاعلها ... دار المقامة آخر الامد
يا نفس موردك الصراط غدا ... فتأهبي من قبل ان ترد ى (١)

ويقول ايضا :

ان للموت لسهما ... واقعا دونك او بك
فعلى الله توكل ... وبتقواه تمسك (٢)

غير ان ابا نواس ينفجر صارخا ، ان الموت لا بدّ منه ، وينبغي على الانسان ان ينتبه لنفسه ، ويعتبر بالذين مضوا ولم يرجعوا :

لا بدّ من موت ففكّر واعتبر ... وانظر لنفسك وانتبه يا ناعس (٣)

ارى كل حيّ هالكا وابن هالك ... وذا حسب في العالمين عريق (٤)

— وهو يشك في الحياة بعد الموت ، فالموت عنده فناء وعدم ، وليس بعده عقاب وجزاء ، فلم لا يكثر الانسان من الخطايا ؟ وهو الذى سيطويه العدم ؟ ولم لا يكثر من الفحش والمنكر وهو الذى سيبلغ الربّ الغفور ؟ . . .

— وقد يحار ابن المعتز بين الشك واليقين ، ولكنه يتأكد ان الموت حالّ في كل نفس ، وفي ذلك يقول :

قد كشف الدهر عني يقيني ... قناع شكّي في كل شي
لا بد من ان يحلّ موت ... عقد نفس من كل حي (٥)

واذا كان مآل الانسان الموت ، والموت هو فناء — فلمن يلد الانسان ، ولمن يبني ؟ لم يسعى الانسان ، وهو من التراب والى التراب يصير ؟ وفي ذلك يقول ابو العتاهية :

لدوا للموت وابنوا للخراب ... فكلّكم يصير الى تباب
لمن تبني ونحن الى تراب ... نصير كما خلقنا من تراب
الا يا موت لم ارفك ابدا ... اتيت وما تحيف وما تحابي (٦)

---

(١) ابو نواس — ديوان ابي نواس ص: ١٩٣
(٢) المصدر نفسه ص: ١٩٨
(٣) المصدر نفسه ص: ٢٠٣
(٤) المصدر نفسه ص: ١٩٢
(٥) عبد الله بن المعتز — ديوان ابن المعتز (بيروت ١٣٣٢ هـ) ص: ٣٤٢
(٦) ابو العتاهية — الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهية (بيروت ١٩٠٩ م) ص: ٢٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وهـــل يبقى بعد الموت شيء ؟ اتبقى الروح بعد الموت اوان الخلود امان كاذبة ؟ ... لا بدّ من الموت ، ولا بد من اجل لكلّ انسان ، وفي ذلك يقول ابو تمّـــام :

كلانا اصاب الموت الّا حشاشة ومن الروح تحميها الاماني الكواذب (١)

مات حميد واى نفـــــس تبقى على الارض لا تمـــــوت ؟ (٢)

والمـــوت يؤنس ابي تمّـــام ، فلم يخافه ؟ والموت قريب من كل انسان يختتم كل حياة ، فلم لا يتمنّاه ؟ فليكن رفاقا لا يشعر ولا يحسّ :

فقد انست بالموت نفسي لأنني رأيت المنايا يخترمن حياتيا (٣)
فيا ليتي من بعد موتي ومبعثي اكون رفاتا لا عليّ ولا ليـــا

ان الانسان يموت ويطويه العدم ، ويترك وراءه اخباره الطيّبة ، وذكره الصالح فيخلـــد بآثاره . وما آثاره الّا تعبير عن عقله ونفسه ، وقد قال احد الشعراء القدماء :

المرء بعد الموت احدوثة يفنى ويبقى منه آثاره
يطويه من ايامه ما طـوى لكنه تنشر اسـراره
واحسن الحالات حال امرئ تطيب بعد الموت اخباره
ويفنى ويبقى ذكره بعـــده اذا خلت من شخصه داره (٤)

فمـــا هو الموت ؟ كيف نعرفه ؟ هل رجع انسان بعد الموت ؟ ومن نحن ؟ لم نخاف مما لا بدّ منه ؟ وهل نأمل حياة بعد الموت ؟ وفي ذلك يقول المتنبـــي :

وما الموت الّا سارق دق شخصه يصول بلا كفّ ويسعى بلا رجل (٥)

فالموت تعرف بالصفات طباعه لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا (٦)

نحن بنو الموتى فما بالنـــا نعاف ما لا بدّ من شـربه (٧)

واذا لم يكن من الموت بـــد فمن العجز ان تكون جبانا (٨)

ويقـــول ايضـــا :

تمتّع من سهاد او رقاد ولا تأمل كرى تحت الرّجـــام (٩)

---

(١) ابو تمّام ـ ديوان ابي تمام الطائي ، ص: ٣٢٠
(٢) المصدر نفسه ، ص: ٣٣٠
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٤٣٢
(٤) ابن قتيبه ـ عيون الاخبار ج ٣ ، ص: ١٩٥
(٥) المتنبي ـ ديوان العرف الطيب في شرح ابي الطيب ، ص: ٢٢٨
(٦) المصدر نفسه ، ص: ١٠٧
(٧) المصدر نفسه ، ص: ٦٠٩
(٨) المصدر نفسه ، ص: ٥١٢
(٩) المصدر نفسه ، ص: ٥٢٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول الشريف الرضي في الموت :

رأيت الموت يبلغ كل نفس على بعد المسافة والمرام (١)

وقد كان ابو العلاء اكثر شعراء العرب تأملا في الحياة والموت . وقد تبرّم ابو العلاء من الحياة البشرية ، فوضعها تحت مبضعه الذى لا يرحم ، حتى اذا اصطدم بواقعها جرحته جرحا عميقا ، فتشاءم وتمنى الموت ، وبسط راحيته بسرور للقاه ، فلقي تجاوبا عميقا في اغوار النفوس المتألمة ، والاجساد الضعيفة ، قال ابو العلاء :

نصحتك فاعمل له دائما وان جاء موت فقل مرحبا (٢)

ما اوسع الموت يستريح به الجسم المعنّى ويخفت اللجب (٣)

يدل على فضل الممات وكونه اراحة جسم ان مسلكه صعب (٤)

اذا غدوت ببطن الارض مضطجعا فثم افقد اوصابي وامراضي (٥)

انا صائم طول الحياة وانما فطرى الحمام ويوم ذاك اعيّد (٦)

فما هو الموت عند ابي العلاء ؟ ... الموت نوم طويل ، لا بدّ منه ، والموت يطوى جسد كل انسان بلا تمييز ، ويحوّله ترابا ، وغذاء للنبات ، وفي ذلك يقول :

والموت نوم طويل ما له امد والنوم موت قصير فهو منجاب (٧)

وموت المرء نوم طال جدا عليه وكل عيشته سهاد (٨)

وللموت كأس تكره النفس شربها ولا بدّ يوما ان تكون لها شربا (٩)

والناس جنسها تميّز واحد كلّ الجسوم الى التراب تنسّب (١٠)

هو الموت مشرعنده مثل مقتر وقاصد نهج مثل آخر ناكب (١١)

ويقول ايضا :

ارى الاشياء ليس لها ثبات وما اجسادنا الّا نبات (١٢)

---

(١) الشريف الرضي — ديوان الرضي ج ٢ (بيروت ١٣٠٩ هـ) ص: ٨٢٠
(٢) ابو العلاء المعرى — لزوم ما لا يلزم — ج ١ ص: ١١١
(٣) المصدر نفسه ص: ٨٨
(٤) المصدر نفسه ص: ٦٩
(٥) المصدر نفسه ص ٦٨ ج ٢
(٦) و(٧) المصدر نفسه ص: ٢٤٩ و ٧٨
(٨) و(٩) المصدر نفسه ص: ٢٤٦ و ٩٢
(١٠) و (١١) المصدر نفسه ص ٨٥ و ١١٤
(١٢) المصدر نفسه ص ١٥٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والارض تقتات الجسوم كانما هذا الحمام لتربها ميّار (١)

والموت يفتك بالانسان فتكا ، والموت يكسّر الانسان تكسّرا ، والانسان مثل الزجاجة التي يحطّمها الزمان ، فلن يعود لها سبك : وفي ذلك يقول ابو العلاء :

حمام فاتك فهل انتصار وكسر دائم فمتى الجبور (٢)

يحطمنا ريب الزمان كاننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك (٣)

غير ان ابا العلاء يجمع في نفسه اضدادا ومتناقضات ، فيؤمن تارة ان الجسد يفنى ولن يعود ، وتارة اخرى يومن ببعث الجسد ، فيقول متردّدا :

قال المنجّم والطبيب كلاهما لا تحشر الاجساد قلت اليكما
ان صحّ قولكما فلست بخاسر او صحّ قولي فالخسار عليكما (٤)

اما الموت عند الفلاسفة والصوفيين ، فكان لمعنى آخر جديد . والموت عندهم انتقال الانسان الى حياة روحية خالصة ، اغزر علما من الحياة التي كان يحياها الانسان بجسده . وقد تعرج الروح وتخلد الى الذات الالهيّة ، فتغتبط بمشاهدة الله ومعرفته ، تاركة وراءها حليف التراب . فالموت حياة عند الفلاسفة ، لا يخافونه ، بل يسعدون به لأنه متمّم لمعرفتهم الكبرى ، وسعادتهم العظمى . وهكذا كان اخوان الصفاء في رسائلهم ، وابن سينا في قصيدته "النفس" ، وابن الطفيل في قصته "حيّ بن يقظان" . وقد رأينا في الابواب السابقة كيف يحيا الصوفي بلا جسد ، وكيف تبلغ روحه بعد سفر طويل الى الذات الالهية ، وكيف تتّحد بها حتى تصبحا واحدة . وليست الاوقات التي تترك فيه الروح جسد الصوفي لتسجع في الفضاء ، وتقترب من الله ، الا اسعد الاوقات وامتعها عند الصوفي ، يتمنى لو تطول ، ولكنه يعلم جيدا انها ستطول يوما ، عندما يرجع جسده الى التراب ، وتبقى روحه خالدة في الابد في الذات الالهية ، تشاركها في تسيير الاكوان ، لذلك نرى الصوفي يغتبط بالموت ، فهو يخلّصه من الجسد الذي يعوقه عن الاتحاد الابدي بالله . وفي ذلك يقول ابن الفارض :

فالموت فيه حياتي وفي حياتي قتلي (٥) .

---

(١) ابو العلاء المعري ـ لزوم ما لا يلزم ج ١ ، ص : ٣٣٥
(٢) المصدر نفسه ص ٣١٩
(٣) المصدر نفسه ص : ١٤٧ ج ٢
(٤) المصدر نفسه ص : ٣٠٠
(٥) ابن الفارض ـ ديوان ابن الفارض (بيروت ، ١٨٨٦م) ص : ١٠٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عرّفنا سابقاما نعني بادب بالروح وكيف فهم الغرب والعرب المحدثون . وقد رأينا ان التأمل العميق في ما وراء المادة ، او تجريد المادة والارتفاع بها فوق مادّيتها ، او معالجة المجرّدات الروحيّة بلغة شعريّة ، هو ما نعنيه بادب بالروح . وقد يكون في الادب كما في الفلسفة ، حرية في البحث والتعليل ، غير ان وظيفة الادب دوما هي الوحي والالهام ، لاثارة المفكرين من فلاسفة وعلماء ، وحثهم على الحرية المطلقة في البحث العميق والتحليل الدقيق . فالشاعر الحقيقي يتأمل في الحياة ، وما في الحياة من انسان وحيوان ونبات وجماد . ويتأمل في اغوار الانسان ، وما في الانسان من نفس وروح وعقل . ويتأمل في النفس وما فيها من سعادة والم وحرية وجمال وكمال وحب وفضيلة وانسانيّة . ويتأمل في الاكوان وفي بديع تناسقها ، وجميل مناظرها ، وفي ما وراء الاكوان من قوّة عظيمة خالقة مبدعة ، كلّ هذا يدور في خاطر الشاعر الحقيقي الخالد ، فيرفع الانسان بلغته الموسيقية ، من عالم المادّة الى عالم الروح ، ويحرره من التراب ، ليصعد به الى السماء ، ويخلّصه من شقاء الارض وعنائها ، لينقله الى العالم اللا مرئيات حيث الطمأنينة الروحيّة والسعادة الابديّة .

وقد رأينا ايضا ان الادب العربي القديم عامّة ، لم يعن في شأن المجرّدات ، وقلّما التفت اليها متأمّلا ، متعمقا . وكان الشعر في العصر الجاهلي وفي صدر الاسلام وما بعده على الاطلاق ، واقعيا فطريا ، اقرب الى ادب الحسّ والمادة منه الى ادب الروح ، فيه ما يملأ العين والاذن والفم . وقد نقرأ ابياتا عابرة نتيجة لاختبارات شخصيّة ، تدخل في باب الحكم والامثال . وقد يتحدّث الشاعر القديم عن الموت مثلا ، كما يراه ، في بيت او بيتين من الشعر ، ان فقد له عزيزا . فالموت عنده يقتحم كل انسان ، ويفرّق كل شمل ، والموت كان منذ كان الانسان ، والجسد خلق من التراب والى اصله يعود . وقد يذكر قدرة الله ايضا كما تحدّث عنها الانبياء سابقا في كتبهم الدينيّة ، لكنّ الشاعر القديم لم يفرد قصيدة بذاتها ليعالج موضوعا من المواضيع المجرّدة ، بل كان يذكرها ان عنّت له ، ويفسّرها تفسيرا ماديا .

وقد انتشرت الفلسفة في العصور العباسية كما رأينا ، واختلط العرب بغيرهم من الامم ، واقتبسوا ثقافات اجنبية ، لكن تأثير الفلسفة في الادب لم يظهر الا في نواح قليلة معينة . وقد كان هذا التأثير ، كما قال دى بور " سطحيا في اغلب الاحوال . ويتجلى هذا بنوع خاص فيما روى عن الشعراء من اقوال تدل على روح الشك ، ومن سخرية بأقدس الاشياء ، كما يتجلّى في تمجيدهم للشهوات الحسّية . ولكننا نجد الى جانب هذا ، حكما وتفكيرا جدّيا وآراء صوفية ، تدخل جميعا في الشعر العربي " (١) . والآراء في المجرّدات عند الشعراء العرب قليلة ، محصورة في طبقة خاصة ، امثال ابي العلاء المعرى الذى اعطى آراءه في الحياة دون تعمّق ، فجاءت لزومياته نقدا للمجتمع ، وامثال الفلاسفة الذين عبروا عن تفكيرهم العميق بلغة شعرية ، وهؤلاء قليلون ، وامثال الشعراء الصوفيين الذين تغنّوا بالحب الالهي ، ولعلّ ابن الفارض وابن عربي اكثر الصوفيين شعرا .

---

(١) ت.ج دى بور — (T.J. De Boer) تاريخ الفلسفة في الاسلام ص: ٧٦
(ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة)

This file was downloaded from QuranicThought.com

والآن يحق للباحث ان يتساءل : وما هي العوائق التي وقفت في وجه الشعر العربي القديم ، فصدته عن التأمل العميق في الحياة ؟ ولم لم يعالج شعراؤنا العرب مشاكل الانسانية الكبرى في قصائدهم ؟ اين هذه المشاكل العالمية الشاملة التي يشترك فيها كل انسان ، ويغتبط لمعرفتها كل بشري في كل مكان وزمان ؟ هل وقف في وجه شعرائنا ما لم يقف في وجه كبار الشعراء في العالم من الحواجز ما منع عنهم معالجة الموضوعات الروحية العميقة ، فجاء شعرهم ، الا القليل منه محسا ، ماديا ، لا يرفع النفس ولا يسمو بها الى فوق ؟ وبعد ، فما هي هذه العوامل التي عملت على تكبيل الادب العربي القديم عامة ، وسجنته في المادة ، فلم تخفق فيه نسمة روح ؟ . نستطيع ان نحصر هذه الاسباب في عرفي ، بما يلي :

اولا : العقلية العربية
ثانيا : الروح الاسلامية ورجال الدين
ثالثا : فقدان الحرية
رابعا : عدم الايمان بقيمة الانسان
خامسا : ضعف النقد

وسنحاول ان نقول كلمة في كل من هذه العوامل .

اولا : العقلية العربية

ان العوامل الطبيعية والاجتماعية ، تعمل في تكوين عقلية الشعوب . وكان العرب القدماء يسكنون الصحراء ، ويعيشون في الطبيعة القاسية ، فامتازوا بعقلية خاصة اثرت في انتاجهم الادبي . وقد حدثنا ابن خلدون في مقدمته المشهورة ، عن اهل البادية والسهول الصحراوية ، هؤلاء الذين لا يستقرون في مكان ، همهم الغزو والخراب ، يبحثون دوما عن الكلأ والماء . فاذا نضب بهم مقام ، ضربوا خيامهم من مكان الى مكان . فهذا القلق المستمر ، والسعي المتواصل وراء الطعام اثر في عقليتهم ، وجعلهم يبذلون جهدا ، ونشاطا في السعي وراء اتفه الاشياء ، فلم يتح لهم مكانا يستقرون فيه ، ليهتموا بالصناعة وتحسين عيشهم ، او ليتأملوا في الحياة والاكوان ، ويقول ابن خلدون انهم " اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظة والانفة ... فقلما تجتمع اهواؤهم " (١) . وهم " ابعد الناس عن الكمائع " (٢) .

وقد بحث المستشرقون الغربيون في الذهنية السامية ، لا سيما العربية منها ، وقد اشتهر اوليري (O'Leary) ، ونولدكي (Nöldeke) ، ورنان (Renan) وغيرهم بمباحثهم في الذهنية العربية . فالعربي الصميم لا ينظر الى الطبيعة التي تحيط به الا نظرة حية مادية ، فيصف - ان كان شاعرا - ناقته وفرسه وحبيبته او اي منظر

---

(١) ابن خلدون - المقدمة ص: ١٥١
(٢) المصدر نفسه ص: ٤٠٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

استرعى انتباهه ، وصفا ماديا ، لا تعمّق فيه ولا خيالا سماويا مجنّحا ، وفي ذلك يقول اوليري ان العربي الاصلي فظ مادّي ، ينظر الى الاشياء نظرة واقعيّة ماديّة ، ويشعر بطمع وشره وضيعين ، وليس لديه مجال للخيال ولا للعاطفة ، فلا يأبه لشيء الّا بمقدار ما يدرّ عليه من قيم نفعيّة (١) ؛ لكن هذا لا ينفي عنه ذكاءه ، وقد نراه دقيقا في نظرته الماديّة ، وفي لغته وتشابيهه واشاراته ، ولو كانت حسّية وضيعة . اما نولدكي فقد بحث في الذهنية الساميّة وخصائصها ، فرأى ان نظرة الساميين الى الدين ، كانت نظرة جافة جامدة ماديّة تتجه اتجاها واحدا ، وان نظرة الساميين الى الحكم كانت نظرة خاطئة ، فالساميّون فرديون بطبعهم ، يصعب انقيادهم لا يخضعون لأحد ولا لنظام ، وكذلك لا يصلحون ان يكونوا جنودا الّا — كما ذكر ايضا ابن خلدون في مقدّمته — اذا جذبتهم عاطفة دينية (٢) ، فاصبح على حدّ تعبير ابن خلدون " الوازع لهم من انفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم " (٣) . وقال نولدكي ايضا ان السامي قصر في النظر العام الشامل للاشياء ، وفي الادراك العميق للآراء المنطقية ، فالعربي — وهو من الجنس السامي — "اميل الى التعميم والاجمال والبساطة " (٤) ، بينما الغربي — وهو من الجنس الآري "اميل الى الاستقصاء والتفصيل والتحليل " (٥) ، لذلك ، فان خيال العربي — على حدّ تعبير احمد امين " — محدود وغير متنوع ، فقلما يرسم له خياله عيشة خيرا من عيشته وحياة خيرا من حياته ، يسعى وراءها ، لذلك لم يعرف المثل الاعلى "لأنه وليد الخيال ، ولم يضع له في لغته لفظة واحدة دالة عليه ، ولم يشر اليه فيما نعرف من قوله ، وقلما يسبح خياله الشعري في عالم جديد ، ينتقي منه معنى جديدا ، ولكنه في دائرته الضيقة استطاع ان يذهب كل مذهب " (٦) ، فكان للعرب لغة ، وكان لهم شعر وامثال وقصص ، "اما العلم والفلسفة فلا اثر لهما عندهم ، لان التطور الاجتماعي لا يسمح لهم بعلم ولا فلسفة " (٧).

ورغم ان العربيّ القديم اختلط بالامم المجاورة ، وذلك عن طريق الفتوحات الاسلامية ، وتأثر بحضاراتهم الماديّة ، لكنه لم يستطع ان يطّلع على آداب هذه الامم ، فيترجمها ترجمات صحيحة ، لأن عقله لم يستسغ تعدّد الآلهة عند اليونان ، وغيرها من الامم ، ولم تفهم ذهنيته السامية هذه الحوادث الخارقة التي يلعب فيها الخيال الواسع دورا كبيرا . وقد انتشرت الفلسفة في العصور العباسيّة ، غير ان رجال الدين ، لم يقبلوا الفلسفة ، بل كفّروا القائلين بها ، واضطهدوهم " فقد كانت الحضارة المادية — على حدّ تعبير طه حسين — تدفع العرب الى الامام ، وكانت حياة الدين تجذبهم الى الوراء ، وكان العقل العربي بطبيعة الحال موضوع الجهاد بين هذين المؤثرين المختلفين " (٨) ، ومن الطبيعي ان تؤثر هذه الحالة في انتاج العرب الادبي ، فيظلّ محدودا ، ضيّقا ، سطحيا . فالحضارة المادية "وحدها لا تكفي لترقية الشعر ، ودفعه في سبيل التطور المنتج ، وانما يجب ان تضاف الى هذه الحضارة المادية ، اشياء اخرى اهمها المخالطة الادبية للشعوب الاجنبيّة" (٩) وذلك

---

(١) O'leary — Arabia Before Muhammad (London & New York 1927) P: 20
(٢) Th. Nöldeke — Sketches From Eastern History (London, Edinburgh 1892) PP 5-16
(٣) ابن خلدون — المقدمة ص: ١٥١
(٤) احمد حسن الزيات — في اصول الادب ، ص: ١٧
(٥) المصدر نفسه ص: ١٧
(٦) احمد امين — فجر الاسلام ص: ٤٤
(٧) المصدر نفسه ص: ٥٧
(٨) طه حسين — حديث الاربعاء ج ٢ (مصر ١٩٣٧) ص: ١١ و ١٢
(٩) المصدر نفسه ص: ١٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للتعرّف على رقيّهم الروحيّ ، وادبهم الانساني الخالد . وقد كانت هذه المخالطة الادبية ضعيفة جدا ، فلم يعرف العرب — على حدّ قول طه حسين " من اثارها الا شيئا من العلم والفلسفة ، ونتفا من الحكم والامثال فجهلت الامة العربية جهلا تاما ... اداب الامة اليونانية ... ، ولم تكد تأخذ عن الفرس الّا الحضارة المادّية " (١) ، لذلك ظلّ افق العقل العربيّ ضيقا ، غير منفتح على آداب غيره من الامم ، فلم يعرف ادبه التجديد ، بل ظلّ تقليدا ، وبحرمان العربي مثل هذا الاختلاط الذي يؤثر على العقلية ، "حرم الادب العربي نتيجته ، وهي التجدد المنتج ... فجهلوا (اي العرب) الشعر القصصي والشعر التمثيلي ، وجهلوا من الشعر الغنائي نفسه فنونا كثيرة ، وضروبا مختلفة " (٢) .

يتضح لنا ان المانع الاساسي في عدم احتكاك العرب بغيرهم من الامم ، واقتباس آدابهم ، وترجمتها الى اللغة العربية ، هي العقلية العربية التي كانت مسيطرة عليهم ، تمنعهم من الاطلاع على روائع الادب عند غيرهم من الامم ، ولو نظر العرب القدماء الى تراث من سبقهم من الامم بعين الكسب والامتزاج والاقتباس ، لاستطاع شعراؤنا اليوم ان يقلّدوهم ، فالعربيّ من طبيعته ان يحافظ على القديم ويقلّده ، ولو شاء الله لادبنا الكمال من نقصه — على حد تعبير الزيات — " لالهم المترجمين في عصر المأمون ان ينقلوا روائع الادبين الاغريقي واللاتيني من الشعر والقصص والروايات والخطب والملاحم ، كما نقلوا العلم والحكمة ، اذ ن لقلّدهم ادباء العرب في ذلك ، ولسدّوا في الادب العربي خللا ما برئ منه حتى اليوم " . (٣) .

---

(١) طه حسين ، حديث الاربعاء ج ٢ (مصر ١٩٣٧) ص ١٤٠

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٥

(٣) حسن الزيات — في اصول الادب ، ص: ٢٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثانيا : الروح الاسلامية ورجال الدين

الاسلام دين اجتماعي وسياسي ، امتزجت فيه السلطة الدينية بالسلطة المدنية . وقد جاء به محمد بن عبد الله الى امته العربية ، فلم شملهم ، ووحد كلمتهم تحت راية الدين الجديد ، بعد ان كانوا عصاة متفرقين . وقد نظم حياتهم الاجتماعية بعد درس واف ، فكانت الشريعة البسيطة تلائم ذلك العصر ، لذلك نرى ان محمدا وشريعته كانا وليدى بيئة خاصة ، وزمن خاص . وعندما انتشر الاسلام بالفتوحات ، اختلط المسلمون بالامم المجاورة ، كاليونان والرومان والعجم والهنود ، فأخذوا عنهم ثقافاتهم ، بمقدار ما كانت تساوق روح دينهم ، على ان رجال الدين لم يستسيغوا الفلسفة ، فاضطهدوا الفلاسفة الذين حاولوا ان يدرسوا القرآن على ضوء الفلسفة ، ويخلصوا الدين من الادران المتعلقة به ، ومن الجمود الطاغي عليه . وقد كان رجال الدين في كل عصر ، متعصبين للشريعة الاسلامية كما جاءت ، محافظين على التقاليد ، رافضين الفلسفة وكل جديد رفضا قاطعا ، فالفلسفة في رأيهم منافية لروح الدين ، والقرآن موقوف على الله ، لا يقبل التحليل والتعليم والجدل ، وهو لا يقوم الا على الايمان والاستسلام .

وقد يخرج الدين من ايدى رجال الدين ، من آن لآن ، ليدخل في هيكل الفلسفة ، فينتصر له خليفة تقدمي ، ثم سرعان ما يحتضنه خليفة آخر رجعي ، يساير اهواء رجال الدين ، فيضطهد والفلسفة ورجالها ، وينفض الدين مما علق به من غبارها ، فتنطوى الجمعيات الفكرية الحرة على ذاتها ، وتتستر خوفا من الاضطهاد والتنكيل باصحابها ، وكم من كتب احرقت ، ومن مفكرين احرار قتلوا ، ارضاء لرجال الدين . كل هذا اثر في الفكر العربي القديم ، وكبله عن التقدم الحر ، والتعمق البعيد في الخيال ، فلم يجرؤ احد على ان يأتي بجديد طريف ، بل ظل العربي محافظا على التقليد في كل ناحية من نواحي حياته .

وقد مررنا بثورة ابي العلاء المعرّى على الاديان ورجال الاديان والشرائع ، فاظهر لنا الثورة التي تجرها الاديان على الانسان ، ونادى بطرحها والتعلق بدين جديد هو دين الانسانية ، ورب جديد ، هو العقل . ولعله الشاعر الوحيد الذى جرؤ على هذه المهاجمة اللاذعة ، وهذا الرأى الحر النبيل ، غير ان ابا العلاء لم يترك اثرا فعالا في عصره ، فظل العصر يساير اهواء الخليفة والحاكم ، وظل الخليفة والحاكم يسايران رجال الدين ، وبقيت نفوس الشعب متزمتة ، مقهورة ، مسيرة .

ولكن لا بد من القول انه لو دخلت الفلسفة في الدين الاسلامي ، ولو تبنى الدين الاسلامي الفلسفة ، لصحا المسلمون ، واقدموا على التجديد المستمر الحي في حياتهم الاجتماعية والسياسية ، وطرحوا جانبا ما علق بهم من التقاليد البالية ، وظل القرآن كتابا دينيا روحيا ، لكن رجال الدين ابوا ذلك ، واعتبروا القرآن دينا ودولة ، يصلح في كل عصر ، وحافظوا على القول انه منزل من عند الله ، موقوف عليه ، ازلي ، لن يتغير ، فتقدست لغته ، واصاب اللغة جمود .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويحق لنا ان نتساءل : ترى على من تقع المسئولية ، أعلى الروح الاسلاميّة ام على رجال الدين ؟ ولم وقف رجال الدين هذه الوقفة الرجعيّة العنيدة ؟ أهي من وحي الروح الاسلامية ، ام من جهل رجال الدين في الحياة الاجتماعية والسياسيّة والفكرية ؟

نرى مما تقدّم ان الروح الاسلامية قد اثرت في رجال الدين ، خاصة وان من طبيعتهم الجمود والمحافظة على كل قديم ، ثم ان رجال الدين لم يتثقفوا الّا بثقافة دينية تقليدية ، ولم يأبهوا بالاطلاع على الفلسفة التي هي في رأيهم ، منافية لروح الدين ، لذلك استطاع رجال الدين ان يسيطروا على السواد الاعظم من الشعب ، والشعب تقبّل بدوره هذه السيطرة للجهل المنتشر بينهم ، والخوف المستولي على افئدتهم . وفي رأيي لو درس رجال الدين دينهم على ضوء الفلسفة لخلّصوه من شوائبه ، وطهّروه مما علق به ، ولكنهم وقفوا وقفة قويّة جارفة ، ساعدهم على ذلك الروح الاسلاميّة التي من طبيعتها الخضوع والاستسلام ، وهذه الروح هي التي ابعدت المسلمين عن الفلسفة وعن الخلق والابداع ، لأنها — على حدّ تعبير عبد الرحمان بدوي — تكره الذاتيّة " اشدّ الانكار ، وانكار الذاتية يتنافى مع ايجاد المذاهب الفلسفية كل المنافاة ، لان المذهب الفلسفي ليس الّا التعبير عن الذات في موقفها بأزاء الطبيعة الخارجيّة او الذوات الاخرى ، والتي تستقلّ هي بنفسها عنها ، وتؤكد كيانها بأزائها " (١) . كما ان الروح اليونانية " تمتاز اول ما تمتاز بالذاتية " (٢) ، التي شعرت بكيانها واستقلالها ، فخلقت وابدعت . اما الروح الاسلاميّة ، فقد انكرت الذاتية ، وصدّتها عن الفلسفة التي تبحث و تحلّل ، وعن الفن الذي يخلق ويبدع ، وفي ذلك يقول ايضا عبد الرحمان بدوي ان الفنّ " مناف لطبيعة الروح الاسلامية ، لأن الفن اليونانيّ ، والفنون عامة بمعناها الصحيح ، تقوم على الذاتية وتفرض الطرافة والتنوّع " (٣) ؛ لهذا ابتعد العربيّ عن التصوير الآدميّ ، ورغم صرامة الروح الاسلامية ، ورغم تزمت رجال الدين ووقوفهم في وجه من يريد ان يبدع ويخلق ، فقد كان يظهر من آن لآن من اتسعت آفاق عقله ، ولكنه — على قول كريستي (Christie) " على الرغم من ذلك ، فان هذا التجاوز ظلّ يحفظ النفوس التقيّة الشديدة ، والتعصّب للدين ، فكان هذا الفن لا يفتأ يقاسي ثورة هذه النفوس واحتجاجها ، وتنكرها بين آن وآخر " (٤) ، كذلك كان شأن الفلسفة ، وشأن كل الفنون ، وكل طريف جديد .

هكذا نرى ان الروح الاسلامية كانت مسيطرة على العقول ، تشلّ الارادة ، وتنكر الذاتية ، وتبعد الانسان عن الخلق والابداع والفلسفة ، ولذلك ظلّ معظم الشعر العربي القديم سطحيا ، لا يعنى الّا بالمحسوسات ، والملذّات الحسّية ، بعيدا عن التأمل العميق الذي يرفعنا الى ما وراء الحسّ والمادّة ، بعيدا عن الفنّ الجميل الذي يحملنا على اجنحته الرقيقة الى هنيا المحبّة والجمال .

ثالثا : فقدان الحريّة

ولعلّ هذا العامل هو من اهمّ هذه العوامل المذكورة ، ونعني بالحرية هنا ، حرية الضمير والنفس والعقل ، ليستطيع الانسان ان يخلق ويبدع من غير رادع يردعه لا في السماء ولا في الارض . واما الادب العربي القديم فهو مكبّل منذ كان ، يسيطر عليه

(١) و (٢) و (٣) عبد الرحمان بدوي — التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص: ٢ زمو ، ح
(٤) ترجمة زكي محمد حسن — تراث الاسلام ج ٢ (مصر ، ١٩٣٦) ص: ١٤ (مصر ١٩٤٠م)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكرة الله في السماء ، ورجال الدين والحكم على الارض ، فلم يستطع ان يحيا بحرية ذاتية ، ولم يعرف العربي هذه الحرية المبدعة الا بمقدار ما كان يمنحها اياه الخليفة اوالحاكم ، لذلك لم يهتم الشعر العربي القديم الا بالمناسبات ارضاء للخليفة اوالحاكم ، ولم يتحرر من ربقة القبائل والحكام والقصور . وقد يكون الخليفة من انصار الفلسفة ، وحرية الفكر ، فينطلق الفكر العربي بحرية منتجة ، غير ان سرعان ما تخبو الحرية بموت مانحها ، فيكبل الفكر العربي ويخنق ، كذلك ينطلق الشعر قليلا بحرية سطحية ، لا تتجاوز ابياتا عابرة ، ثم يؤوب اسيرا للحكام والمسئولين .

مثل هذه الحرية ، حرية الضمير والنفس والعقل ، حرية صحيحة تخلق وتبدع ، وتأتي بكل جديد ، لكنها لم تنتشر في الشرق العربي ، لأن الحكام والمسئولين حسبوها خطرا عليهم اولا ثم على الدين والدولة ثانيا . وفي ذلك يقول دى بور ان " الخلاص من اعباء الحياة المادية ، وحرية البحث لاجل البحث كانا ينضاءلان باستمرار في البلاد التي استأثر بالامر فيها حكام جاهلون ، لم يكونوا اهلا لان يحموا حرية الفكر ويكفلوها لاصحابها ، وكان الفلاسفة عرضة للاضطهاد في البلاد كثيرة ، لانهم اعتبروا خطرا على الدين والدولة " (١) .

رابعا : عدم الايمان بقيمة الانسان

لم يكن للانسان قيمة ذاتية فردية ، بل كان يذوب الانسان في قبيلته اوفي مذهبه اوفي امته . وقد كان الانسان في الاديان السامية الكبرى الثلاثة انسانا حقيرا ، خلقه الله من التراب ، ثم يعيده الى التراب ، وقد نفخ فيه نسمة من روحه ، ثم يعيدها متى شاء .. والله هو الشارع القادر على كل شيء ، بيده كل شيء ، فمن يطعه يفسح له مكانا في الجنان ، ومن يعصه يزجه في الجحيم . وقد دب الخوف في قلب الانسان ، فسلم امره لله الاحد المنزه عن الصفات البشرية ، ولم يستطع الانسان ان يجادل في حقيقة الله ، بل ظل حائرا خائفا من قضائه ، فخفا عقله عن كل ابداع وتجديد ، وشل سعيه عن تحسين معيشته ، فانكسر ازميله ، وتناثرت ريشته ، وذابت الوانه ، فالله هو المبدع الاول والخالق الاكبر ، والانسان عاجز عن اى خلق وابداع ، واما الاغريق فقد خلقوا آلهاتهم خلقا على صورتهم ، وجعلوا بينهم وبينها محبة وصداقة ، فكانت تتصف بصفات البشر ، منها ما هو جميل ، ومنها ما هو قبيح . وقد ظل اليوناني " سيد نفسه ، متغطرسا ، موقنا انه سيد الارض ، وان الحياة وهب له ولعبقريته " (٢) ، لذلك ابدع اليوناني في فلسفته ، وفي فنه ابداعا ، واستطاع ان يحرك روح الانسانية جمعاء ، بينما قصر السامي في الفلسفة وفي الفن معا ، لانه لم يستطع ان يحرر نفسه من عبوديته للخوف والاستسلام ، بل كان جل نشاطه ينحصر في عبادة الله ، استعدادا للآخرة ، معرضا عن الحياة الدنيا .

---

(١) دى بور — تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص: ٢٣١

(٢) انيس فريحة — الفكر العربي (بيروت ، ١٩٥٠) ص: ١١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولـــم يكن للفرد قيمة في المجتمع السامي ، ولم يكن ذا اهميّة ، بل كانت فرديّته — على حدّ تعبير انيس فريحة — " هدّامة لا بنّاءة ، كانت تظهر ابدا بشكل انتقاضي على الحكم والنظام ، ونفور من السلطة والقانون . وكان الحكم السامي ابدا ارستقراطيا دينيا اقطاعيا ، لا محلّ فيه للتعبير عن شخصيّة الفرد " . (١) . هذا ما نشعر به عندما نقرأ الشعر الجاهلي ، فشخصية الشاعر — كما يقول احمد امين — " اندمجت في قبيلته حتى كأنه لم يشعر لنفسه بوجود خاص ، وانك لتتبيّن هذا بجلاء في معلقة عمرو بن كلثوم ، وقلّ ان تعثر على شعر ظهرت فيه شخصيّة الشاعر ووصف ما يشعر به وجدانه " (٢) ، وقلّ ان تجد من ينادي بقيمة الانسان ، فالانسان مثلا — عند ابي العلاء — بالرغم من تحرره وتفرّده برأيه — شرّ ولؤم ، وهو من التراب الحقير ، وليس عليه الّا الاستسلام لقضاء ربّه وقدره . وهو عاجز عن ان يعلم شيئا ، او ان يسعى الى شيء ، فخير للانسان ان يتخلّص من الحياة الدنيا الفانية الى الحياة الثانية الباقية ، وخير له ان يطيع ربّه ويعمل دوما لآخرتـــه .

امّـــا الفلاسفة العرب فقد نادوا بقيمة الانسان ، وحثوا الانسان على طلب العلم والسعي وراء المعرفة ، حتى يطهّر نفسه مما علق بها من الجهل ، غير ان هذه الفكرة لـــم تتجاوز الّا الطبقة الخاصة من الفلاسفة والمفكرين ، الدين اكبّوا على العلوم ينهبونها ، وقـــد استطاع المتصوّف ان يبلغ بعد جهاد متواصل ذروة الكمال الروحي ، حيث تخيّل نفسه الها ، عارفا بكل شيء ، عالما باسرار الاكوان والكائنات ، فهذه الآراء في قيمة الانسان ظلت محصورة في فئة قليلة هي التي اقدمت على المعرفة والعلوم ، واما السواد الاعظم من العرب القدامى فقد ظلوا مستسلمين لا يسعون ، متكلين لا يكافحون منتظرين قضاء ربّهم خائفين ، ذليلين ، لذلك لم يستطيعوا ان يبدعوا او يخلقوا ، ولم يستطيعوا ان يعبّروا عنها بحرية فكرية ، والعرب " قلّما اهتموا بالنظم الفكري او الفلسفي ، اللّهم الّا في الحكم والامثال " (٣) القليلـــة العابرة ، وبالجملة فالعربيّ لم يشعر بذاتيّته وقيمتها ، لذلك قصّر في الخلق البديـــع ، والتأمل الفلسفيّ العميـــق .

خامسا : ضعف النقد

لـــم يهتم الناقد العربي القديم بالمعنى كاهتمامه بالمبنى ، او بعبارة اخرى ، لم يهتمّ الناقد العربي القديم بما وراء المادة كاهتمامه بالمادّة ، ولم يأبه الّا بالمظهـــر الخارجي ، فلم يغص في اعماق المرئيات متأملا ، وبالجملة فالناقد العربي القديم لم يعر الروح اهتماما كما اعار المادة ، فالروح مثلا ، في عالم اللامرئيات ، تحتاج الى السعي المتواصـــل ، والمجاهدة النفسية ، والمعرفة الدقيقة ، بينما المادّة لا تحتاج الى البحث ، فهي في عالم المرئيات والمحسوسات ، يراها الناقد كما هي ، فيحكم على صورها المتواضحة ، لذلك اهتم الناقد العربي القديم باللغة ، واشار اليها في نقده . وكان جلّ سعيه ان يشير الى الالفاظ الصحيحـــة والتشابيه والاستعارات والكنايات التي لا تتجاوز الصور الحسّية . هكذا كان الناقد يوجـــه توجيها لغويا متينا ، وتوجيها معنويا سطحيا ، ولم يكن الناقد العربـــي منفتحا على آداب

---

(١) انيس فريحه — الفكر العربـــي (بيروت ، ١٩٥٠) ص: ١٠
(٢) احمد امين — فجر الاسلام ص: ٧١
(٣) انيس المقدسي — المقتطف مج: ٧٠ ج: ٥ ، ص: ٥٠٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

غيره من الامم ، ولم يوح اليه ان ينبّه الادب العربي الى مناحي النقص فيه ، بل ظلّ يعالج الادب على ضوء ما هو معروف ، وشائع عند ادباء العرب انفسهم . وقد كان النقد على العموم مشوشا ، مضطربا ، ناقصا ، فاذا ضعف النقد عند امة ، كان ادبها ادبا ناقصا ، ضعيفا ، يسير على وتيرة واحدة ، همّه التقليد لا الابداع ، والنقل لا الخلق والتجديد .

امـــا الناقد المخلص ، المتحرّر ، فهو الذى يحثّ الادباء على تنوع الادب ، فينظّم فوضى الفكر ، ويقيم عليها مدارس فكرية ادبيّة . ثم يشير الى النقص في ادب امّته ، بعد ان يطّلع على الاداب الاجنبية اطلاعا واسعا ، ويحث الادباء على المضيّ في الخلـــق والابداع والتجديد المستمرّ ، حتى يحفظ للادب خلوده . فمن واجب الناقد ان يكـــون اديبا حسّاسا ، مطلعا ، لان النقد هو الذى ينتج الادب ، ويخصبه ، وهو الذى يحيي الادب وينوّعه . فهل كان لنقّاد العرب القدماء هذه المزايا ؟ ... قلنا سابقا ان النقاد العرب القدماء لم يهتموا الّا بالالفاظ ، والشكليات ، والمعاني الحسيّة ، وقد بنوا احكامهم على ما انتجه الادباء العرب ، الذين حافظوا على التقليد الشعرى في كل العصور ، فلـــم يكن في ادبنا القديم تجديد بالمعنى الصحيح ، بل ظلّ واقفا على المادّة ، والصور الحسيّة قلّما ثار الادباء العرب والنقاد على ذلك التقليد .

ذكـــرنا فيما تقدّم العوامل التي اثّرت في الادب العربي القديم ، فحدّت من تنوعه وتجدده ، والتأمل العميق في ما وراء المادّة . وقد حصرنا العوامل الطبيعية والاجتماعية والسياسية والدينية والادبية بما يلي :- العقلية العربية ، الروح الاسلامية ورجال الديـــن ، فقدان الحريّة ، عدم الايمان بقيمة الانسان ، ضعف النقد - ، وهذه العوامل في نظرى هـــي من اهمّ الاسباب التي اثرت في الفكر العربي وحدّت من انتاجه الادبيّ ، وابعدته عن القيم الروحيّة العالميّة العميقة . فالادب العالميّ لا ينشأ الّا عن الحريّة الذاتيّة ، ولا يقدّس الّا الثقافة العميقة ، ولا يتغنى الّا بالقيم الروحيّة الخالدة ، التي ترفع الانسان عن المادّة المحسوسة ، ليعيش خالدا بانسانيته ، والوهيّته ، ناشدا ابدا المثل العليـــا ، التي لم يعرفها الشعر العربي القديم ، ولم يعن بها الّا في مناح سطحية قليلة ، لم تطلّ من برعمها الّا لتختنق في مهدها ، فهل تنبّه العرب الى هذا النقص فيما بعد ؟ وهـــل عرف العرب المحدثون ادب الروح ؟ هل عني الشعر العربي الحديث بالقيم الروحيـــة ؟ هذا ما نحاول ان نجيب عليه في القسم التالي من رسالتنا ، لا سيّما في شعر القرن العشرين عند العـــرب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصـــل الرابـــع

الشـــعر العربـــي الحـديث

(توطئة)

١ ــ توطئة في عصرى الانحطاط والانبعاث .

٢ ــ تاريخ الشعر العربي في القرن التاسع عشر .

٣ ــ تاريخ الشعر العربي في القرن العشرين :

ا ــ العوامل التي أثرت في الشعر العربي الحديث :

١) الثورة الفرنسية .

٢) الثقافة الاوربية : الادب والفلسفة والعلم .

ب ــ اهم مظاهر النهضة الفكرية العربية الحديثة :

١) المشادة بين الجديد والقديم او بين العلم والدين

٢) الاتجاهات الادبيّة الجديدة في الشعر العربي الحديث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الشعر العربي الحديث

١ — توطئة في عصرى الانحطاط والانبعاث

كانت الممالك الاسلامية في العصر العباسي الرابع مضطربة ، يكتسحها المغول ، ويتداولها الفاتحون ، وكانت العناصر الاعجميّة تتغلغل في كيان العنصر العربيّ حتى تذيبه ، فمن غارات المغول على العراق والشام ، الى حملات الفرنجة على مصر والشام وفلسطين . وكانت الجزيرة العربية وبلاد المغرب تتنازعها دول صغيرة ، واما الاندلس فقد طرد منها الفرنجة المسلمين . وفي القرن السابع للهجرة ، قامت دولة تركية مسلمة ، وبنت عرشا لبني عثمان ، وقد اتسع عرشهم ، وتوغّل ابناؤه حتى غزوا سوريا ومصر ، وانتزعوها من ايدى المماليك الشراكسة ، فانتقلت الخلافة لاوّل مرّة من قريش الى الاتراك ، وجعلت القسطنطينية عاصمة لها ، وكان سلطانهم يمتدّ على الحجاز واليمن والعراق وتونس والجزائر ، وفي اثناء هذه الغارات ، حرقت المكاتب ، وقتل العلماء ، واستبدت العناصر الاعجمية في الحكم ، فخدرت العقول ، واماتت النفوس ، فضعف الانتاج الادبي والعلمي . وكان يظهر من آن لآن من يحمي رجال الادب والعلم ، ففي مصر والشام شجع المماليك الادب ، غير انهم لم يعرفوا العربيّة ، فعمّ الادب العاميّ ، لا سيّما في الشعر ، وضعفت اللغة العربية ، وزاد ضعفها عندما جعلت الامبراطورية العثمانية اللغة التركية لغتها الرسميّة .

وقد ظلّت مصر والبلاد العربية تحت حكم الاتراك مدّة ثلاثة قرون " وهي في ظلام دامس ، وجهل فاضح ، تعاني مرارة الظلم ، وقسوة البغى ، وتتمثل لك بلاد العروبة تخنقها يد غاشمة اصابعها الفقر ، والمرض ، والجهل والذلة والانحلال " (١) ، وقد وصف بطرس البستاني حالة ذلك العصر بقوله : انه "عصر يصبغه الهول والذعر والفساد من جميع نواحيه " (٢) ... عصر استعبدت فيه " الافكار ، وحطمت الاقلام ، وخنقت حرية الفرد والجماعة ، فذل العرب وتفرقت كلمتهم . وكان هذا العصر اسوأ العصور عليهم " (٣) ، وقد كان العرب منقطعين عن العالم الاوروبي المتمدن ، لا يعرفون عن تقدّمه شيئا . وعندما زار فولني (١٧٥١-١٧٩٦) الفيلسوف الفرنسي مصر وبلاد الشرق العربي وتركيا في اواخر القرن الثامن عشر قال : "الجهل عام في هذه البلاد ، وفي كل بلد تابع لتركيا ، وقد عمّ كل الطبقات ويتجلى في كل العوامل الادبيّة ، وفي الفنون الجميلة ، حتى الصناعات اليدوية تراها في حالة بدائية " (٤) .

---

(١) عمر الدسوقي — في الادب الحديث ج١ (مصر ، ١٩٤٨) ص: ٩
(٢) بطرس البستاني — ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ص: ١١٧
(٣) المصدر نفسه ، ص: ١١٧
(٤) عمر الدسوقي — في الادب الحديث ج١ (ص: ١٠)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ومن البديهي ان تؤثر هذه الحالة السيئة في الانتاج الادبي ، وتضعف الشعر العربي وتميته ، وتبعده عن كل خلق وابداع . وقد ظل فريق من متأدبي العرب يحاولون ممارسة الادب ، فاكثروا من التأليف في النحو واللغة والتاريخ ، وفي جمع الامثال والحكم والاخبار ، وعم التشطير والتخميس ، والتضمين والاقتباس والتاريخ الشعرى . وقد انتشر اليأس في قلوب الافراد الذين تألموا من حالة البلاد ، فنظموا الشعر الديني في مدائح الانبياء ، هربا من الويلات المستمرة في البلاد ، واطمئنانا لأرواحهم المعذبة . وقد نبغ في مديح مريم والمسيح ، المطران جرمانوس فرحات ، ونقولا الصايغ ، وغيرهما ، وفي مديح محمد عبد الغني النابلسي وغيره . وقد عم الشعر الصوفي ، ولو انه لم يبلغ ذروة الشعر الصوفي في العصور العباسية الاخيرة فانعكف بعض الشعراء يوجهون انظارهم الى الله ، لأنه خير ملجأ لهم ، يطلبون رحمته ورضاه ، خوفا من عقابه ، واستغفارا للذين انغمسوا في الخلاعة والمجون ، واسرفوا في ارتكاب الفحشاء . ولعل عبد الغني النابلسي اشهر الصوفيين في عصره ، وقد نظم مواجيده الالهية ، في ديوان اسماه ديوان " الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الالهية " ، فيه قصائد كثيرة في الحب الالهي حتى اذا وصل الشاعر الى الله قال :

انا صاحب الامر الالهي انا آمر ابدا وناهي
انا ذو العيون وذو الوجوه وذو النفوس بلا تناهي (١)

واذا اتحد بالله ، وعرف جوهره قال :

انا النور المبين انا الحق اليقين
انا القرآن اتلى انا الحبل المتين
اناعرش التجلي اناالروح الامين (٢)

وبالجملة فقد بلغ الشعر العربي في عصر الانحطاط اسفل الدرك ، شأنه شأن الحياة الاجتماعية والسياسية ، وما الشعر الا مرآة عصره ، غير ان الشعر العربي كان يهرب من حاضره ليستمد وحيا من غابره ، لكنه اخفق في التقليد ، لأن لغته كانت ضعيفة ، وصوره منتزعة من غير واقع بيئته .

هكذا ظلت البلاد العربية في ذلك العصر ، منقطعة عن العالم الاوروبي ، لا تعرف عنه شيئا حتى دوت مدافع نابليون في سماء مصر سنة ١٧٩٨ م . وهزت الشرق العربي باجمعه ، وفتحت للعرب كوة تطل على حضارة الغرب ، ونفضت عنها سباتا عميقا . ولما رأى نابليون الجهل السائد في البلاد ، عزم على الاصلاح الاجتماعي لينال ثقة اهل البلاد ، فصحب معه الى مصر جماعة من العلماء والصناع ، وانشأ مدرسة للفرنسيين ، ومعملا للورق ، واصدر جريدتين فرنسيتين ، واسس مكتبة عامة للمطالعة ، فدهش العرب من تقدم الغرب ، لا سيما تقدمهم الحربي والآلي ، فانبعث من هذه الزاوية نور ضئيل ، اخذ يسعى ببطء في طريق حالكة الظلام ، غير ان الفرنسيين اضطروا الى ترك مصر يتقاتل فيها العثمانيون والمماليك . وقد كان محمد علي قائدا للجيش العثماني ، فأباد المماليك على بكرة ابيهم ،

---

(١) عبد الغني النابلسي — ديوان الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الالهية (مصر ١٢٧ ص ٢٠٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

واستقلّ بالحكم في سنة ١٨٠٥ م ، وقد اعجب بنابليون وما حمل الى بلاده من حضارة فعزم على ان يكمل ما بدأه نابليون ، فارسل البعثات المصرية الى اوروبا طلبا للعلم ، وانشأ في مصر مدارس حربيّة وعلميّة ، واستدعى اساتذة من الفرنسيين الى ديار ، واهتمّ بنشر الكتب وترجمتها ، غير ان محمد علي كان يفضل اللغة التركية على العربية ، فضعفت العربية والتأليف فيها . ولما جاء اسماعيل ، عزّز اللغة العربية ، وانعشها ، واحيا المطابع والجرائد ، وبنى الشوارع والقناطر ، ونظم القضاء ، وفتح الابواب للاجانب . وقد حاز على حقوق الخديوية . وفي ولاية ابنه توفيق حدثت الثورة العرابية واحتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ م .

اما في سوريا فقد ظهر نور ضئيل في اواخر القرن السابع عشر على اثر قدوم الارساليات الدينية ، وانشاء الرهبنات الكاثوليكية ... وقد نبغ في القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء اكثرهم من رجال الاكليروس واكثر مؤلفاتهم في سبيل الدين " (١) . وقد كانت مدينة حلب اكثر المدن السورية ازدهارا بالعلم والادب . وفي اوائل القرن التاسع عشر ، كانت سوريا في قلاقل حتى آلت هذه الحالة الى مذبحة سنة ١٨٦٠ م . فهجر اللبنانيون ديارهم الى اميركا ، والى مصر ، لا سيّما بعد الاحتلال الانكليزي . وقد كانت البلاد العربية في هذا القرن على الاجمال تتداولها " الاحداث والغير ، فكانت تضطرب بين الشدّة واللين ، والضيق والرخاء ... ومع هذا فالنهضة كانت تسير سيرا حثيثا .. لا سيما بعد منتصف القرن التاسع عشر ، حيث توافرت لها الاسباب والعوامل ، فمن امتزاج قوى بين الحضارة الشرقية ، والحضارة الغربية ، الى مدارس راقية وطنيّة " (٢) واجنبية ، ومن طباعة الى صحافة وجمعيّات ومكاتب ونهضة نسائية . وقد احدثت هذه الاسباب والعوامل في نفوس العرب وعيا ، فشعروا بالضيم والذلّ ، وطلبوا الاستقلال والحرّية ، حتى اذا اخفقوا ، ارتحلوا الى بلاد الفرنجة حيث الاستقلال والحرية ، غير ان معالم النهضة كانت تظهر في اقبال العرب على العلم ، وفي انتشار المدارس والصحافة والطباعة والمكاتب والجمعيات والترجمات ، وفي اشتغال الفرنجة بالاداب العربيّة ولغتها . كلّ هذا مهّد طريق النهضة الحديثة في القرن العشرين وعبّده .

٢ — الشعر في القرن التاسع عشر

توطئة

رأينا مما تقدّم العوامل التي اثرت في عصر الانبعاث والنهضة في القرن التاسع عشر ، والتي ايقظت العرب من سباتهم العميق ، وهي تتلخص فيما يلي :

اولا — الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون في سنة ١٧٩٨ م . ، وما حملته اليها من مبادئ وعلم وادب .

ثانيا — شغف الامراء والحكام بالعلم ، وارسال البعثات العلميّة الى البلاد الغربيّة ، وتقريب العلماء الى قصورهم . وقد عرف محمد علي واسماعيل في مصر ، وبشير الشهابي في لبنان .

---

(١) جرجي زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ (مصر ، ١٩١٤ م) ص: ١١

(٢) بطرس البستاني — ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، ص: ١٤٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ومن البديهي ان تؤثر هذه الحالة السيئة في الانتاج الادبيّ ، وتضعف الشعر العربي وتميته ، وتبعده عن كل خلق وابداع . وقد ظلّ فريق من متأدبي العرب يحاولون ممارسة الادب ، فاكثروا من التأليف في النحو واللغة والتاريخ ، وفي جمع الامثال والحكم والاخبار ، وعمّ التشطير والتخميس ، والتضمين والاقتباس والتاريخ الشعرى . وقد انتشر اليأس في قلوب الافراد الذين تألموا من حالة البلاد ، فنظموا الشعر الديني في مدائح الانبياء ، هربا من الويلات المستمرة في البلاد ، واطمئنانا لأرواحهم المعذبة . وقد نبغ في مديح مريم والمسيح ، المطران جرمانوس فرحات ، ونقولا الصايغ ، وغيرهما ، وفي مديح محمد عبد الغني النابلسي وغيره . وقد عمّ الشعر الصوفيّ ، ولو انه لم يبلغ ذروة الشعر الصوفيّ في العصور العباسية الاخيرة فانعكف بعض الشعراء يوجهون انظارهم الى الله ، لأنه خير ملجأ لهم ، يطلبون رحمته ورضاه ، خوفا من عقابه ، واستغفارا للذين انغمسوا في الخلاعة والمجون ، واسرفوا في ارتكاب الفحشاء . ولعلّ عبد الغني النابلسي اشهر الصوفيين في عصره ، وقد نظم مواجيده الالهية ، في ديوان اسماه ديوان " الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الالهيّة " ، فيه قصائد كثيرة في الحبّ الالهي حتى اذا وصل الشاعر الى الله قال :

انا صاحب الامر الالهي انا آمر ابدا وناهي
انا ذو العيون وذو الوجوه وذو النفوس بلا تناهي (١)

واذا اتّحد بالله ، وعرف جوهره قال :

انا النور المبين انا الحق اليقين
انا القرآن اتلى انا الحبل المتين
اناعرش التجلي اناالروح الامين (٢)

وبالجملة فقد بلغ الشعر العربي في عصر الانحطاط اسفل الدرك ، شأنه شأن الحياة الاجتماعية والسياسية ، وما الشعر الا مرآة عصره ، غير ان الشعر العربي كان يهرب من حاضره ليستمدّ وحيا من غابره ، لكنه اخفق في التقليد ، لأن لغته كانت ضعيفة ، وصوره منتزعة من غير واقع بيئته .

هكذا ظلت البلاد العربيّة في ذلك العصر ، منقطعة عن العالم الاوروبي ، لا تعرف عنه شيئا حتى دوّت مدافع نابليون في سماء مصر سنة ١٧٩٨ م . وهزّت الشرق العربي باجمعه ، وفتحت للعرب كوة تطلّ على حضارة الغرب ، ونفضت عنها سباتا عميقا . ولمّا رأى نابليون الجهل السائد في البلاد ، عزم على الاصلاح الاجتماعي لينال ثقة اهل البلاد ، فصحب معه الى مصر جماعة من العلماء والصناع ، وانشأ مدرسة للفرنسيين ، ومعملا للورق ، واصدر جريدتين فرنسيتين ، واسّس مكتبة عامّة للمطالعة ، فدهش العرب من تقدّم الغرب ، لا سيّما تقدّمهم الحربي والآلي ، فانبعث من هذه الزاوية نور ضئيل ، اخذ يسعى ببطء في طريق حالكة الظلام ، غير ان الفرنسيين اضطروا الى ترك مصر يتقاتل فيها العثمانيون والمماليك . وقد كان محمد علي قائدا للجيش العثماني ، فأباد المماليك على بكرة ابيهم ،

---

(١) عبد الغني النابلسي — ديوان الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الالهية (مصر ١٢٧ ص: ٢٠٠

(٢) المصدر نفسه ص: ١٣٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

واستقلّ بالحكم في سنة ١٨٠٥ م ، وقد اعجب بنابليون وما حمل الى بلاده من حضارة فعزم على ان يكمل ما بدأه نابليون ، فارسل البعثات المصرية الى اوروبا طلبا للعلم ، وانشأ في مصر مدارس حربيّة وعلميّة ، واستدعى اساتذة من الفرنسيين الى دياره فواهتمّ بنشر الكتب وترجمتها ، غير ان محمد علي كان يفضل اللغة التركية على العربية ، فضعفت العربية والتأليف فيها . ولما جاء اسماعيل ، عزّز اللغة العربية ، وانعشها ، واحيا المطابع والجرائد ، وبنى الشوارع والقناطر ، ونظم القضاء ، وفتح الابواب للاجانب . وقد حاز على حقوق الخديوية . وفي ولاية ابنه توفيق حدثت الثورة العرابية واحتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ م .

اما في سوريا فقد ظهر نور ضئيل في اواخر القرن السابع عشر على اثر قدوم الارساليات الدينية ، وانشاء الرهبنات الكاثوليكية ... وقد نبغ في القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء اكثرهم من رجال الاكليروس واكثر مؤلفاتهم في سبيل الدين " (١) . وقد كانت مدينة حلب اكثر المدن السورية ازدهارا بالعلم والادب . وفي اوائل القرن التاسع عشر ، كانت سوريا في قلاقل حتى آلت هذه الحالة الى مذبحة سنة ١٨٦٠ م . فهجر اللبنانيون ديارهم الى اميركا ، والى مصر ، لا سيّما بعد الاحتلال الانكليزي . وقد كانت البلاد العربية في هذا القرن على الاجمال تتداولها " الاحداث والغير ، فكانت تضطرب بين الشدّة واللين ، والضيق والرخاء ... ومع هذا فالنهضة كانت تسير سيرا حثيثا .. لا سيما بعد منتصف القرن التاسع عشر ، حيث توافرت لها الاسباب والعوامل ، فمن امتزاج قوّى بين الحضارة الشرقية ، والحضارة الغربية ، الى مدارس راقية وطنيّة " (٢) واجنبية ، ومن طباعة الى صحافة وجمعيّات ومكاتب ونهضة نسائية . وقد احدثت هذه الاسباب والعوامل في نفوس العرب وعيا ، فشعروا بالضيم والذلّ ، وطلبوا الاستقلال والحرّية ، حتى اذا اخفقوا ، ارتحلوا الى بلاد الفرنجة حيث الاستقلال والحرية ، غير ان معالم النهضة كانت تظهر في اقبال العرب على العلم ، وفي انتشار المدارس والصحافة والطباعة والمكاتب والجمعيات والترجمات ، وفي اشتغال الفرنجة بالاداب العربيّة ولغتها . كلّ هذا مهّد طريق النهضة الحديثة في القرن العشرين وعبّده .

٢ ــ الشعر في القرن التاسع عشر

توطئة

رأينا مما تقدّم العوامل التي اثرت في عصر الانبعاث والنهضة في القرن التاسع عشر ، والتي ايقظت العرب من سباتهم العميق ، وهي تتلخص فيما يلي :

اولا ــ الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون في سنة ١٧٩٨ م . ، وما حملته اليها من مبادئ وعلم وادب .

ثانيا ــ شغف الامراء والحكام بالعلم ، وارسال البعثات العلميّة الى البلاد الغربيّة ، وتقريب العلماء الى قصورهم . وقد عرف محمد علي واسماعيل في مصر ، وبشير الشهابي في لبنان .

---

(١) جرجي زيدان ــ تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ (مصر ، ١٩١٤ م) ص: ١١

(٢) بطرس البستاني ــ ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، ص: ١٤٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ثالثا — اهتمام الرهبان الكاثوليك في نشر التعليم ، وفتح المدارس لا سيّما في لبنان .
رابعا — شغف علماء الغرب باللغة العربية وآدابها ، وانشاء الجمعيات الاسيوية في الغرب ، والمجلات الاسيوية التي تعنى بعلم الاستشراق .

وفي اواخر القرن التاسع عشر ، انتشرت الطباعة انتشارا سريعا في بيروت ودمشق والقاهرة والاستانة ، وكانت تحمل الى العالم العربي علوم الغرب وآدابه . ومن اشهر المجلات الادبية والعلميّة مجلات الجنان والمقتطف والهلال والمشرق والضياء ، كلّها انارت العقل العربيّ ، وعرّفته بالمذاهب العلميّة لا سيّما مذهب النشوء والارتقاء ، الذى احدث تغييرا في فهم الانسان وقيمته ، كما انه اثّر في طريقة التأليف ، واحدث ضجة ومشادة عنيفة في الشرق العربي بين رجال الدين ، ورجال العلم ، تبلور في القرن العشرين . وقد حملت المجلات ايضا الى الشرق العربي مبادئ الثورة الفرنسيّة التي كان لها اثر كبير في نفوس العرب لا سيما وحالتهم سيئة ، فاخذوا يطالبون بالاخاء والعدل والمساواة ، وينادون بالحرّية . وقد عرّفت المجلات ايضا فلسفة الغرب ، فاخذوا يقرأونها بنهم ، ويترجمون منها الى لغتهم شذرات لا سيما فلسفة نيتشه في نظرتها الى الانسان وتقدّمه ، وكان لها تأثير في نفس العربيّ الذى لم يعرف الّا الاستبداد والحكم الجائر من حكامه ، والسيطرة التامّة من الههه ، فاصبح للانسان فهم جديد في "الانسان الاعلى" او كما دعاه نيتشه السبرمان .

فمن فلسفة النشوء والارتقاء في العلم ، الى مبادئ الثورة الفرنسية في السياسة ، الى السبرمان في الفلسفة ، كان ينساب الى الشرق العربي نور ساطع ، وقد جاهدت معا حتى بلغت ذروتها في القرن العشرين ، لا سيّما بعد الحربين العالميّتين ، عندما توطد الخلاف بين العرب والفرنجة ، فاتخذ العرب من الفرنجة اساتذة لهم ، ونقلوا عنهم طرق معيشتهم وفلسفتهم التي اكبوا عليها يدرسونها في جامعاتهم ، وكذلك فعلوا بآدابهم ... بهذا التطوّر الاجتماعي والعلميّ ، اخذ الشعر يتطوّر ويتقدّم ، غير ان تطوره في البدء كان بطيئا ، لا يختلف عما سبقه في عصر الانحطاط ، حتى اذا انتصف القرن التاسع عشر تحسنت اللغة العربية ، دون ان يكون للشعراء من الابتكار والابداع اى حظ ، فالعلوم والفلسفة التي جاءت اليهم من الفرنجة ، كانت جديدة جدا ، لم يستطع العرب ان يهضموها بسرعة ، ولم تصبح جزءا منهم ، فبقي الشعر العربي بعيدا عن الخلق والتجديد ، اللّهم الا الذين تأدبوا بأدب الغرب وبثقافته — وهؤلاء قلّة — فقد حاولوا تقليد ادب الغرب واقتباسه ، لا سيّما الادب الفرنسيّ . اما الشعر العربي عامة ، فلم يتجاوز اغراض الشعر العربي القديم من حماسة وفخر ، وغزل ورثاء ، ولم تتغيّر نفسية الشاعر ، بل ازدادت صغارا لحالته البائسة . فقد كان يقف في البلاطات ، ويسفح شعره على اقدام الامراء والحكام ، فاذا كانوا من الذين يشجعون الشعر ، نطق به الكثيرون تكلفا ، والّا فيكفّ عنه الكثيرون خوفا . وبقي الشعر في هذا العصر كما كان عليه منذ القديم ادبا ارستقراطيا يعيش في كنف الملوك والحكام حتى القرن العشرين .

فالشعر العربي عامة ، في اوائل القرن التاسع عشر ، كان تقليدا مركيكا ، متصنّعا ، غلب عليه الزجل ، وكذلك ظلّ الشعر العربي عامة في اواخر القرن التاسع عشر ، ولم يتأثر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالنهضة لأسباب مرّ ذكرها . غير ان اللغة ارتقت وقويت ، وعمّ في هذا القرن الشعر الديني ، واخبار الرسل والانبياء والقديسين فأخذ الشعراء العرب يستمدون من التوراة والانجيل والقرآن وحيا ، فكانت البديعيات والدينيات والاناشيد الروحية ، والمدائح النبويّة واشتهر في هذا اللون من الشعر جماعة من الادباء المسيحيين — ففهم ناصيف اليازجي والخوري حنا رعد المعروف بالعاصي ، والخوري يوسف الهاني ، وحنّا اسعد الصعب ، ومن ادباء المسلمين اشتهر احمد البربير البيروتي وشوقي وغيرهما ، وقد مدح شوقي عيسى ومحمدا بقوله :

ولد الرفق يوم مولد عيسى — والمروءات والهدى والحياء
وسرت آية المسيح كما يسرى — من الفجر في الوجود الضياء (١)

وقال في فرقان محمد :

تلك آي الفرقان ارسلها الله ضياء يهدى به من يشاء (٢)

ويحق لنا ان نتساءل : هل عرف القرن التاسع عشر ادب الروح ؟ هل للشعراء العرب في هذا القرن حظّ من التأمل ؟ ... هذا ما نحاول ان نلمّ به الماما سريعا .

ادب الروح في القرن التاسع عشر

عرف هذا القرن بالمدائح النبويّة التي كان الشعراء العرب يستوحونها من التوراة والانجيل والقرآن ، ويفردون فيها القصائد الطويلة ذاكرين اعمال الانبياء الصالحة واخلاقهم النبيلة ، ولم يأت شعراء العرب بشيء جديد عمّا كان في الكتب الدينية ، ولم يتأمل الشاعر العربي تأملا عميقا في هذه القصائد ، ولم يكن للشاعر العربي حظّ في التأمل بالمجرّدات والتعبير عنها بقصائد منفردة ، ولم يهتمّ لهذه المواضيع الّا عرضا ، فجاءت قليلة ، متفرّقة هنا وهناك ، كما كانت في الادب العربي القديم ، غير انها في اواخر هذا القرن اخذت تبتعد عن مادتها قليلا وتتجرّد ، وقد نقرأ ليوسف حبيب باخوس قصيدة في النفس اسماها حكمة النفس ، وهو يرى ان النفس تختلف عن الجسد وذرّاته ، وهي مجرّدة غنيّة بالمعرفة ، تهوى الحقائق ، خالدة لا تفنى ولا تموت ، لان الله وقاها من شرّ الفناء ، وفي ذلك يقول :

رغبت عن التركيب مع ذرّاته — وتجرّدت فهناك ما اغناها
تهوى الحقائق بالتصوّر لمحة — والحكم والبرهان من مرآها
لا تتقي شرّ المنون فانما — حكم المهيمن من دهاه وقاها (٣)

وكذلك يرى سليم دى بسترس ان النفس خالدة ، وهي من روح الله :

لا شيء غير نفوسنا يتخلد — تلك البقيّة غيرها لا يوجد
وسواؤها فوق البسيطة كله — يفنى وضمن ترابها يتوسّد
روح الاله الكون ارسلها الى — جسد الفنا نورا به يتوقّد (٤)

---

١ — احمد شوقي — الشوقيات ج ١ (طبعة سنة) ص : ٢٠ و ١٣٠ و ٩ المصدر نفسه ص : ١٥
(٣) يوسف حبيب باخوس — مجلة المشرق مج ٣ عدد : ٧ ، ص : ٣٢٢
(٤) سليم دى بسترس — ديوان الجليس الانيس (بيروت ، ١٨٨٧) ص : ٤٤ و ٤٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول ايضا امين شميّل :

النفس من عالم الارواح لا عرض يفنى ولا كائن ينحلّ او جسد (١)

وامّـــا الله ، فهو المهيمن على كل شيء ، وهو المحيي ، وهو الصمد ، وفي ذلك يقول امين شـميّل :

هو المهيمن والاكوان صاغرة تجثو لقدرته العليا وترتعد
هو العزيز هو الباقي بقوته هو الرحيم هو المحيي هو الصمد (٢)

والله هو الخبير ، وهو المجيب والمجير ، فقم ايها الانسان ، وادع ربك ، وفي ذلك يخاطب ناصيف اليازجي الله :

انت الخبير بحال عبدك انه بسلاسل الوزر الثقيل مقيّد
انت المجيب لكل داع يلتجي انت المجير لكل من يستنجد !
من اى بحر ، غير بحرك نستقي ولاىّ باب غير بابك نقصد ؟ (٣)

وفي طاعة الله ، يقول الملّا حسن الموصلي البزاز :

لطاعته عند ى نعيم وجنّة وعصيانه قبل العذاب عذاب (٤)

وامّـــا السعادة فهي في السلوك في سبيل الله ، وفي ذلك يقول القسّ اغوسطينوس عازار :

ان رمت يا صاح السعادة والبقاء فاسلك سبيل الله صدقا تنجع (٥)

ويـــرى سليم دى بسترس السعادة في فراق الروح للجسد الذى سجنت فيه ، ووقوفها امام الله طاهرة ، حرّة :

وتفارق الجسم الذى سجنت به بحياته والى السعادة تقصد
حتى اذا تمّ المعاد وقد اتى يوم به كلّ الخلائق تحشد
تعطي الى ربّ العباد حسابها في محفل فيه الملائك تشهد (٦)

امّـــا الموت فهو لا بدّ منه ، والانسان فان ، يزول مع الزمان ، وما الدنيا الا سفر الى ابديّة لا ترجع . وفي ذلك يقول القس اغوسطينوس عازار :

من اين يرجو المرء خلدا اذ يرى كلّا يزول مع الزمان ويدفع
ان الحياة لدى الحقيقة عهدها يمضي كلمع البرق او هو اسرع
كل له يوم يـــودّع اهلـــه فيه وداعا مطلقـا ويودّع
ما هذه الدنيا لدى عيني سوى سفر الى ابديّة لا ترجـــع (٧)

---

(١) امين شميّل ــ ديوان المبتكر (بيروت ، ١٨٦٩) ص: ١١١
(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٠٩
(٣) ناصيف اليازجي ــ مجمع البحرين (بيروت ، ١٩١٣م) ص: ٤٢٣
(٤) الملّا حسن الموصلي بزاز ــ الاداب العربية في القرن التاسع عشر لشيخو ج ٢ (بيروت ١٩٢٦م) ص: ١٠٥
(٥) اغوسطينوس عازار ــ المصدر نفسه ، ص: ١٢١
(٦) سليم دى بسترس ــ ديوان الجليس الانيس ، ص: ٤٥
(٧) اغوسطينوس عازار ــ الاداب العربية في القرن التاسع عشر لشيخو ج ٢ ، ص: ١٢٠ و ١٢١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

هـــذه هي بعض القيم الروحيّة التي ظهرت بوضوح في ادب القرن التاسع عشر ، لا سيّما في اواخره ، على ان هذا العصر امتاز بالحريّة الشخصية ، والفكرية ، فنسمع اصواتا عالية من رجال الفكر العربي ، يحذون فيها حذو رجال الفكر الفرنسيين الاحرار الذين اضرموا نار الثورة الفرنسيّة ، ونقرأ لهم مقالات عديدة ، يعبّرون فيها عن استيائهم من الظلم والجهل السائدين في الشرق العربي ، ويشيرون الى الثورة الفرنسية التي صدمت — على حدّ تعبير اديب اسحاق — "قوة الاستبداد ، فزلزلتها ، ودفعت سطوة التقليد فضعضعتها ، ورفعت عن العيون نقابها ، وعن النفوس حجابها ، فآنست من جانبها نور الحرية ، وخلعت جلابيب الرّق والعبوديّة ، واجتمعت على ولائها ، وتألّبت تحت لوائهـــا " (١) .

وقـــد ظلت الثورة الفرنسيّة ورجالاتها وحيا لأدبائنا في كلّ مكان ، وقوّة تدفعهم دوما الى المجاهدة في سبيل نيل الحرّية السياسية والاجتماعية والفكرية ، وقد قـــال جمال الدين الافغاني : "اول من شوّقني للعمل في بناية الاحرار عنوان كبير خطير — حرية ، مساواة ، اخاء " (٢) . ونبغ في الشرق العربي جماعة من رجال الفكر ينادون بالحرية ، ويحثون على قهر الظلم والاستبداد والجهل ، حتى يتسنّى لكل فرد في المجتمع ان يحيا كما يريد ، وان يترعرع دون خوف وتكبيت ، وقد اشتهر منهم ايضا عبد الله نديم ، وفرنسيس فتح الله مرّاش ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وفرح انطوان ، وولي الدين يكـن ، ومحمد عبده وقاسم امين وغيرهـــم .

رأينـــا ممّا تقدّم ان الشعراء العرب في القرن التاسع عشر وما قبله ، لم يهتمّوا بالمجردات والتأمل فيها الّا قليلا ، ولعل الحكم الجائر ، والاستبداد المضني سببان مهمّان يعملان في تقصير الفكر والروح عن الانتاج البديع ، وبالرغم من قبس الانبعـاث الذي كان يسري في الشرق العربي من خلال الغرب ، لم يتأثر الادب العربي تأثيـــرا كبيرا ، ولم يتجه اتجاهات جديدة ، بل استمدّ من التراث القديم وحيا ، فجاء ادبـــه تقليدا ، لا روح فيه ، بعيدا عن بيئته وعصـــره .

ولمّـــا اختمر الفكر العربي الحديث بالتيارات الاوروبية الحديثة العلميّة منهـــا والفلسفية والادبية ، لا سيّما في القرن العشرين بعد الحربين العالميتين ، اتجه الادب اتجاهات جديدة ، لم يعرفها الادب العربي من قبل ، سنتحدث عنها في الفصل الاتي بعد ان نعرض لنهضة قصصية في القرن العشـــرين .

توطئة

---

(١) اديب اسحاق — الدرر (بيروت ١٩٠٩م) ص: ١٠٣

(٢) جمال الدين الافغاني — الفكر العربي الحديث لرئيف الخوري (بيروت ١٩٣٢م) ص: ١٠٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

توطئة

لم يزل الحكم العثماني الجائر مسيطرا على النفوس العربية ، ولم تزل الروح العثمانية سائدة في البلاد العربية حتى بعد الحرب العالمية الاولى عندما " ظهر كيان العرب للعالم الحديث ظهورا جليا ... غير ان النهضة العربيّة وجدت قبل سنة ١٩١٤ م . ، وكانت بالاصل عدائية موجهة الى الترك فقط ، لكنها بفضل الاحتكاك بالافكار العربية ، تحولت الى حركة وطنية " (١) ووعي قوميّ واضح . اما قبل الحرب العالمية الاولى فقد كان الشرق العربي عامة في نهضة بعد سبات طويل ، لا سيّما في مصر بعد الحملة الفرنسيّة ، وبعد عهد ى محمد علي واسماعيل . ومن اهمّ اسباب هذه النهضة اختلاط العرب بالشعوب الاوروبية في ديارهم ، وفي المهاجرة الى بلاد الفرنجة طلبا للعلم او طلبا للارتزاق او هربا من الظلم والاستبداد ، وقد انتشرت المدارس في كافة الاقطار العربيّة بكثرة ، وبعث المستشرقون الكتب العربية القديمة من قبورها حيّة لطلّاب الادب العربيّ ، فكثرت المكاتب للدراسات ، والمتاحف للاطلاع على الحضارات القديمة .

وقد وصف جبر ضومط حالة العثمانيين قبل الدستور بقوله : "كنا منذ بضعة اسابيع والصدور خائفة بما فيها ، والنفوس واجمة من هول ما ترى من موقفها ، والعقلاء النزهاء ، لا يدرون ماذا يصنعون ، ولا ماذا يقولون (٢) . وما كنت ترى على [illegible] غير قلوب واجفة ، وعيون دامعة ، ووجوه كالحة تحت سماء من الظلم والجور تهيمن فوقها هيبة عبد الحميد ، وقد عقل الالسن ، واجمد القرائح ، وبات المرء ، والظلم حلقة تطوقه فما يرسل بنت شفة الّا على حمد المماليك ... فضجّ الشعب من عتوه ، ورغبوا في تبديل حكمه " (٣) ، فاعلن الدستور ، وخلع عبد الحميد " واتّقد الشعور الوطني انقادا لم يعهد من قبل ، واخذ الادب العربي يتغنّى بالقومية تغنيا غريبا ، اشتركت فيه جميع العناصر والطوائف " (٤) ، فانطلقت الالسن تنشد فرحة ، وشعر الناس بنور القانون الجديد ، يشيع في سمائهم العتمة . غير ان الادب العربي عامّة كان متحمّسا للكرامة الشرقية والجامعة العثمانية ، ولم تظهر فيه روح القوميّة العربية ، ويقول نقولا رزق بعد اعلان الدستور :

قد صرتم امة في الارض واحدة من آل عثمان لا عربا ولا عجما (٥)

ولا يهمّنا هنا ان نذكر الادب السياسيّ في العصر الحديث ، ومن اراد التعرف على تطوّر الشعر السياسي العربي الحديث فليراجع كتاب العوامل الفعّالة في الادب الحديث

---

(١) ج . د ى ف . لودر ـ القول الحقّ في تاريخ سورية وفلسطين والعراق (دمشق ، ١٩٢٥م) ص: [illegible] ص [illegible] (ترجمة نزيه المؤيد العظم)
(٢) جبر ضومط ـ العوامل الفعالة في الادب الحديث (لانيس المقدسي) ص: ٣٥ (القاهرة ١٩٣٩م)
(٣) عيسى ميخائيل سابا ـ مجلة الامالي السنة الاولى عدد : ١٣ ص : ١٢٤٠
(٤) انيس المقدسي ـ العوامل الفعالة في الادب الحديث ص: ٣٣
(٥) المصدر نفسه ص: ٤٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لأنيس المقدسي ، وهو في نظري خير ما كتب في هذا الموضوع .

اما الفرح بالقانون الجديد فلم يدم طويلا ، فقد انقلبت جمعيّة الاتحاد والترقي التي قضت على الحكم الحميدي ، الى استبداد جائر ، فغاثوا فسادا في البلاد العربيّة ، وقتلوا وخرّبوا ، زد على ذلك ان الدولة التركية كانت مضطربة بحروبها مع ايطاليا والدول البلقانية ، حتى كانت الحرب العالميّة الاولى ، وكان انفصال البلاد العربية عن تركيا ، وقد اعلنت بريطانيا حمايتها على مصر ، وانتدابها على فلسطين وشرقي الاردن والعراق ، كما اعلنت فرنسا انتدابها على سوريا ولبنان . وقد تجزأت الجزيرة العربية الى دويلات عديدة . واما الاداب العربيّة في هذه الفوضى فقد كاد يقضي عليها ، فصودرت الجمعيات العربية ، وشنق بعض اعضائها ، واقفلت المدارس ، وعطلت الجرائد الوطنية ، والمطابع الاجنبية ، اما في مصر واميركا فكانت النهضة العربية سائرة في تقدمها غير انها لم تترق كثيرا لانقطاع معاملاتها مع سائر بلاد الشرق العربي ، وفي اوروبا ظلّ علماء الفرنجة يهتمون بالدراسات الشرقية العربية ، فنمت وازدهرت .

وعندما هدأت الحرب العالميّة الاولى ، ازداد نشاط الاداب والعلوم ، فاطلقت الدولتين الفرنسية والانكليزية حرّية الطباعة والنشر ، واخذت المجلات العربية تنقل الكثير عن المنشورات الاوروبية ، فعرّفت الشرق العربي بالحضارة الغربية ، وكذلك اخذ ادباء العرب عن الغرب طريقة التأليف والتحقيق ، فنشروا الكتب نشرا علميا صحيحا واسعا ، كما فعل المستشرقون ، واخذوا عنهم ايضا طريقة النقد الادبي ، فتناول ادباء العرب المطبوعات النثرية والشعرية ينقدونها على ضوء مقاييس النقد الاوروبي .

وقد كثر المثقفون العرب في البلاد العربية ، وكثر الذين اطلعوا على آداب الفرنجة وعلومهم ، وكثر الذين اجادوا اللغات الفرنجيّة ، حتى ألّف بعضهم باللغات الغربية لا سيما الفرنسية منها ، ونشروا دواوينهم بها ، فخسرهم الادب العربي ، غير ان ادباء العرب عامّة ومفكريهم شعروا بكيان بلادهم ، وضرورة استقلالهم من كل انتداب اجنبي .

وقد حدث قلاقل وثورات داخليّة متواصلة في البلاد العربية للتحرّر من الانتداب الاجنبي ، فناضل العرب في سبيل استقلالهم التام ، وجاءت الحرب العالمية الثانية ، فاستقلّ بعدها عدد من الدول العربيّة ، واصبح لها اصوات في جمعيّة الامم ، وانتشرت شرعة حقوق الانسان ، وساهمت بها ، فازداد الانسان ايمانا بنفسه وحريته ، وانضمّت الدول العربية الى جامعة عربيّة ، تحلّ مشاكل الدول العربيّة ، وتقرب الشقة بينهما ، غير ان العرب شعروا بالخذلان في القضية الفلسطينية ، واحسّوا عدم استقلالهم الحقيقي ، وعدم نضوجهم السياسي ، زد على ذلك تفرّق اهوائهم وكلمتهم ... وقد اصاب الادب العربي فتور ويأس من تلك الحالة ، فنادوا الى ضرورة الوحدة العربيّة ، لتقف قوة في وجه المعتدين .

ومنذ الحرب العالمية الثانية ، والعالم كافة في قلق واضطراب ، وقد تحوّل الى مصنع كبير للاسلحة الفتاكة ، حتى كانت الطاقة الذرية ، والهيدروجينية التي تهدد فناء العالم جملة ، وكذلك انطلقت الفنون في الغرب بتجديد مستمرّ قوامه المادّة ، وبلغت الواقعية ذروتها في هذا العصر ، واخذ العالم العربي اليوم يتأثر باتجاهات الغرب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الادبية والفنيّة ، فيقلدها ، وينقل من مدنيته الكثير ، ويتبنّاها في حياته الاجتماعية ، والفنّية ، ورغم هذا التأثر بالغرب نجد ان الفكر العربي اليوم ما زال حائرا ، لا يستطيع ان يقرّر مصيره ، لأنه وقع بين فئتين ، فئة محافظة على القديم ، تمجّده وتستوحيه ، وترى فيه كمالا للّغة والادب ، وفئة اخرى متجدّدة تدعو الى كل شيء حديث ، وطرح كل ما هو قديم ، لأنه لا يلائم عصر المدنيّة الحديثة وفلسفته . وهكذا نجد ادبنا اليوم حائرا ، فالقديم يجرّه الى الوراء ، والحديث يدفعه الى الامام .

١ — العوامل التي اثرت في الادب العربي الحديث ~~وملامحه الادبية الحديثة~~

نلخّص العوامل التي اثرت في الادب العربي الحديث فيما يلي :

اوّلا : الثورة الفرنسية .
ثانيا : الادب الاوربي .
ثالثا : الفلسفة والعلوم الاوربية ، ونستطيع ان ندعو العامل الثاني والثالث معا ، الثقافة الاوربيّة .

تأثر الشرقيون العرب بالحضارة الغربيّة ، فحلّت فرنسا وبريطانيا اليوم — على حد تعبير نيكلسون (Nicholson) مكان اليونان والهند في العصور الذهبيّة في الاسلام (١) ، وكانت الحملة النابليونية الى مصر اوّل بادرة للاحتكاك بالحضارة الغربية ، فانفتحت عقول العرب على غير ادبهم وامّتهم ، لا سيّما بعد ان عانوا ما عانوه من الظلم والاستبداد وكانت هذه الحملة الفرنسية تحمل معها مبادئ الثورة الفرنسية التي تعترف بقيمة كل انسان ، دون تمييز امام الدستور ، فالجميع متساوون امام " دستور الحرية والمحبة والعقل " (٢) ، بذلك تقرّب الانسان من اخيه الانسان ، واهتم الادب بالانسان ومشاكله ، وبالشعب وحاجاته ، وتنازل عن ارستقراطيته القديمة ، واصبح ديمقراطيا شعبيا ، " وتلوّن الادب — كما يقول احمد امين — بهذا اللون ، فاصبحت الاغاني الشعبيّة تتغنى بالحرية ، وانتشر نوع من الادب وهو اليوتوبيا او المدنية الفاضلة ، وهي كتب ترسم صورا لمعيشة الناس عيشة اسعد مما يحياها الناس في الواقع " (٣) ، ووصلت هذه الموجة في سيرها المستمرّ الى الشرق العربيّ ، فأخذ يحارب الاستعمار ، ويجاهد في نيل الحرية وينشد الديمقراطية ، واخذ يقلّد اوربا في حركاته واعماله " (٤) ، واخذ الادب العربي يبتعد عن القصور ، ويتقرّب من الشعب ، فتغنى شعراء العراق وسوريا ومصر بالحرية والعدل والمساواة والاخاء .

وقد اعجب العرب بالادب الغربي ، لا سيّما الادب الفرنسي منه ، واخذوا ينقلونه الى لغتهم ، وقد تأثروا بمدارسه الادبية الحيّة ، ولم "يسبق لادباء العربية ، على قول ابي شبكة — ان اقبلوا على نقل ما هبّ ودبّ من نتاج الغربيين والفرنسيين منهم بوجه خاص ، اقبالهم عليه في مستهلّ القرن العشرين" (٥) وقد كانت فئة من ادباء العرب في المهجر الاميركي مكبة على مطالعة آداب الغرب وفلسفتهم ، تشق طرقا جديدة في عالم الادب العربي الحديث ، بعيدة عن كلّ ما يقف في طريقها ، مضيفة على الادب العربي الحديث الوانا فنّية لم يعهد مثلها الادب العربي . وسرعان ما ذاع في البلاد العربية تلك المدرسة

---

(١) R.A. Nicholson - A Literary History of The Arabs (London, 1923) P: 469
(٢) الياس ابو شبكة — روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة (بيروت ١٩٤٥م) ص: ٥٥
(٣) و (٤) احمد امين — مجلة الهلال مج: ٤٦ ج ٢ ص: ١٢٦ — ١٢٧
(٥) الياس ابو شبكة — روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ، ص: ١١١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرمزية الجديدة ، التي حمل لواءها جبران ونعيمة وابو ماضي وغيرهم .

ولم يقف الغرب عن التفنّن في الادب والتجدد المستمر ، وقد انتشرت مدارس عديدة ، وقام في الشرق العربي من يسيرون على طريقتها مقلّدين مسايرين النهضة الغربيّة ، فعرفوا الادب الرومانطيقي والرّمزى ، والادب الوجودى والسريالي والواقعي ، فأدبنا حائر بين هذه الحركات الادبية الغربيّة لا سيّما الفرنسية منها ، وقد قال كرم ملحم كرم في مقال له عن ادباء العرب في القرن العشرين انهم طلعوا " يعرضون علينا بضاعة " لامرتين " و" فكتور هوغو " " والفرد ده موسه " ... واخيرا قامت قائمة فئة منا تقلّد الرمزيين فلم تعرف التوفيق ... فلسنا نقرأ في الشاعرين بيننا اليوم غير "بودلير" " وفرلين " ، و " مالارمه " ، و " بول فاليرى " (١) .

وكذلك فعل العرب بالفلسفة الاوربية ، وقد ترجموا منها الكتب الكثيرة الى اللغة العربية ، ودرسوها درسا وافيا ، فاتسع نطاق تفكيرهم ومداركهم ، ورأوا ضرورة الفلسفة وتعليمها في مدارسهم وجامعاتهم ، فالفلسفة تحرّر الانسان من عبوديّة التقاليد ، وتخلّص الامّة من اوهام القديم ، وسخافاته ، غير ان الفلسفة لم تنتشر بين الافراد ، ولم تعم يوما في المدارس الّا في الجامعات ، يقدم على درسها من اراد التخصّص بها ، فظلت الفلسفة في فئة خاصة ، ولم ينبغ بين هذه الفئة الخاصة في عصرنا من نستطيع ان نشير اليه بالفيلسوف المفكّر ، لأن الفلسفة لم تزل في طور النقل والدرس والتحليل والشرح ، لا في دور الخلق ، لذلك لم ينبغ بيننا فلاسفة تصوّفوا للفكر والفلسفة ...

وبانتشار الفلسفة الاوربية ، اصبح الانسان يشعر بكيانه ، وقدرته العقلية ، وقوته الروحية ، فباستطاعة الانسان ان يرتقي حتى يصل الى الكمال ، وعليه ان يسعى ويكافح في سبيل المعرفة وتحسين عيشته ، ولعلّ فلسفة النشوء والارتقاء التي ارتج لها العالم الغربي في القرن الثامن عشر ، هي الفلسفة التي ارتجّ لها العالم العربي في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وقد خرجت هذه المدرسة الفلسفية في الغرب عن الكنيسة ، وكفّرها رجال الدين ، وتسرّبت الى الشرق العربي ، وقد حمل لواءها شبلي الشميّل ، فنقلها الى امته مؤمنا بها ، وكذلك انفتح الشرق العربي على علوم الغرب ، فدرسوا الطب والكيمياء ، والصيدلة وعلم النفس ، واطلعوا على اختراعاته الآلية العظيمة ، فدهش العرب من عبقرية الغرب ، واكبوا على سيرهم التقدّمي المتواصل ، غير ان الشرق العربي انقسم الى ثلاث فئات : فئة تنادى بالمدنية الاوربية الحديثة ، وبكلّ حديث جديد ، وفئة تنادى بالقديم والبقاء على القديم ، وفئة ثالثة تتوسّط بين الحديث والقديم وتوفق بينهما ، ولعلّ التقاليد هي التي تجرّ الفئة الرجعيّة المتعصّبة الى الوراء ، واما المدنيّة الحديثة فهي التي تدفع الفئة الحديثة المنطلقة الى الامام ، والفئة المتوسطة تقف حائرة بين الطرفين ، وتأخذ منهما معا .

---

(١) كرم ملحم كرم — مجلة الامالي السنة الاولى ، عدد ١٣ ، ص: ٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولعلّ هذا الصراع من ابرز مظاهر النهضة الحديثة التي يتجلّى فيها — كما يقول كاتسفليس — "تنبّه الضمير الفردي ، ومعرفة الفرد حقوقه ... والاستغناء عن السوى بالعلم والصناعة والتجارة والفلاحة " (١) ، والتطلّع الى تقليد اوربا — على حدّ تعبير محمد لطفي جمعة — في العلم والفنون والآداب الاجتماعية ، وحياة الاسرة ، وحرّية المرأة ، والصناعة ، والاعمال المالية واحياء اللغة العربية " (٢) ، وكذلك تتجلى فيها "الثورة على القديم — كما يقول امين الريحاني — الذي امسى عقيما ، والقديم الذي صار بالبا ، ان كان في الاحكام او في العقائد او في الادب او في العلوم (٣)". فالمشادة بين الدين والعلم ، او بين الرجعيين والتقدميين ، او بين القديم والحديث شغل المفكرون العرب في القرن العشرين .

ب — اهم مظاهر النهضة الادبية الحديثة

١ — العلم والدين

سبق لنا ان تحدثنا عن العلم والدين ، وفرّقنا بينهما تارة ، وقرّبنا الشقّة بينهما تارة اخرى ، غير اننا نذكر الان تأثير علم الغرب وتغلغله في شرقنا العربي ، وفي نفوس الادباء والمفكرين .

قلنا ان فلسفة النشوء والارتقاء كانت فهما جديدا في الحياة . فكلّ كائن يستطيع ان يتطوّر وينمو جسديّا ، وروحيا من الحسن الى الاحسن . وكانت هذه الفلسفة تناقض الاديان وتقاليدها ، التي تقول ان الله يخلق الانسان بقدرته ، متى شاء ، ووصلت هذه الفلسفة الى الشرق العربيّ قائلة ان الانسان خلاصة التطوّر الحيوانيّ ، وباستطاعته ان يسعى ويكافح ليرتقي في حياته الفكرية والاجتماعية ، فانقسم المفكرون والادباء الى ثلاث فئات : فئة متطرفة تؤمن بالنشوء والارتقاء ، وتنادي به دينا ، وتنفي صحة الاديان جميعا ، لانها جامدة ، لا تساوق التطور والارتقاء ، امثال شبلي الشميّل ، ويعقوب صرّوف ، وفئة اخرى متطرفة ايضا تكفر بهذه الفلسفة وتظهر فسادها ، واكثر هذه الفئة من رجال الدين ، ومن اشهرهم الاب لويس شيخو وغيره من الاباء ، وفئة متوسّطة بين كلا الطرفين ، تحاول ان تعتبر العلم والدين ، تارة تفرّق بينهما ، وتارة اخرى تقرّب الشقّة بينهما ، امثال ابراهيم مطر ، واسماعيل مظهر ، ونقولا الحداد ، وشارل مالك وابراهيم بقطر ، وجبران ، ونعيمة ، وتوفيق الحكيم ، والشيخ مصطفى عبد الرازق وغيرهم ...

اما شبلي الشميّل فقد كان تلميذا في المدرسة المادّية ، وهو الذي حمل لواء فلسفة دارون في الشرق العربي ، والغاية من هذا الدين الجديد — يقول

---

(١) وليم كاتسفليس — المقتطف مج ٧٠ ج : ٥ ص: ٤٩٢ و ٤٩٣

(٢) محمد لطفي جمعه بالمقتطف مج ٧١ ج : ٢ ص: ١٤٢

(٣) امين الريحاني — المقتطف مج ٧٠ ج : ٥ ص: ٤٨٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

شبلي الشميّل — هو "اعتبار الانسان في كل مكان اخ الانسان ، مما يدعو الى تصافح الامم من فوق حدود الاوطان ، بل تجلت لي تلك الغاية الكبرى المنتظرة من هذا العلم الذي هو دين البشرية الحق ، والتي لا تتيسّر في اي تعليم آخر " (١) ، ويرى الشميّل ان الديانات لا تصلح حال الامم ، "بل لا يصلح حال الامّة الّا كلما ضعفت فيها شوكة الديانة ، ولا يقوى شأن الديانة الّا كلّما انحطّ شأن الامّة " (٢) ، فما فائدة الديانات اذا حافظ الناس على تقاليدها وعقائدها في كل زمان ؟ وما فائدة الديانات اذا صدّت الانسان عن التطوّر الاجتماعي والفكري ؟ كل انسان مفكّر ، مثقف ، لا يرضى ان يسنّ له الدين القديم والتقاليد الماضية طرق العيش ، ويتدخّل في حياة الفرد الخاصّة ، وفي سير البلاد عامّة . كلّ انسان مفكّر ، مثقّف لا يرضى لنفسه دينا محدودا مرّت عليه القرون ، فعجز عن مسايرة المدنيّة الحديثة وتطوّرها ، "فلو بني دين الانسان — يقول الشميّل — على علاقته الحقيقيّة بالطبيعة ، واقيمت آدابه على نواميس الاجتماع الطبيعي ، لكان في كل اعماله متناسبا على نفسه ، متوافقا مع تعاليمه غير مضطر ان يقاوم تعاليمه في كل خطوة يخطوها " (٣) ، فالعلوم الطبيعية هي التي تزيل العقبات من طريق الانسان ، وتهدّم "النظامات المتقلقلة ، والشرائع الحائفة التي هي سبب كل ما نراه من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن فيه " (٤) ، وقد قامت طائفة من رجال الدين وغيرهم بنقد لاذع شديد على ما جاء به الشميّل من آراء جريئة ، حرّة ، لكنّه ظلّ ماضيا في عزمه ، مؤمنا برأيه ، لا يرى للدين الجامد مكانا ، امام العلوم المتطوّرة ، التي تحاول دوما كشف الاسرار الغامضة والتي تحرّره من عبوديّة الجهل والاوهام الزائفة ، ومن قيود التقاليد البالية ، والشرائع التي تحدّ الكثير من تطوّره ، اما العلم فيطلق الانسان وروحه ، ويسمح لهما بالتطوّر الدائم ، وهو الذي يبين الحق . وفي ذلك يقول يعقوب صروف :

وللتطوّر احكام مقرّرة والنفس والجسم في الاحكام سيّان
لا بدّ للعلم من يوم يفوز بها يبيّن الحق فيه خير تبيان (٥)

وكان هناك فئة اخرى لا ترى ان العلم كاف للمعرفة ، ولا بدّ للانسان من الايمان والدين ، فيقول طانيوس عبده :

زعم الألى ضلّوا السبيل باننا بالعلم نستغني عن الاديان
لكنهم لو امعنوا وتبصروا لرأوا جلال فضيلة الايمان
فالدين للانسان اعظم سلوة بل انه جزء من الوجدان (٦) ،

وكذلك يقول ميخائيل نعيمة : " اذا ما اعترفت للعلم بفضل كبير على المدنية الحاضرة ، فلست لاعترف له بالعصمة ، ولا بالمقدرة على الوصول بالانسان الى المعرفة

---

(١) شبلي الشميّل — فلسفة النشوء والارتقاء ج ١ (مصر ، ١٩١٠م) ص: ٣٠
(٢) المصدر نفسه ص: ٥١
(٣) المصدر نفسه ص: ٣
(٤) المصدر نفسه ، ص: ١٠
(٥) يعقوب صروف — مجلة ابولو مج ١ عدد : ١٠ ص: ١١٦٨
(٦) طانيوس عبده — ديوان طانيوس عبده (مصر ، ١٩٢٥م) ص: ٥٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

القصوى التي تترتب عليها الحرية القصوى . . . وما لم يكن هدف الانسان معرفة كل شيء ليتحرر من كل قيد ، ويصبح خالقا بمثل القدرة التي خلقته ، فأي قيمة لوجوده ، وأي معنى لحياته "؟ (١) ، فالايمان عنده هو "قوة الانسان ، لا عضله ولا دهاؤه ، ولا سحته ولا سلاحه ، كل هذه عجاج لا غير تثيره المعركة ، من عبدها فقد عبد العجاج " (٢) ، والايمان بالشيء عند جبران "هو المعرفة بالشيء . والمؤمن يرى ببصيرته الروحية ما لا يراه الباحثون والمنقبون بعيون رؤوسهم ، ويدرك بفكرته الباطنة ما لا يستطيعون ادراكه بفكرتهم المقتبسة " (٣) .

وهنـــاك فئة اخرى تحاول ان توفق بين العلم والدين ، وترى فيهما وحدة ، فالعلم في نظرها ، يزيد الانسان ايمانا ، ويثبت عظمة الله ، ويتساءل نقولا الحداد : هـل يناقض مذهب النشوء والارتقاء الوحي ؟ "فالخالق خلق المادة ، وخلق سننها ايضـا ، وفي خلقه السنن للمادة والحياة حكمة ، او مهارة اسمى جدا من المهارة في خلق كـل شيء وحده . فاكتشاف هذه السنن والقول بها اكتشاف لقدرة الخالق هي اعظم ممـا اعتقد بها المعتقدون . فالعلم يثبت عظمة الخالق " (٤) ، وكذلك يقول جبـــران : " انا من القائلين بسنة النشوء والارتقاء ، وفي عرفي ان هذه السنة تتناول بمفاعيلهـا الكيانات المعنوية ، بتناولها الكائنات المحسوسة ، فتنتقل بالاديان والحكومات من الحسن الى الاحسن ، انتقالها بالمخلوقات كافة من المناسب الى الانسب " (٥) ، وكذلـك "يتدرج (هذا العلم) بصاحبه من الاختبارات العلمية الى النظريات العقلية مالـى الشعور الروحي الى الله " (٦) ، وهو — في نظر شارل مالك — "سعي نزيه لا يتوخى الا الحقيقة الصرفة ، فاذا كان له ما يقوله في شأن من الشؤون فما على الحر ، بعد ان يتحقق نزاهته واخلاصه ، الا ان يصغي لما يقوله بعطف وورع " (٧) ، والعلم في نظر انيس فريحة "يتطلب تجردا واخلاصا ، وتنزها وجلدا وصبرا ، وثقة بالنفس وايمانـا بوجود نظام عام شامل في الكون " (٨) . فالعلم عون للدين ، والعلم يزيد الانسان ايمانا بنفسه وبخالقه ، وفي ذلك يقول احمد الصافي النجفي :

عارف الله بالجسوم كمن يغدو ... بحب الاصنام جم الفتون
والذي يعرف الاله من النفس ... رآه بالعلم لا بالظنون (٩)

ويقول زكي ابو شادي :

العلم عون الدين في نور الحجى ... اهلوه اطهار به ابرار (١٠)

---

(١) ميخائيل نعيمة — الاوثان (بيروت، ١٩٤٦) ص: ٥٧
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٨
(٣) جبران خليل جبران — كلمات ص: ٥٩
(٤) نقولا الحداد — مجلة السيدات والرجال، السنة الثانية عشرة مج ٦ ص: ٣٥٠
(٥) جبران خليل جبران — كلمات ص: ٧٧
(٦) المصدر نفسه ص: ٧٨
(٧) شارل مالك — المقتطف مج ٨٠ ج ٣ ص: ٢٥٤
(٨) انيس فريحة — الفكر العربي مشكلته — (بيروت، ١٩٥٠) ص: ١٣
(٩) احمد صافي النجفي — ديوان الاغوار (بيروت، ١٩٤٤) ص: ٦٥
(١٠) احمد زكي ابو شادي — ديوان الشفق الباكي (مصر، ١٩٢٦) ص: ٢٣٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

امّـــا الشيخ مصطفى عبد الرازق فيرى في العلم كمالا للدين ،فيقول : " لا اعتقد ان ارتقاء العلوم الحديثة وتقدم المدنية ، يبعد الناس عن الحياة الدينية والمعانـــي الروحية ، فان الله اراد للناس ان يكملوا في امر دنياهم وليس الكمال في امر الدنيا الّا بان ترتقي حضاراتهم ، وتكمل مدنيّتهم " (١) .

وقـــد وقف بعض الشعراء من العلوم الحديثة ، والمدنية الجديدة ،موقفا لمتعجبين بقدرة الانسان ،المعظمين لقواه العقلية ، ومنهم عبد الرحمان شكرى في قصيدته "النشوء والارتقاء " اذ يقـــول :

بربك ايها الانسان لم اصبحت انسانا
بعقل يبلغ الشمس واقصى الكون عرفانا
وجدت لكل ما كان من الاكوان ميـــزانا
كانك خالق الخلقين اكوانا وازمانـــا
وسخّرت الرياح مطية والبرق فرســـانا (٢)

ووقف البعض الاخر موقف الساخرين بالعلم ، لا سيّما بالمذهب العلمي الجديد متهكمين بالانسان ، ومنهم جميل الزهاوى اذ يقول في مذهب النشوء والارتقـــاء :

يا له من تطوّر حوّل القرد لانسان يحسن التخييلا
سنة الله في النشوء على الارض فما ان ترى لها تبديلا
انني اخشى للنشوء انقلابـــا فيعود الانسان قردا كسولا (٣)

وقـــد ابغض بعض الشعراء العلم ، وتبرّموا بالرقيّ والمدنيّة التي محت المسرّات عن الارض ، وحوّلتها الى نار وجحيم ، فاشتاقوا الى حياة الغاب ،ونادوا الانسان الـــى الطبيعة ، لينطلق من كل قيد ، ويتنعّم بتغريد الطيور ، وشرب الخمور من عناقيد الكروم، وفي ذلك ينشد علي محمود طـــه :

او ترضى بالذى ما كنت ترضى
اى دنيا من عذاب وشـــقاء
ورقيّ اهلك العالم بغضـــا
بين نار وحديد ودمـــاء

شوّه العلم رؤى الكون القديم
ومحا كلّ مسرّات الدهـــور
او ارض جوفها نار جحيـــم ؟
وفضاء كلّ ما فيه أســـير ؟ (٤)

---

(١) مصطفى عبد الرازق ـ مجلة الكتاب ،السنة الثالثة ج ١ ص: ٩
(٢) عبد الرحمان شكرى ـ المقتطف مج ٨٧ ،ج : ٤ ص: ٤١٨
(٣) جميل الزهاوى ـ مجلة الرسالة ، السنة الرابعة مج ١ عدد : ١٣٥ ص: ١٨٦
(٤) علي محمود طه ـ ديوان الشوق العائد (مصر ،١٩٤٥م) ص: ١٠١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

او نغم للغاب من غريدها
نسمع الروح الطليق المرحا
ونعب الخمر من عنقودها
واترك الدنّ وخلّ القدحا (١)

٢ ـ الاتجاهات الادبية الجديدة في الشعر العربي الحديث

قبل ان نتحدث عن ادب الروح في شعر القرن العشرين ، نريد ان نلقي نظرة عجلى على الاتجاهات الادبيّة الجديدة في عصرنا الحديث .

ذكرنا في فصل سابق ، التيّارات الغربيّة التي تغلغلت في الفكر العربي الحديث ، ومدى تأثيرها في توقّد الفكر العربي ، وفي الحياة الاجتماعية عامّة ، وقد اصبح الانسان ان يكافح ، ويسعى في سبيل حياة افضل واحسن من حياة آبائه ، حتى اذا رأى الفقر والجهل منتشرين في بلاده ، تألّم لمستقبل امّته ، واقام الجمعيات الخيرية والمدارس المجانية لمكافحة الاميّة ، وهبّ يطالب حكوماته لتحسين حال الشعب ، فانتشرت المدارس الحكوميّة المجانية ، وكثرت البعثات العلميّة والثقافيّة الى بلاد الفرنجة ، ولم يكن حظ الشعراء من الحضّ على تحسين حال الشعب اقلّ من غيرهم ، فقد شعروا بحاجة الامة الى شعب راق ، واع ، فاندفعوا يجولون بين الشعب ، يصوّرون بؤسه وشقاءه ، ويرفعون القصائد الى المسئولين ، وينادون الحكومات الى تلافي هذا البؤس الفتاك الذي يضعف معنويّات الامة ، فكان ادبهم ادبا ديمقراطيا يعنى بحاجات الشعب ومشاعره .

وقد شعر الادباء المحدثون بكيان امتهم العربيّة بعد ان كادت تموت ، فأخذوا يطلبون الاستقلال من كل حكم اجنبيّ ، وبالتالي ينادون الى ضرورة الوحدة العربيّة ، وطرح المشاحنات بين الدول العربيّة ، والحدود المصطنعة بينها ، حتى يحقّق للامة العربية ان تكون في مصاف الامم المتمدّنة ، وتحيا مطمئنة هادئة . وقد تبرّم الشعراء العرب بامتهم العربية التي خذلت في قضيّة فلسطين ، غير ان الشعراء العرب يريدون لأمتهم العربية الكمال ، والكمال لا يتحقّق الّا اذا اصبحت الدول العربيّة المتفرّقة دولة واحدة ، حتى اذا صدمهم الواقع ، انطووا على انفسهم متشائمين ، مردّدين اقوال ابي العلاء المعرى في الدنيا والمجتمع الفاسدين .

وقد تأثر ادبنا العربي الحديث بالمدرسة الرومانطيقية الفرنسيّة ، والانكليزية ، واصبح الشاعر العربي الحديث ينظر الى الطبيعة ـ ليس كما كان ينظر اليها الشاعر القديم ، نظرة حسّية ماديّة ، بل نظرة روحيّة حيّة ، فيتحدث اليها ، ويرى فيها كما يقول المقدسي " كتابا مفتوحا ، وعالما روحيا يوحي اليه المعاني الخالدة ، والخواطر السامية" (٢)، وقد خرج ادبنا الحديث ايضا عن الطريقة التقليدية ، وتحرّر من التكلف ، فظهر في ادبنا

---

(١) علي محمود طه ـ ديوان الشوق العائد [illegible] ص ١٠٣

(٢) انيس المقدسي ـ مجلة النشرة ، مج ٨٢ ج ١ ص ٨ ـ ٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تنوع وتفنن في القصة والمقالات الادبية ، والشعر الغنائي ،وتنوّع اغراض الشعر الغنائي ، فاصبح الشاعر يتأمل تأملا عميقا في النفس البشرية وفي الحياة ، باحثا عن جوهرهما بشوق عظيم ، واخذ يعالج مشاكل الانسانية جمعاء ، فالشعر مسخّر لرغبات نفسه ،لا لرغبات قبيلته او حكامه ، كما كان قديما ، فآمن بنفسه ، وآمن بالقيم الروحية الصادرة من القلوب البشرية ، ونظم قصائد ، فيها وحدة في الموضوع ، وحرية في الاخراج ، وعالج فيها مواضيع روحيّة ، يشعر بها كل انسان في كل مكان ، فادبنا اليوم — على حدّ تعبير انيس المقدسي — ادب " مثالي يؤمن بالحياة وقيمتها الروحية ، ويراها لا من خلال التقاليد البالية ، والاساطير القديمة بل من خلال النواميس العقليّة والروحيّة " (١) ، وبالجملة فقد اتّجه الادب العربي الحديث اتجاهات جديدة ، لم تكن معروفة في الادب القديم بمفهومها هذا ، وتفلّت من قيود لازمته اجيالا ، ولعلّ الاستاذ انيس المقدسي هو اكثر الباحثين المعاصرين اهتماما بالادب الحديث واتجاهاته ، وقد حصرها — كما ذكرناها — فيما يلي :

١ — الاهتمام بالشؤون الشعبيّة .
٢ — احياء الروح القوميّة بعد اندثارها قرونا عديدة .
٣ — الشغف بالحياة الطبيعية
٤ — التجديد في الاساليب الفنّية
٥ — التأمل في المواضيع المعنويّة (٢) .

وقد المعنا بها الماما سريعا ، ورأينا ان التأمل في المواضيع المعنويّة موضوع هذه الرسالة . وقد ذكرت سابقا فهم ادباء العرب المحدثين للادب ، وكيف كان فهمهم يتفق وفهم ادباء الغرب ، واتضح لنا ان ادباء العرب قد تأثروا بادباء الغرب ،لا سيّما بمقاييس النقد الادبية ، وكلاهما يتفقان على ان الادب الحقيقيّ هو الادب الخالد العالميّ ، الذى يعالج مواضيع معنوية ، يشعر بها كل انسان في كل زمان ومكان ، وما سواه فهو ادب متغير غير ثابت ، يتطور بتطور البيئة ، وانتقال العصر ، فالادب الذى يحملنا على اجنحته ، ويرفعنا الى ما وراء المادّة هو الادب الخالد الصحيح ، الذى يتغنى دوما بقلب الانسانيّة ، فيشارك كل انسان ذلك الغناء الازليّ . فهل الشعر العربي في القرن العشرين ادب خالد مازليّ ؟ هل للعرب المحدثين نصيب منه ؟ فما هي القيم الروحيّة التي يتغنّى بها ادباؤنا العرب اليوم ؟ ...

في الصفحات التالية عرض شامل للقيم الروحيّة كما تظهر في الشعر العربي الحديث . وفي مقدّمة هذه القيم فكرة الله ، والروح والنفس وغيرها .

---

(١) انيس المقدسي — مجلة النشرة مج ٨٢ ج ١ ، ص: ٩
(٢) المصدر نفسه — ص: ٦ — ١٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الخامس

ادب الروح عند العرب
في شعر القرن العشرين

١ ـ القيم الروحيّة :

الله ـ الروح ـ النفس ـ الحياة ـ الوجود ـ الجمال ـ الكمال ـ الفنّ ـ الحقيقة ـ الانسانية ـ الوطنية ـ السعادة ـ الحبّ ـ الحرية ـ الدين ـ الموت ـ المعاد ـ الخلود .

٢ ـ هل عرف العرب المحدثون أدب الروح ؟

٣ ـ العوامل التي تقوّى القيم الروحية في الشعر العربي الحديث :

ا ـ الثقافة الصحيحة

ب ـ الحرية المطلقة

ج ـ النقد الصحيح

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ـ الله ـ

لم يأت الشاعر القديم على ذكر الله في شعره الّا عرضا ، وذلك عندما يرميه الدهر بسهم من سهامه ، او عندما تلمّ به وبعائلته بليّة من البلايا . والله في الشعر العربي القديم هو الله الذى عرفته الكتب الدينية ، ناجاه الشاعر القديم ، مستجيرا ، وماد حا ، ومصليا .

ومرت بالانسان حضارات كثيرة مختلفة ، ومنها الحضارة العربيّة الحديثة التي بلغت بالانسان شأوا بعيدا في حرية التفكير ونضجه وتقدير قيمة الفرد ، فراح الانسان يتغنّى بهذة الحريّة الشخصية ، معبّرا عن آرائه هو ، لا عن آراء غيره ممن سبقه من الناس ، ومن الطبيعيّ ان يكون الشعراء في طليعة اصحاب الآراء المستقلّة الحرّة ، لانهم ابناء الانسانية الشاملة ، دينهم دين المحبة ، والاخاء ، وهدفهم البلوغ بهذه الانسانية درجة الهناءة الروحية ، والسعادة الدائمة . لذلك نرى ان الشعر المحدث ، او الكثير منه على الاصحّ ، اخذ يتغلغل الى قلب الطبيعة يبحث عن كنهها ، ويتأمل في اعماقها ويقرأ في خفاياها كأنها ذلك السّفر العظيم الذى يروى الروح المتعطشة الى سبر الحقيقة ، والوصول الى الله .

وقف الشعراء المحدثون محدّقين في آيات هذا الكون ، متسائلين عن انسجامه البديع ، مدهشين امام ما فيه من أسرار وألغاز ، متغلغلين الى اعماقه ، وكأنهم يحسّون في قرارة نفوسهم قوّة ليست بعيدة عنهم هي الله ، فيقول احدهم :

احسّه في حسا تضيق عنه الظنون
لو رحت اجلوه نطقا فالنطق عيّ حرون
لو رحت اجلوه لفظا فكل لفظ سكون (١)

وطال تأمل الشعراء ، وطالت حيرتهم . فهم بين شاك ومؤمن ، وبين مصدّق ومكذّب ، وبين متأكد وحائر : من يكون باريء هذا الجمال البديع ، والتناسق الجميل ؟ ومن هو باني هذا الوجود العجيب ؟ اهو قوّة واحدة ام عوامل عديدة ؟ :

هو ما تراه بكلّ حكم مدهش للكائنات وكل ما تلقاه
هوجملة من قوة وعوامل بنت الوجود ولم تزل تخشاه
وتظلّ تبحث عن حقيقة كنهه وتظلّ تجهل اصله ومناه (٢)

---

(١) نعمة قازان ـ مجلة النواعير السنة الرابعة ، عدد ٤٣ ، ص: ١١
(٢) احمد ركي ابو شادى ـ ديوان الشفق الباكي ص: ١٤٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويتساءل الشاعر : لم يبحث الانسان عن كنه الله ؟ وهل يعلم كنه الله انسان ؟ فالله ملء الكون ، واقوى برهان على وجوده هو الانسان :

تعالى الله لا يعلم ... كنه الله انسان
اتبحث عنه في واد ... ومنه الكون ملآن ؟!
اتنكره ؟ وانت عليه ... لو فكرت برهـــان ؟! (١)

وأمـــا اقرب الناس الى فهم الله ، فهم العلماء "ذلك لانهم اكثر خلق الله اتصالا باسرار الطبيعة ، واقربهم الى لمس غوامضها ، وما الطبيعة الا مظهر من مظاهر الله، او قل انها سرّ من اسراره " (٢) . اذاً ما يكون ذلك السرّ العظيم ؟ هل هو الاثير؟ هل هو تلك القوة الخفية التي تمدنا ارواحا واحاسيس ؟ لعلّ الاثير هو الذي يبصر ما لا تبصره العين ، ولعلّ الاثير هو الالـــه :

ولعلّ الاثير يبصر ما لا ... تبصر العين من وراء الستور
ولعلّ الاثير اصل التروى ... ولعلّ الاثير اصل الشـــعور
مذهبي وحدة الوجود فلا ... كائن غير الاله القديم القدير (٣)

وبالرغم من ان الزهاوي يقف موقفا لا ادريا من الذات الالهية ، فانه يؤكد وجود الـــه حيّ لا يبور وهو الاثير ، وقد سئل فاجـــاب :

قال : ما ذاته ؟ قلت مجيبا ... بلسان قد خانه التفكير
انني لا ادري من الذات شيئا ... فلقد اسدلت عليها الستور
انما علمي كله هو ان ... الله حـيّ لا يبـــور
ما لكل الاكوان الا الـــه ... واحد لا يزول وهو "الاثير"
منه هذا الوجود فاض حميما ... واليه بعد البوار يصيـــر (٤)

والله نور ، نور الارض والسماء ، والله نبع ، نبع الحياة والجمال ، ومن لا يرى ذلك النور فهو اعمى ضرير :

الله نور الارض نور السماء ... ما انا ... ما العالم ؟ لولاه
اعمى الورى من لا يرى نوره ... الم يشاهد ؟ ... اين عيناه ؟ (٥)

وقـــد يحدّث الله الشاعر ، فيحسّ وميضا من نوره ، وقبسا يتغلغل في روحه ، وقد يتكلّم الله ، فينتسر الضياء ، ويخفّ السنى :

تحدثني فاحس وميضا
تفجّر بي نبعه الصّيب
وترمقني فيهمّ البياض
ويغمرني ضوءه الاشنب (٦)

. . . . .

---

(١) اسماعيل صبري ـ ديوان اسماعيل صبري (القاهرة ١٩٣٨م) ص: ١٩٤
(٢) علي توفيق شوشة ـ مجلة الهلال مج ٤٥ ج ٥ ص: ٥١٩
(٣) و (٤) جميل الزهاوي ـ الاوشال (بغداد ١٩٣٤م) ص ٥٣ و ٣٠٠
(٥) احمد الصافي النجفي ـ الحان اللهيب (دمشق ١٩٤٩م) ص: ٣
(٦) صلاح لبكي ـ سأم (لبنان ١٩٤٩م) ص: ١٩ و ٢٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تكلّم الله فخفّ السنى
من كل صوب وتنادى الضياء (١)

ويـــرى شاعر آخر ان الله يحدّث ، وانّه يتكلّم ، وهو قريب من كل انسان محبّ شاعر ، فبالحب يصل الانسان الى معرفة نفسه ، وبالتالي الى الله وكنهه :

انا بالحبّ قد وصلت الى نفسي وبالحبّ قد عرفت الله ! (٢)

والحـــبّ في نظر جبران ، هو من مظاهر الله ، وكذلك التمرّد ، والحرّية ، وان الله هو ضمير العالم العاقل ، وهو القوة : " الحبّ وما يولده ، والتمرّد وما يوجده ، والحرية وما تنميه — ثلاثة مظاهر من مظاهر الله . والله ضمير العالم العاقل " (٣) ، وان الله هو القوة التي " هي كل عدل ، وكل شفقة وكل حنو ، وكل محبة " (٤) ، والله ليـــس بحاجة الى من يترجم للناس جمال خلقه ، وسموّ ابداعه ، لقد خلق الكائنات موخلق الجمال ، وجعل الوجود جمالا رائعا ، ولغزا عميقا . كل انسان شاعر يدرك ذلك الجمال والحسن البديع ، ويدرك ان صانعه اله جميل ، فلم يبعث الله رسلا الى الناس ؟ ولم سمح للنـــاس ان يشوّهوا ا سفره العظيم ، ويلقوا احنا ومشاحنات بين البشر ؟ وفي ذلك ينشد الشاعر :

ربّ فيم ابتعثت رسلا ولو شئت لاغنت ارادة الانسان
افصح الحسن مستهلا فما — حاجة هذا الجمال للترجمان (٥)

وهذا الجمال الرائع لا يمكن ان يكون الّا من خلقـــه :

يخلق الله كل شيء جميلا كل حسن من خالق ديّان (٦)

وكذلـــك يخاطب محمد الحليوى التونسي الله منشدا :

ربّ يا من خلقت هذا الوجود عالما رائعا وفنا مجيدا
انت ربي اخذته من هباء ثمّ اخرجته قويّا عتيـــدا
قلت كنه ! فكان لغزا عميقا وكتابا مستعجما ونشيدا (٧)

وقـــد خلق الله الانسان ، وصاغ له روحا ، فاحسّ الشاعر في نفسه قلقا لا يهدأ ، والما لا ينقطع ، فليسجد الشاعر امام الله ، ولينشـــد :

وفيم تجزى وهي لم تأثم ؟
الست انت الصائغ الطابعا ؟
الم تسمها قبل بالميســـم
الم تصغ قلبها الرائعـــا ؟
الم تصغها عنصرا عنصرا
من اين ؟ ما علمي ؟ وانت العليم ؟ (٨)

---

(١) صلاح لبكي — سأم ص: ٣٦
(٢) ايليا ابو ماضي — الخمائل (بيروت سنة ؟) ص: ٢٥
(٣) جبران خليل جبران — العواصف (كفرشيما لبنان ، ١٩٣٧) ص: ٩٦
(٤) جبران خليل جبران — كلمات ص: ١١٣
(٥) محمود ابو الوفا — مجلة المقتطف مج ٧٦ ج ٢ ص: ١٧٣
(٦) سلامة العباسي — مجلة التعاون ، السنة السابعة عشرة عدد : ٩ ، ص: ٥٣٧
(٧) محمد الحليوى التونسي — مجلة ابولو مج ١ عدد : ١٠ ، ص: ١١٣٦
(٨) علي محمود طه — الملاح التائه (مصر ، ١٩٤٣ م) ص: ٨٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وكذلك خلق الله كل شيء ، خلق الجمال كلّه ، واملاه على الشعراء فهو استاذهم ودليلهم :

الله استاذي وكل الذي خطّ يراعي فهو املاه
لا مبدع الّا ه ، لا ناقد سواه ما يأباه آباه (١)

غير ان الشك والحيرة في هذا الخلق يحدوان بالشاعر الى التساؤل :

اليس جميع الناس خلقك يا ربي ؟
اما انت احييت الطبيعة بالحبّ ؟
الهي ، اما سفر الطبيعة منزل ؟
اليس به كل الهداية للشعب ؟ (٢)

ويهيم الشاعر ، ويتأمل في الخلق ، فيجدهم مسرفين في الشرور ، ثم يتألم ، ويتشاءم ، ويتمنى لو لم يخلق الله الوجود :

الهي حلمك ماين المفرّ ووجه السؤال استوى واستقرّ
وانت الهي لماذا خلقت ؟ اما كان اولى انقاء الخطر (٣)

كذلك يرى بعض الشعراء ان الشرّ فشا بين الناس لان الله تغاضى عنهم :

الهي متى تحيي الامانة والهدى وتقضي على ملك الضلالة والشرّ
تغاضيت حتى استحكم الشرّ بيننا ولم يبق انسان يميل الى البرّ (٤)

لماذا لا يسير الانسان باخيه الانسان الى النور ، وقد وضع الله في كل نفس رسولا ؟ لماذا لا يضيء كل انسان الظلمة ، وقد بعث الله في الناس ارواحا من روحه ؟ كيف لا يهتدي كل انسان ، والانسان هو كلمة الله ، على حدّ تعبير جبران ، فان الله قد وضع في كلّ نفس رسولا ليسير بنا الى النور (٥) ، وان الله قد بعث ارواحكم الى هذه الحياة كشكلات مضيئة تنمو بالمعرفة " (٦) . وقد " فكّر الله ، فكان فكره الاوّل ملاكا ، وتكلّم الله فكانت كلمته انسانا " (٧) . ولا يقف جبران في فهمه عند هذا الحدّ ، بل يذهب الى اعمق من ذلك فيرى ان الانسان ليس فقط هو كلمة الله وصداه ، بل هو صادر عنه وهو يستطيع ان ينمو مع الله امام الحق :

---

(١) احمد الصافي النجفي — الحان اللهيب ص: ٣
(٢) نقولا الحداد — مجلة السيدات والرجال زالسنة الحادية عشرة ، ج ٧ ، ص: ٤٢٦
(٣) سليم حيدر — ديوان الآفاق (بيروت ، ١٩٤٦) ص: ٦٥
(٤) سليم نادر — مجلة العصبة السنة الثانية عدد ٦ ، ص: ٧٢٨
(٥) جبران خليل جبران — كلمات ص: ٥٦
(٦) المصدر نفسه ، ص: ١٠٣
(٧) جبران خليل جبران — رمل وزبد (مصر ، ١٩٢٧م) ص: ١٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

" الهي ومقصدي وكمالي
انا امسك وانت غدي
انا عروق لك في التراب
وانت ازاهر لي في السماء
ونحن ننمو سوية امام وجه الشمس " (١)

وكذلك ينشد فيخائيل نعيمة :

اخالقي رحماكا بما برت يداكا
ان لم اكن صداكا فصوت من انا ؟ (٢)

ان هذا الشعور الحميم بفكرة الله ، هذا الاتحاد الكلي بالله يظهر بارزا في ادب جبران ونعيمة ، ويجعل منهما اديبين كبيرين من ادباء الروح ! قال نعيمة في الايمان بالله والانسان معا : أن الله خلق الانسان ، "لذلك كان الانسان الصادر عن الله صورة لمصدره ، فكان ازليا بازليته ، ابديا بابديته ، خالقا بعين القدرة التي خلقته" (٣) ، ووجب على الانسان ان يؤمن بالله ذلك الروح الازلي الذي "وحده حري بالعبادة ، فاعبدوه ، وبالسجود والتمجيد ، فاسجدوا له ومجدوه ، فيه لا بغيره تحيون وتتحركون وبه لا بغيره تتحررون وتتألهون " (٤) ، وينبغي على الانسان ان يؤمن بالانسان "الذي هو صورة الله ، (وكل) بنيان لا يقوم عليه مصيره حتما الى الانهيار " (٥) .

ان الله موجود في كل كائن ، وحالّ في كل شيء ، هذه هي نظرية الحلول التي ترى الله في كل شيء ، فهو في الانسان كما هو في الزهرة ، والحيوان والصخرة والغدير ، وهو يشيع الايمان والمحبة في القلوب ، والمعرفة في العقول ، فتسكن الروح ، ويعتريها ورع وخشوع ، وروح الله تتغلغل في كل أمر ، فلا عجب اذا احبّ الانسان الطبيعة ، وشملها بمحبته وعطفه ، ولا عجب اذا فهم الانسان الطبيعة ، وحلّ الغازها ، وتكلم بلغتها ، وترجم حركاتها ، وان بين الانسان والطبيعة شبها واضحا ، فكلاهما مستمدّ روحها من الروح الالهيّة ، وكلاهما مقدّس ، اما الانسان فانه اقرب الكائنات الى الله ، لان الله قد منحه ادراكا ، وفهما ، فكان بينهما شبه عظيم ، كلاهما يجيدان الخلق والابداع ، فيشملان الطبيعة جمعاء بالحبّ والمعرفة ، ويضحي الانسان محبا للمعرفة من اجل هذا القبس الذي وضعه الله فيه :

احب التغلغل في كل امر كأني كونت من كل شيء
كأني بروحي روح الاله تحب جمادا وميتا وحي" (٦)

---

(١) جبران خليل جبران — البدائع والطرائف (مصر ١٩٢٣م) ص: ٤٤
(٢) ميخائيل نعيمة — همس الجفون (بيروت ١٩٤٣م) ، ص: ٥٠
(٣) المصدر نفسه — البيادر (مصر ١٩٤٥م) ص: ٦٢
(٤) ميخائيل نعيمة الاوثان (ص: ٦٤
(٥) " " صوت العالم (مصر سنة ؟) ص: ٢١
(٦) احمد النجفي — ديوان الاغوار ص: ٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

واذا كان الانسان من روح الله ، وصادرا عنه ، فان النبات والطير والارض وجميع مظاهر الطبيعة تحدّث عن قوته وجبروتـــه :

هوذا الله في الوجود تجلى ببديع الآثار للروّاد
في حياة النبات في عشيش الطير وفي نغمة الهزار الشادى (١)

وكذلـــك يرى جبران الله في كل مكان ، في الارض ، والفضاء والسحاب والبرق ، وفي الزهور والاشجار : " تأملوا فيما حولكم تجدوه لاعبا مع اولادكم ، وارفعوا انظاركم الى الفضاء الوسيع تبصروه يمشي في السحاب ويبسط ذراعيه في البرق ... تأملـــوا جيدا تروا وجهه يبتسم بثغور الازهار ، ثم ينهض ويحرّك يديه بالاشجار " (٢) . وان الله ليس فقط في المعابد ، كما ان العلم ليس فقط في المعاهد ، وليست المعابد وحدها تحتكر الله ، بل هو في كل مكان : " فلا الله في المعابد وحدها ، ولا المعرفة في المعاهد العلميّة فقط " (٣) ، وان الله في دود القبور ، وفي نسور الجو ، وصوتـــه في ثغاء الشاة وفي زئير الاســـود :

كحل اللهم عيني
بشعاع من ضياك
كي تـــراك
في جميع الخلق : في دود القبور
في نسور الجو في موج البحار
وافتح اللهـــم اذنـــي
كي تعي دوما نداك
من عـــلاك
في ثغاء الشاة في زأر الاسود (٤)

لذلـــك ينبغي علينا ان نحذر العبث في اى شيء ، لان الله في كل شيء ، " ولا نكبر على انسان لانه صورة الله ، ولا نصغر امام انسان لاننا امثال الله ، ولا نقيم الفواصل بيننا وبين الناس او بين الناس والناس ، لان الناس كلهم حجارة حيّة في هـــرم الوجود الالهي " (٥) ، وينبغي علينا ان نجعل قلوبنا طاهرة لتستحق روح الالـــه ، ونجعلها واحة لكل قريب وغريـــب :

ماؤها الايمان ، واما غرسها
فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الاخلاص ، اما شمسها
فالوفا والصدق والحلم الجميل " (٦)

---

(١) ضياء الدخيلي ـ مجلة المقتطف مج : ١١٠ ج ١ ، ص: ١١٤
(٢) جبران خليل جبران ـ النبي (مصر ، ١٩٢٦م) ص: ٩٦
(٣) ميخائيل نعيمة ـ زاد المعاد (مصر ، ١٩٣٦م) ص: ٣٩
(٤) " ـ همس الجفون ، ص: ٣٢ و ٣٣
(٥) " " ـ البيادر ـ ص: ٦٩ ـ ٧٠
(٦) " ـ همس الجفون ، ص: ٣٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فاذا بلغ الانسان هذا الرقي الروحي والخلقي ،فانه يكون فنانا يحافظ على حسن الله وكماله ، وعبقريا يبعث النور من ديوانـــه :

فاذا الانجم غارت وانطوت كل الازاهر
وتلاشى كل ما انشا وسوّى من مناظـر
لاح لي في حسنه الاكمل في ديوان شاعر (١)

واذا جئنا نتدبّر مفهوم الشعراء المحدثين لفكرة الله لوجدنا انهم يحسّون اللـــه احساسا غريبا مبهما ، لقد رأوا انه لا بد للكون من ربّ يدبر شؤونه ، او من فنّـــان عظيم يخلق ويبدع جماله . اما جوهر الله فلم يلتفت اليه الشعراء كثيرا ، ولم يخوضـوا باحثين عن كنهه ، فكان هذا البحث ليس من واجبهم على ما يظهـر ، بل من واجـــب الفلاسفة . وقد ظلّ الله عندهم شعورا ، غامضا ، غريبا ، يهزّهم ، ويحرّك اقلامهـــم وريشهم ، وآلاتهم الموسيقيّة ، فهو ذلك الجمال الاسن الذي يلفّ الكائنات جميعـــا ، وينفخ فيها روحا من روحه ، وهو تلك القوة الخفية التي تحافظ على نظام الكون ، على ان من طبيعة الشعراء ان يؤمنوا بهذه القوّة ، وهذا الحنان الذي يغمرهم ، كما يؤمن الطفل الصغير البريء ان وراء الوجود ابا حبيبا ابرّ :

لآمنت يا ربّ مثل الصغير وراء الوجود ابوه الابرّ (٢)

وينشد الزهاوي بلسان الشعراء مؤمنـــا :

كلنا مؤمن يسبح للرحمان في ظلّ عرشه المحدود (٣)

والايمـــان بوجود الله واجب ، فالله هو مصدر الحياة والوجود والحرية والمحبة والعـــدل والقدرة ، فلا حياة الّا منه ،ولا وجود الّا فيه ، ولا حرّية الا في محبته ، ولا عدل الّا فـــي نظامه ، ولا قدرة الّا في معرفته " (٤) . وهذا الايمان مبنيّ على الايمان الذي هـــو من خلق الله ، فمن آمن بالانسان ورقيّه قد آمن باللـــه .

وامـــا اكبر لغز في الحياة فهو القضاء والقدر ، وهما يلعبان دورا عظيما منذ كـــان الكون ، وكان الانسان . وقد وقف الشعراء موقف المؤمنين بالقضاء والقدر ، الذيـــن لا يعرفون كنهه ، قد "جئنا الى الحياة غير مخيّرين ، ونذهب غير مخيّرين ، اين طوعـــا وان كرها " (٥) . وقد يشكو الشعراء سطوة الاقدار التي ترمي الانسان بالالم ، وهـــم تارة يعزونها الى الله ، وتارة اخرى ينفونها عن الله ، فيقول الدكتور رمزي مفتـــاح نافيا سطوة الاقدار عن اللـــه :

كم شكونا سطوة الاقدار كم تسلب النعمى وترمي بالالم
سطوة الاقدار في اهوائها كم شكونا سطوة الاقدار كم
لا تقل حكم اله عادل انما الاقدار من لحم ودم (٦)

---

(١) ايليا ابو ماضي ـ الخمائل ص: ١٠٩
(٢) مصطفى صادق الرافعي ،المقتطف ،مج : ٨٣ ج ٤ ص: ٣٨٥
(٣) جميل الزهاوي ـ الاوشال ص: ٢١٠
(٤) ميخائيل نعيمة ـ صوت العالم ص: ٢٣
(٥) مصطفى الرافعي ـ رسائل الاحزان في فلسفة الجمال والحب (مصر ،١٩٢٤م) ص: ١١
(٦) رمزي مفتاح ـ مجلة المقتطف ،مج : ٨٦ ج : ٤ ،ص: ٤٤٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

غير ان الشعراء عامة يرون ان القضاء والقدر هما من الله ، وان الانسان عاجز ذليل امامهما :

ما انتم في قضاء الله من احد سوى هباء على الاكوان منتشر (١)

وكذلك يقول نقولا الحداد مخاطبا الله :

قضاؤك محتوم وعدلك واحد
وامرك امر مفرد لا يعاند (٢)

وقد يحالف الشاعر القضاء ، ويرافق القدر ، ويجعل بينه وبينهما محبة لا خوفا وصداقة لا عداوة فيجاورهما مطمئنا ، لا يخشى العذاب ، ولا يهاب الضرر :

وحليفي القضاء ورفيقي القدر
فاقدحي يا شرور حول قلبي الشرر
واحفري يا منون حول بيتي الحفر
لست اخشى العذاب لست اخشى الضرر (٣)

وهكذا نرى ان الشعراء المحدثين قد تحرروا من التقاليد في مفهوم الله ، ومظاهر قوته ، واخذوا يبحثون متأملين في الطبيعة عن الله وكنهه ، وعن وجوده وخلقه ، فيرونه تارة قوة ، وتارة اخرى نورا وجمالا ، ويحسونه في انفسهم وفي الطبيعة جمعاء . وقد اصبح لهم نظرة وفهم يختلفان عن الكتب الدينية . فالله عندهم هو الصديق الحميم والاب الرحيم ، والفنان البارع ، وهو الذي يمنح جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان ارواحا من روحه ، فيتلألأ في النجوم ، ويبتسم في الزهور ، وقد خص الله الفنان بروح كبيرة ، وجعل بينه وبين الانسان شبها واضحا ، فكلاهما خالق مبدع ، وللانسان قيمة الهية ، ومن يؤمن بالله يؤمن بالانسان ، وانسان اليوم لا يحتاج الى رسول كي يعرفه الى الله ، ولا يحتاج الى رادع يردعه ، لأن في سفر الطبيعة اخبارا عنه ، وفي ضمير الانسان صومعة له . ضمير الانسان رسوله ، والطبيعة معبده .

وقد شغل بال الشعراء المفكرين قضاء الله وقدره ، فآمن به بعضهم ، وحسبه البعض الآخر ناتجا عن تصرف الانسان فيرون الله يتصرف حتى الآن كما يشاء ، اذن لم لا يصادق الانسان القضاء ويحالف القدر ؟ لم لا يجعل بينه وبينهما محبة وصداقة ؟ لم لا يطرح الخوف ؟ ... ان المحبة تمحو الخوف ، وتنشر السلام ، وتنمي المعرفة .

---

(١) محمد الحليوى التونسي — مجلة الرسالة السنة الثانية مج ٢ عدد : ٦٢ ص: ١٥٠٣
(٢) نقولا الحداد — مجلة السيدات والرجال السنة الحادية عشرة مج ٧ ص: ٤٢٦
(٣) ميخائيل نعيمة — همس الجفون — ص: ٦٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ ـ الروح والنفس

ان الشعر العربي الحديث عامة في القرن العشرين ينظر الى الروح والنفس نظرة واحدة ، فكلاهما مجرّد عن الجسد ، وكلاهما جوهر واحد لا يفنى ، فالروح مرادفة للنفس او الفكر او الضمير ، وهي مصدر حياة الجسد وحركته وحيويته ، وهي ملازمة للجسد ، يتمّ الواحد بالآخر :

فلا جسد يقوم بغير روح ولا روح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فمذ لكل بغير قرينة ابدا لزوم (١)

غير ان الروح لا ترضى ان تعيش كما يعيش الجسد ، كلاهما دوما في صراع ، فالروح من طبيعتها ان تغنى بالحكمة والتأمل ، والجسد من طبيعته ان يكون فقيرا ، خاضعا لسليقته . وفي ذلك يقول جبران مخاطبا النفس :

" انت يا نفسي غنيّة بحكمتك
وهذا الجسد فقير بسليقته
فلا انت تتساهلين ، ولا هو يتبع
وهذا اقصى الشقاء " (٢)

اما الجسد فيموت ، وترجع الروح الى منبعها الاعلى الذى انبثقت منه . ان هذه النظرية الاستشراقية تشمل الادب الحديث عامّة ، وتجعل منه ادبا مؤمنا مفكرا ، على عكس الادب العربي القديم الذى جاء خاليا منها ، كما مرّ معنا ، الّا عند بعض الفلاسفة والمتصوفين ؛ وفي تفتيش الشاعر عن الروح نراه يقف متأملا ، متسائلا عن كنه الروح وعن اصلها ومصيرها ، فطورا يشكّ ، وطورا آخر يؤمن ، تارة يعمل على تهدئة النفوس القلقة ، والقلوب الحائرة ، وتارة يقف حائرا امام دنيا الالغاز ، فلا يحير جوابا ، ومما لا شكّ فيه ان الشاعر العربي الحديث استطاع ان يكون رسول نفسه ، ورسول رفاقه ، لكنه لم يستطع حتى الآن ان يجعل نفسه رسول الناس اجمعين لاسباب سنذكرها في حينه .

ما هي الروح او النفس التي عبّر عنها الشعراء ؟ وكيف ظهرت في ادبنا العربي في القرن العشرين ؟ ...

ان الروح حرّة طليقة ، تعاف حدود الجسد ، وهي نور يتغلغل في الكون ، فيكظهر الوجود حتى يصبح صافيا نقيا ، وفي ذلك ينشد ابو شادى :

---

(١) معروف الرصافي ـ ديوان الرصافي (بيروت ، ١٩٣٢م) ص: ٢٠٥
(٢) جبران خليل جبران ـ كلمات ، ص: ١١١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ارى روحي تعاف حدود جسمي
وتأبى فسحة الدنيا حدودا
تغلغل نورها في الكون طرّا
ونال صفاؤها هذا الوجودا (١)

وقد يعجب شاعر آخر كيف يتغلغل النور في الظلام ، وكيف تزكو النار في الرّهام ، وكيف ترضى الروح ان تسكن البدن مولود التراب:

ان هذا الجسم مولود التراب يا له من هائم نحو الياب
عجب للنور في جوف الظلام! عجب للنار تزكو في الرّهام (٢)

وهذه الروح اشعّة مثل الشمس ، وهي شعلة مقدّسة من عند الله في نظر شوقي فقال جاريا مجرى ابن سينا في النفس:

يا نفس مثل الشمس انت اشعة في عامر واشعة في بلقع (٣)
فاذا طوى الله النهار تراجعت شتّى الاشعة فالتقت في المرجع

وكذلك ينشد ادوار مرقص:

نفسهم من ربهم شعلة قدس تستعير
افسدوها اخمدوها فهي فحم لا ينير (٤)

ويقول جبران في الروح انها "شعلة متقّدة ، فصلها الله عن ذاته قبيل ابتداء الدهر"(٥). والروح هي نور الحقيقة حتى اذا رآها الشاعر وهي متجرّدة عن الجسد ارتاع فقال:

فراعني انها المرآة منعكسا نور الحقيقة فيها غير مضطرب (٦)

ويرى الزهاوي ان الروح بصيص من السنى الاكبر ، وانّها شعاع باق ونور يضيء الكون:

يا روح هذه الدنى شرارة منك انا
قد استطارت تبتغي لنفسها ان تعلنا
ان بصيصي كله من بعض ذلك السنى (٧)

ويطول بالزهاوي التأمل في ماهية الروح ، فتتوارد عليه الاضداد ، والمناقضات تارة يؤمن بقدسيّة الروح وبقائها ، وتارة اخرى يدّعي ان الروح جرثومة حيّة ، توجد في كل جسد ولكنّها ترتقي بارتقاء الحيوان حتى تصل الى الانسان الذي تفرّد بين الكائنات بذكائه ورفعته ، فيقول:

---

(١) احمد ابو شادي (احمد زكي) ـ ديوان اطياف الربيع (مصر ، ١٩٣٣م) ص: ٦١
(٢) صادق ابرهيم عرجون ـ مجلة ابولو مج ١ عدد: ٢٠ ص: ١١٢٧
(٣) احمد شوقي ـ الشوقيات ج:٢ (مصر ، ١٩٣٦م) ص: ٧٤
(٤) ادوار مرقص ـ المقتطف مج: ١١٣ مج ٣ ص: ١٩٣
(٥) جبران خليل جبران ـ عرائس المروج (كفرشيما ، لبنان ، ١٩٣٦م) ص: ١٣
(٦) مصطفى العلوي ـ الرسالة السنة الثانية مج ٢ عدد ٦٤ ، ص: ١٥٨٥
(٧) جميل الزهاوي ـ الاوشال ص: ٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الروح لم تهبط علي من المحلّ الارفع
بل انّها ليست سوى جرثومة نشأت معي (١)

ويقول ايضـــا :

والروح ليس سوى الحياة تشاركت زهرًا خلايا الجسم فيها اجمع
هي في الجماد خفية لبساطة فيها فلا تبدو ولا تتفزع
اما النبات فانها منحطة فيه فلا يرنو ولا يتسمع
وتنوع الحيوان يرقى صاعدا حتى بدا القرد السوى الافرع
وتفرد الانسان بين لداته بدهائه فله المقام الارفع (٢)

غيـــران معظم الشعراء يرون في النفس نورا يتجلى ، وجوهرا ازليا لا يفنى :

فالنفس ذاك النور ذيّاك المجرّد ليس الّا
ولو انها جسم لما وسع البسيط اليه وصلا (٣)

ويخاطـــب فوزى المعلوف الروح قائلا :

انت يا روحهم من النور ذرات
اضاءت في الكون في عالميه
لست من عالم التراب وان كنت
تقمصت بالتراب عليـــه (٤)

ويـــرى جبران في الروح نورا حقيقيا ، هو النور الذى يدرك الحياة ، ويحلّ الغاز الكون واسراره ، " هو ذاك الذى ينبثق من داخل الانسان ، ويبين سرائر النفس للنفس ويجعلها فارحة بالحياة ، مترنّمة باسم الروح " (٥) ، وكذلك يخاطب النفس قائلا : " انت والجمال في النور (٦) . . " ، وقد يدّعي بعض الشعراء ادراك الروح دون غيره ، فيراها كالكهرباء :

ما على غامضة الروح غيرى واقف
انا وحدى بالحقيقة منها عارف
ليست الروح سوى كهرباء في الجسد
انه يحيا بها فاذا زالت همد (٧)

وعندمـــا يتأمل الرصافي في الكهرباء ، واختراعه العجيب ، يؤمن ان سرّ الوجود قد بدا ، وان الكهرباء هي الروح الخفية التي تكمن في كل انسان ، لكنه لا يجزم ببقاء الروح مطورا نراه مؤمنا ببقائها ، وطورا آخر متردّدا كرميله الزهاوى ، فيقـــول :

---

(١) جميل الزهاوى ـ الاوشال ص: ٢٢٢
(٢) المصدر نفسه ص: ٧٨
(٣) ابو العلاء النجفي ـ مجلة العرفان مج ٢٢ ج ٤ ص: ٤٢٧ و ٤٢٨
(٤) فوزى المعلوف ـ على بساط الريح (ريو دى جانيرو ١٩٢٩م) ص: ٤٦
(٥) جبران خليل جبران ـ كلمات ص: ٩٩
(٦) " " " ـ دمعة وابتسامة (مصر ١٩١٤م) ص: ٥٠
(٧) جميل الزهاوى ـ رباعيات الزهاوي ، ص: ١٦٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وانت يا كهرباء سرّ بدا وما زال في غشاء
عجائب الكون وهي شتى فيك انطوت ايما انطواء
فانت للكائنات روح ان كانت الروح للبقاء (١)

والروح جوهر مجرّد ، وهي معنى كل حيّ في نظر ابو شادى :

وما الروح الّا كل معنى نشيمه من الحيّ في شتى الرسوم ومفردا (٢)

ويقول الزهاوى انها جوهر قديم ، وجزء من العالم اللامتناهي :

انا في جوهرى قديم على الارض وان كان حادثا ميلادى
انا جزء من عالم ما له من آخر ينتهي به او نفاد (٣)

ويرى احمد الصافي النجفي ان النفس هي لب الكون ، وهي الجوهر الاساسي :

ارى الكون قشرا ما رى النفس لبا ازحه لينزاح عنها الكدر (٤)

ويحار ضياء الدخيلي في وجود جوهر في الانسان لا يظهر للعيان :

والذى حير العقول وجود جوهرى مجرّد غير بادى (٥)

وينفي ابو العلاء النجفي فلسفة ديمقراطية الذى ينفي التجرّد في الوجود ، غير انه يرى النفس مجرّدة ، فيخاطبها :

فلك التجرد في الوجود وانه القدح المعلا (٦)

اذن لم يخاف الانسان من الظلم والطغيان والعذاب ، والروح جوهر باق لا يمسّه الضرر ؟ :

وآبغوا وجوروا وارجموا واصلبوا
فالروح فينا جوهر لا يضام (٧)

وكذلك يقول نسيب عريضة :

الجوهر السامي يبقى بلا رجس
فافعل كما تهوى يا قلب لا تحذر
ان كنت من تبر ما ضرّك المصهر (٨)

---

(١) معروف الرصافي — ديوان الرصافي ص: ٢٤ — ٢٥
(٢) احمد زكي ابو شادى — مجلة الحديث السنة التاسعة : عدد ٢ ص: ١٨٨
(٣) جميل الزهاوى — الاوشاد ص: ١٧٨
(٤) احمد الصافي النجفي — ديوان الاغوار ص: ٣٠
(٥) ضياء الدخيلي — المقتطف مج : ١١٠ مج ١ ص: ١١٤
(٦) ابو العلاء النجفي — العرفان مج ٢٢ مج ٤ ص: ٤٢٨
(٧) جبران خليل جبران — عرائس المروج ص: ٧١
(٨) نسيب عريضة — الارواح الحائرة — (نيويورك ١٩٤٦م) ص: ٩٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويتمنّى فوزى المعلوف ان يطير الى المعالي حيث تحيا روحه بلا جسد ، وتتجرّد عن مادّيتها الى الابـــد :

ويجسمي طيري حيث روحي
فيه تحيـا
بلا جسد (١)

والروح هي الضمير ، وهي الحدّ الفاصل بين الانسان وبين الحيوان ، وفي ذلـــك يقول الرافعي : " ماذا يكون بعد ان يضرب الشقيّ تلك الحاسّة الروحية التـــي نسميها الضمير ، ويرميها بالشلل ؟ ... انه ينحط درجة واحدة ، ولكنها درجـة الضمير التي لو جازها الحيوان لصار انسانا ، ولو نزل عنها الانسان لعاد حيوانا" (٢) .

وقـــد رأى احمد محفوظ ان الروح هي سرّ الله ، وهي جمال العالم المتنـــوّع، وقد عارض قصيدتي ابن سينا وشوقي في النفس ، فقـــال :

زعموك طيفا في المجرّة سابحا — يرنو بطرف او يصيخ بمسمع
ولأنت سرّ الله في اكوانـــه — وجمال ذاك العالم المتنوّع (٣)

وكذلـــك فعل يوسف اسعد ، وقد عارض ايضا قصيدتي ابن سينا وشوقي في النفـــس، فرأى ان النفس قوة تحرّك الجسم ، فهي تعمل في الجسم طالما هو حيّ ، حتى اذا انطوى انطوت معه ، فقال بعد ان نفى ما قاله ابن سينا ومن جرى مجراه في النفـــس :

هي قوّة في الجسم قائمة به — وخصائص الاجسام لم تتقطع
فوجودها بوجوده فاذا انطوى — الجسم انطوت معه بنفس المضجع (٤)

وقـــد وقف بعض الشعراء من ماهيّة الروح وحقيقتها موقفا متسائلا ، لا أدريا ، هـــم يحسّونها ، ولكنهم لا يرونها ولا يعرفون كنهها ، فما عساها تكون ؟ اعنصرهـــا الايمان ، وجوهرها الطهر ؟ ام عنصرها الكفر وجوهرها الرجـــس ؟ :

خبيئة نفسي مما ترى انت ؟ إنني — اريدك في جوّ من الضوء معلم
اعنصرك الايمان والطهر اصله — والا الى الكفران والرجس منتم (٥)

وهل الروح جوهر ، والجسم عرض ؟ اهي نور ام حيـــاة ؟:

يقولون روح الفتى جوهر
تلبّس في جسمه في عرض
فان كان نورا فهلا خبا
وان كان عرقا فهلا نبض (٦)

---

(١) فوزي المعلوف ـ على بساط الريح ص: ٦١
(٢) مصطفى الرافعي ـ المساكين (مصر ١٩٢٩م) ص: ٨٥
(٣) احمد محفوظ ـ المقتطف مج ١٠٠ ج ٥ ص: ٤٨٠
(٤) يوسف اسعد ـ المقتطف مج ٦٤ ج ٣ ص: ٢٦٢
(٥) سيد قطب ـ مجلة الرسالة ـ السنة الثانية مج ٢ عدد: ٥٩ ص: ١٣٨٥
(٦) الحوماني مجلة المناهج مج ٢ ج ٤ ، ص: ١١٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

كذلك يرى عبد الرحمان شكرى في النفس غموضا كما يراه في الكون — فيخاطب النفس :

يحوطني منك بحر لست اعرفه ... ومهمه لست ادرى ما اقاسيه
اقضي حياتي بنفس لست اعرفها ... وحولي الكون لم تدرك مجاليه
والروح كالكون لا تبدو اسافله ... عند اللبيب ولا تبدو اعاليه (١)

وكذلك يشك الرافعي بالروح ، فيقول :

ولو لم يكن الا الوجود وشأنه ... لهانت شؤون عندنا وشؤن
ولكنها الروح تداولتالورى ... ولم يدن منها للظنون يقين (٢)

ويخاطب ابو الوفا الروح متألما من سرّها وسرّ الحياة :

يا روح من اين جئت ... من حيثما جئت روحي
سرّ الحياة البهم ... بوحي بي واستريحي (٣)

ويتوسل الزهاوى الى النفس علّها تخبره عن جوهرها ، وعلة وجوده ، من اين اتى والى اين يذهب ؟ وما غاية الله من الوجود ؟ فهو لا يدرى شيئا عن تلك العلاقة بين الروح والجسد ، وهو لا يعلم شيئا عن سرّ الوجود :

اخبريني يا نفس من انا ، ماذا ... انت مني ، ما مبدأى ما معادى ؟
ما حياتي وغاية الله منها ... ما وجودى والقصد من ايجادى ؟
كيف جاءت تقوى الارادة فينا ... ما علاقات الروح بالاجساد
علميني بما به لك علم ... فلعلي يا نفس القى رشادى (٤)

وقال ايضا في الروح :

وقبل وجودى اين كان مكانه ... فهذا هو الشيء الذى لست ادرك (٥)

وكذلك يضلّ البشبيشي ، ويقف موقفا لا أدريا حائرا ، فينشد :

من تراني كنت قبل الروح قل لي من تراني ؟
لست ادرى مبدأ الروح .. وميلاد زماني
لا ارى سرى الذى يخفى وسرى لا يراني !
بئست الدنيا اذا كان ضلالي في كياني (٦)

ويتعجّب الطباطبائي النجفي من حالات النفس ، ويقرّ بجهله بها ، فيقول :

انا من حالاتها في عجب ... كلما اخطو رجعت القهقرى
جهلت آنا وآنا علمت ... وترى طورا وطورا لا ترى (٧)

---

(١) عبد الرحمان شكرى — الرسالة السنة السادسة مج ١ عدد ٢٥٢ ص: ٧٥٠
(٢) مصطفى صادق الرافعي — ديوان الرافعي (الاسكندرية ١٣٢٢ — ١٣٢٣هـ) ص: ٣٣
(٣) محمود ابو الوفا — ديوان انفاس محترقة (مصر ١٩٣٣م) ص: ٤
(٤) جميل الزهاوى — الاوشال ص: ٢٥٢
(٥) جميل الزهاوى — مجلة الرسالة السنة الرابعة مج ١ عدد ١٣١ ص: ٢٧
(٦) حسين محمود البشبيشي المقتطف مج : ١٠١ ج ١ ص: ٥١
(٧) الطباطبائي النجفي — مجلة العرفان مج : ٢٨ ج : ٩ ص: ٩٠٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويزداد ايليا ابو ماضي عمقا في سرّ وجوده ، ومعنى كيانه ، فهو لا يدري شيئا عن حاضره ولا مستقبله ، فينشد في طلاسمه متسائلا :

انا لا اذكر شيئا من حياتي الماضيه
انا لا اعرف شيئا من حياتي الآتيه
لي ذات غيراني لستادرى ماهيه
فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي
لستادري (١)

ويقول ايضا :

اتراني قبلما اصبحت انسانا سويّا
كنت محوا او محالا ام تراني كنت شيّا
الهذا اللغز حل ؟ ام سيبقى ابديّا
لستادرى ... ولماذا لستادري
لستادري (٢)

ويقف ميخائيل نعيمة متأملا في الامواج والبرق ، وفي الرعد والريح ، وفي الفجر والشمس وفي الالحان ، ويخاطب النفس ويسألها عن اصلها وجوهرها وماهيّتها :

هل من الامواج جئت ؟
هل من البرق انفصلت ؟
ام مع الرعد انحدرت ؟
وانا دريك ولكن انت عني قاصيه
في محيط لا اراه
هل من الريح ولدت ؟
هل من الفجر انبثقت ؟
هل من الشمس هبطت ؟
هل من الالحان انت ؟ (٣)

فمن يجيب على هذه الاسئلة ؟ ومن يستطيع ان يلقي على هذه الغوامض المظلمة نور الحقيقة؟ ومن ترى يحلّ الغاز الطبيعة واسرار الوجود ؟ ... ويحسّ الشاعر في ساعات الوحي والالهام بروح جديدة تدبّ في اعماقه ، وتتغلغل في عروقه ، فينبض لها قلبه وتتحرك انامله ، ويؤمن ايمانا قاطعا ان الروح هي من ذات الله ، وهي ملهمة من عند الله ، مقودة مسيّرة لمشيئة الله ، فينشد :

تقول روحي انها ملهمة
فهي لما قدّرته متبعه
مقودة في سيرها مرغمة
وان تراءت حرّة طيّعه (٤)

---

(١) و (٢) ايليا ابو ماضي ـ الجداول (نيويورك ، ١٩٢٧م) ص: ٩٠ و ١١٢
(٣) ميخائيل نعيمة ـ همس الجفون ص: ١٨ و ١٩ و ٢٠
(٤) علي محمود طه ـ الملاح التائه ص: ٨٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وان الله قد اعطاها هديّة ثمينة للوجود ، فهي من سناه المبدع ، وفي ذلك يقول احمد محفوظ :

لم يمنح الله الوجود عطية اغلى واثمن من سناك المبدع
هل انت الّا في الحياة غريبة ان الغريب مصيره للمرجع (١)

ويؤمن يوسف اسعد ان النفس هي من آيات الله ، ولكنّها ليست من جوهر الله نفسه ، فيقول معارضا ابن سينا ، وشوقي :

آمنت ان النفس من آياته ايمان ندب عاقل متورّع
لكن على عكس المقول بكونها من منبع وقرينها من منبع (٢)

وامّا الشعراء عامة ، فيؤمنون ان النفس منشقة من النفس الكبرى او الروح الكبرى او الذات الالهية الكبرى ، وان نفس الانسان هي جزء منها ، وفي ذلك يقول النجفي :

فكل الوجود من النفس جزء لذلك فيها الوجود استقرّ
وفي كل صنع من النفس جزء سواء أفيه اختفى ام ظهر (٣)

وان الروح او النفس نفحة من الله ، من الله انبثقت ، ثم تجسّدت بعد امر ربّها وفي ذلك يقول نجيب يوسف المعلوف :

فعلتها الرحمان جل جلاله
فعنه ومنه ما به قد تحلت
وما النفس الا نفحة معنوية
فقال لها الرحمن كوني فكانت
فحلّت بهذا الجسم اعني تجسدت
وكانت له ابهى واجمل حلة (٤)

ويؤمن جبران ان النفس او الروح هي من ذات الله ، وان اله الالهة فصل "عن ذاته نفسا وابتدع فيها جمالا" (٥) ، وان النفس "حلقة ذهبية مفروطة من سلسلة استدارتها ، ولكنها لا تحيل ذهبها الى مادة اخرى بل تزيده طعانا" (٦) ، وان الله بنى "الاجسام هياكل للارواح ، فعلينا ان نحافظ على هذه الهياكل لتبقى قوية نظيفة لائقة بالالوهية التي تحل فيها" (٧) ، وان الالهة تقول عن الانسان "قد صنعنا مزمارا نسكب من قلبه الفارغ صوتنا الى العالم الصامت في جميع ارجائه" (٨) . والنفس لحن من الله ، وفيض منه ، وهي موجودة في كل مكان بوجود الله :

---

(١) احمد محفوظ ـ المقتطف مج ١٠٠ ج ٥ ص: ٤٨١
(٢) يوسف اسعد ـ المقتطف مج ٦٤ ج ٣ ص: ٢٦٤
(٣) احمد الصافي النجفي ـ الاغوار ـ ص: ٢٩
(٤) نجيب يوسف المعلوف ـ دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (لعيسى اسكندر معلوف) (بعبدا ، لبنان ، ١٩٠٨) ص: ٣٢٧
(٥) جبران خليل جبران ـ دمعة وابتسامة ص: ٢٨
(٦) و (٧) ـ جبران خليل جبران ـ كلمات ـ ص: ٩٢ و ٨٢
(٨) جبران خليل جبران ـ آلهة الارض (؟ سنة ؟) ص: ٢٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ايها نفسي ! انت لحن في قدر تصداه
وقعتك يد فنان خفي لا أراه
انت ريح ونيسم انت موج انت بحر
انت برق انت رعد انت ليل انت فجر
انت فيض من اله (١)

ويؤمن ميخائيل نعيمة في كلّية شاملة لا تتجزأ في علم الروح . وهي تمشي في كل جسد من الاجساد ، هذه هي الروح الازليّ الابدي الذي " هو روحكم وروحي وروح كل منظور وغير منظور في السماء وعلى الارض " (٢) .

ويرى الشعراء في الروح او النفس نشاطا ، وحركة مستمرّة ، حتى اذا حلّت في الجسد حثته على الحياة ، والرقي المستمرّ ، ورفعته الى المثل العليا . وهي ابدا قلقة قويّة ، وهي ابدا في اصطراع مع الجسد ، تجذبه الى جوهرها الاعلى ، وهو بدوره يجذبها الى معدنه الترابيّ . فالروح خالدة في عالم الازل ، والجسد فان يبلغ — بفضل صراعه الروحي — درجة الانسان الاعلى او السبرمان ، وهو الانسان القوي الخالي من الضعف والفساد ، ذلك ان من لزوم النفس بلوغ الكمال ، وتنمية الارادة حتى يصل الى الدرجة الانسانية العليا ، ولقد أثرت الفلسفة الاوربية والعلوم الحديثة في الفكر العربي ، وفي نظرته الى الانسان وقيمته الروحية ، فآمن الادب العربي الحديث بالانسان وبحيويته وكفاحه في سبيل ابراق الغيوم القاتمة ، وحلّ الالغاز المستعصية في الكون ، يقول نيتشه : " انا اريد ان اعلم الناس معنى وجودهم ، ذلك المعنى هو السبرمان — هو ابراق تلك الغيوم القاتمة " (٣) ، بذلك وهبت الروح او النفس الرقيّ والسموّ :

هبة الرقيّ وسوف ترقى دائما بتعزّز حتى دنوّ المصرع (٤)

فاذا شاء الانسان ان يكون عالما ، استطاع بواسطة نفسه الطموحة ان يبلغ من المعرفة ما يشاء :

ما في الوجود حقيقة غير النهى فاطمح بنفسك للذرى والهام
والنفس اما شئت كانت عالما يسع الدنى في طوله المترامي (٥)

ويسمو عمر تقي الدين الفاروقي بنفسه الى العلى ليدرك سرّ الكائنات ، فينشد :

سموت بنفسي العلى علّ ابصر وادرك سرّ الكائنات فيظهر
سموت بها عن كل ما قد يشينها فلما صفت ادركت ما كان يضمر (٦)

---

(١) ميخائيل نعيمة — همس الجفون ، ص: ٢٠ — ٢١
(٢) " " — الاوثان ، ص: ٦٤
(٣) نيتشه — المقتطف مج ٧٩ ج ٣ ص: ٢٩٤ (ترجمة يوسف حنّا)
(٤) يوسف اسعد — المقتطف مج ٦٤ ج ٣ ص: ٢٦٤
(٥) عبد الرحمن شكري — المقتطف مج ٩٥ ج ٣ ص: ٢٨٩
(٦) عمر تقي الدين الفاروقي — المناهج مج ١ ج ٢ ص: ٥٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والنفس ، في نظر احمد لطفي السيّد ، طاهرة ، تميل دوما الى الرقيّ ، والمثل العليا ، وهي " قابلة لأن تشفي من امراض الغضب والحقد والحسد ، وتصير ينبوعا غزيرا للمحبة ، تعرف كيف تحب العدو كما تحب الصديق " (١) ، والنفس تهدف دوما الى الكمال وهي تهبط على الارض لترفع الذين يحنّون الى المعالي :

وكذاك الارواح تهبط للارض ليكسى الكمال ذو استعداد (٢)

ويرى الزهاوي ان الانسان الاعلى هو الذي تتسع مداركه ، وتقوى ارادته ويسير نفسه ، ولا يخضع الى احد :

والسبرمان اذا تولد فهو من هذا وذاك في الدرايا وسع
والسبرمان مجهز بقوى لها تعنو الرقاب فليس منها فغرع
والسبرمان موفق في امره والسبرمان لغيره لا يخضع (٣)

وقد يتبرّم الشاعر بجموح روحه ، وطموحها الملحاح ، فهي لا ترضى ان تسكن جسده النحيل ، بل تروم الفضاء الواسع :

ايها الروح : كيف اطفي غليلك حرت والله ما الذي اصطفى لك !
وطموحا مناه هدّ كياني اتراني محاولا تذليلك ؟ (٤)

فكيف يحاول الشاعر ان يحدّ من رقيّ الروح ومن طموحها ؟ وكيف له ان يفعل ذلك وهي التي تتغذى دوما بالفنون والجمال ؟ :

وللارواح كالاجساد زاد به تنمو المشاعر والحلوم
فان الروح تغذوها الاغاني ويجلو همّها الصوت الرخيم
ويصقلها الجمال اذا رأته وتصدئها القبائح والهموم (٥)

ويتعب نسيب عريضة من نفسه ، لأنها تحمله عبئا ثقيلا :

يا نفس هل لك في الفصال فالجسم اعياه الوصال
حمّلته ثقل الجمال ورذلته لا تحفلين
يا ويح عيشي ! هل يطاق نزعات نفسي لا تلين (٦)

وفي اصطراع النفس مع الجسد منتهى الالم والشقاء ، يقول جبران مخاطبا نفسه :

" انت تسيرين نحو الابد بمسرعة
وهذا الجسد يخطو نحو الفناء ببطء
فلا انت تتمهلين ولا هو يسرع ... وهذا يا نفسي منتهى التعاسة " (٧)

---

(١) احمد لطفي السيّد — مجلة النبراس — مج ١ ج ٥ ص: ١٧٠
(٢) ضياء الدخيلي — المقتطف مج ١١٠ ج ١ ص: ١١٤
(٣) جميل الزهاوي — الاوشال ص: ٧٨
(٤) عمر بهاء الاميري — مجلة الكتاب مج ٨ ج ١٠ ص: ٦٢١
(٥) معروف الرصافي — ديوان الرصافي ص: ٢٠٥
(٦) نسيب عريضة — الارواح الحائرة ص: ٨٩
(٧) جبران خليل جبران — دمعة وابتسامة ص: ٥٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولكن في الالم لذة روحية ، فعلى النفس ان تسرع في سيرها الى الله ، غير مبالية بما يعترض الجسد من عذاب وشقاء ، لأن الطريق وعرة ، ومقر الله بعيد :

مقر الاله بعيد فسيرى
لكي تدركي الله قبل النشور
وجدّى ولا تسألي عن مصيرى
بعيشكي (١)

فالى اين تذهب الروح ؟ وما مصير النفس ؟ وقف الشاعر متأملا ، متسائلا عن ماهيّة الروح ومصدرها ، وعن ذهاب الروح ومصيرها ، فرآها نورا ، وقوة ورآها جمالا وازلا ، ورآها حركة في الجسد وحياة . وآمن ان الروح جزء من الروح الكبرى التي تشمل الوجود كله ، غير ان الشاعر يهمّه ان يعرف اين تذهب الروح ، اتعود الى اصلها ، وهي جزء من كلّ ، ونقطة صغيرة من الاوقيانوس الاكبر ؟ ...

ان الادب الحديث عامة ، يميل الى الايمان بالروح الكبرى ، ويؤمن برقيّ الانسان عن طريق تلك الروح القويّة الملهمة ، التي تقوده الى الكمال فيرجع الى منبعه واصله . هذه هي غاية الشاعر ، وقد بلغها بروحه . هذا هو هدف الشاعر ، الشوق الملحّ الى عالم الروح الكلي ، ليصبح عالما بكل شيء ، مدركا ما غمض عليه . وهذا هو الكمال بعينه : المضي الى حضن المحيط الاكبر :

ان المحيط اب لنا ، ومداه ، في هذا الوجود وليس في دنيا الورى
نمضي الى حضن المحيط اذا غدا عيش الثرى بددا او اندثر الثرى (٢)

ولكن بعض الادباء ، يعتقدون ان الارواح اذا بلغت حدّ الكمال تلاشت ، فلا خلود لها ، والبعض الآخر يقولون : ان الارواح تموت بموت الاجساد :

فذا يقول هي الارواح ان بلغت حدّ الكمال تلاشت وانقضى الخبر
وذا يقول هي الاجسام ان هجعت لم يبق في الروح تهويم ولا سمر (٣)

واما جبران فهو من المؤمنين ان الروح تستعلي خالدة اذا بلغت حدّ الكمال :

والجسم للروح رحم تستكنّ به حتى البلوغ فتستعلي وينغمر (٤)

وقد اسرف فريق آخر في اثبات خلود الروح ووجودها ، فقاموا في مصر يعملون باختباراتهم وتجاربهم ، ليتمكنوا من استحضار الارواح والتحدّث اليها ، فاحدثوا في العالم العربي ضجة لم تلبث ان خمدت بعد ان تركت دويا كبيرا في مقالاتهم العديدة ، ومحاولاتهم الخائبة ، وعلى رأس هؤلاء فريد وجدى ، وغيره كثيرون ، قال احمد محفوظ معترضا بهم :

يا نفس موطنك الخلود وانما هذا القدوم على رحيل مزمع
وأرى وسيطك ممعنا متعمقا بين المجامع يفترى او يدّعي (٥)

---

(١) نسيب عريضة ـ الارواح الحائرة ، ص: ٦٠
(٢) احمد زكي ابو شادى ـ اطياف الربيع ، ص: ٦٠
(٣) و (٤) جبران خليل جبران ـ المواكب (بيروت سنة ؟) ص: ٤٢ و ٤٣
(٥) احمد محفوظ ـ المقتطف مج ١٠٠ ج ٥/ ، ص: ٤٨٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال ايضا يوسف اسعد :

كم منفق جهدا على استحضارها فشلت وسائله وكم من مدّعي
لك بعدها طول البقاء فقد مضت كرها كما جاءت وما من مرجع (١)

ورغم هذا الفشل ، ما زال الشاعر يحنّ الى الرجوع الى اصله الى الله ، وما زالت روحه تتوق الى ان تتبخّر من جسده ، وما زالت نفسه ، تلك النفس المعذّبة ، التواقة الى المعرفة تحلم في السكينة بالعودة الى باريها ، سابحة في الفضاء ، خالدة حرّة :

طال شوقي الى التبخّر من جسمي حرّا تضيء حولي الدجون
. . . . . .
تحلم النفس في السكينة بالعودة يا ربّ والرجوع اليكا (٢)

ويقول آخرون :

يا جسم مالي بعد فيك ملذة ويشوق نفسي عن حماك رحيل
ذرني اطير الى العلاء فحسبي ذلا بدارك ماله تقليل
فهناك القى عزة وتنعما يبقى مع الادهار ليس يزول (٣)
. . . . .
سأرحل عن جسم انا منه كالشذا من الزهر يبقى بعد ان يذبل الغرس (٤)
. . . . .
ستخرج عن مضيق الجسم روحي وتلقى في الفضاء لها مجالا (٥)

هكذا تخرج الروح عن مضيقها وتمرح في ربى الخلد :

بنيّ الروح حين تطير تمرح في ربى الخلد
لها في الافق تعزية يثير كوامن الوجد
ستحيا الروح في الاخرى ويفنى الجسم في اللحد
. . . . .
بنيّ العصر مقياس به يتضح الحكم
مضت اوراقه عنه وكل منه يشتم
كذاك الروح تبقى بعد ما ينعدم الجسم (٥)

وفي الادب اللبناني عامة ، نحسّ ايمانا قويا بوجود الروح او النفس وخلودها ، كل شيء يتلاشى الا النفوس وللنفوس الخلود . وفي ذلك يقول الياس ابو شبكة :

---

(١) يوسف اسعد ، المقتطف مج ٦٤ ج ٣ ص: ٢٦٢ و ٢٦٣
(٢) عبد الرحمان الخميسي — مجلة الكتاب سنة ٣ ج ١ ص: ٣
(٣) رزق حداد — نفحات الرياض (نيويورك ، ١٩٤٥) ص: ١٣٤
(٤) ابو الفضل الوليد — رياحين الارواح (١٩٣١٠٤م) ص: ١٥٢
(٥) ج . ص . مجلة المقتبس مج ٢ ج ٢ ص: ١٥١
(٦) محمد رجب البيومي — الرسالة السنة الخامسة عشرة عدد : ٧٥٣ ص: ١٣٥٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كلّ شيء الا النفوس تلاشى دائبا مثلما تذوب الشموع
ان للنفس في الحياة خلودا ليس للنفس ميتة او نزوع (١)

وكذلك يخاطب نسيب عريضة النفس:

يا نفس مانت لك الخلود
ومصير جسمي للحود ... (٢)

ويرى جبران في الروح خلودا ، ومن يؤمن بزوال الروح وتلاشيها فهو احمق جاهل :

يا نفس ان قال الجهول الروح كالجسم تزول
وما يزول لا يعود
قولي له ان الزهور تمضي ولكن البذور
تبقى وذا كنه الوجود (٣)

ويرى جبران ان خلود الروح هو رجوعها الى الله ، حتى اذا التقت بنسيمات الموت " ترجع الى حيث كانت الى بحر المحبة والجمال ، الى الله " (٤) ، وقد شبّه الروح بأنين الناى الذى يبقى خالدا مدى الدهور :

اعطني الناى وغنّ فالغنا عزم النفوس
وأنين الناى يبقى بعد ان تفنى الشموس (٥)

ويؤمن جبران ان الروح ، بعد ان تفارق الجسد ، تهبط مرّة اخرى الى الارض ، لتتقمص في جسد مولود جديد : " وقد هبطت الى الارض ثانية تطلب جسدا تأوى اليه " (٦) .

وامّا نعيمة فانه يؤمن ان ارواح الوجود هي " قطرات انفصلت من بحر الوجود الاعظم ومهما تقادمت بها الغربة ، لا بدّ لها من العودة الى البحر الكبير ، الى حضن خالقها " (٧)، حرّة خالدة ، ويتمنى نعيمة ان يعاد جسده الى الطين ، وتطلق روحه من سجنها ، لتجوز حدود السمع والبصر ، ويدرك السرّ العظيم ، فينشد :

غدا اعيد بقايا الطين للطين
واطلق الروح من سجن التخامين
.....
غدا اجوز حدود السمع والبصر
فأدرك المبتدا المكنون في خبرى (٨)

---

(١) الياس ابو شبكة ـ القيثارة (بيروت ، ١٩٢٦م) ص: ١٠٩
(٢) نسيب عريضة ـ الارواح الحائرة ، ص:
(٣) جبران خليل جبران ـ البدائع والطرائف ، ص: ٢٠٦
(٤) " ـ دمعة وابتسامة ، ص: ١٠
(٥) " " " ـ المواكب ، ص: ٢٨
(٦) " " " ـ السابق (؟ ، ١٩٣٧) ص: ٤٥
(٧) ميخائيل نعيمة ـ زاد المعاد ـ ص: ١١٧
(٨) " ـ همس الجفون ، ص: ٩٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد فكّ التأمل العميق روح فوزى المعلوف من اسرها فطارت في الجوّ الى عالم الخلود ، لتحيا حرّة ، عزيزة ، فأنشـــد :

غير روحي فالشعر فك جفاحيها
فطارت في الجو فوق نسوره
تنتحي عالم الخلود لتحيـا
حرّة بين روضه وغديـــره (١)

غيـــر ان الزهاوى والرصافي ينفيان بقاء الروح او النفس بعد الجسد ، الم تنم الرّوح بنموّ الجسد ؟ فينبغي ان تموت بموته ، والرّوح لا تحسّ ولا تشعر بلا جســـد :

ان جسم المرء للروح التي فيه تقوت
فاذا ما مات جسـم المرء فالرّوح تموت (٢)

. . . .

واذا تصدع منك جسمك للردى يوما فروحك مثله تتصدّع (٣)

. . . .

لا حسّ عند النفس بعد زهوقها والنفس الّا مرة لا تزهق (٤)

وكذلـــك يقول الرصافي في زوال الروح :

لذلك كانت الارواح منـا بحيث تهي اذا وهيت الجسوم
ولست اظن ان الروح تبقى اذا محيت من الجسد الرسـوم
وربما يكون لها د وام ولكن غير شاعرة تـــدوم
وما هبطت من الخضراء لكن من الغبراء انبتها الحكيم (٥)

وقـــد يقف الشعراء موقف التساؤل في مصير الروح وخلودها ، تارة يشكون ، وتارة اخرى لا يعلمون ، اترجع الروح الى الارض مرة اخرى ؟ ام تفنى وليس لها مرجع ؟ :

هل ترجعين وقد فررت من الاذى ؟ والمرء ان وجد الاذى لم يرجع (٦)

وقـــد طال بالبيّومي الشكّ ، فاندفـــع يســـأل اباه عن مصـــير الـــروح ، وخلـــودها :

---

(١) فوزى المعلوف ـ على بساط الريح ، ص: ٥٥
(٢) جميل الزهـــاوى ـ رباعيـــات الزهـــاوى (بيـــروت ، ١٩٢٤م) ص: ٧
(٣) " " ـ الاوشال ، ص: ٧٨
(٤) المصدر نفسه ، ص: ٦٢
(٥) معروف الرصافي ـ ديوان الرصافي ، ص: ٢٠٤
(٦) احمد محفوظ ـ المقتطف ، مج ١١٠ ، ج ٥ ، ص: ٤٨٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ابي اين تصير الروح حين يضيق بي عمري ؟
اتفنى الروح كالجسم اذا غيبت في قبري ؟
سألت العقل ايضاحا فقال العقل لا يدري ؟

. . . . .

ابي لست أماري في وجود الروح بالدنيا
ولكن حينما نمضي ماتفنى الروح ام تحيا
شكوك جففت حلقي وجئتك انشد الريا (١)

ورغم ما رأيناه من انكار الزهاوي لبقاء الروح وخلودها ، فانه يستنجد بالسماء يسألها عن مصير الارواح بعد الموت :

ابيني يا سماء وخبرينا بما لم ندر دام لك العلاء
ولا زالت على مر الليالي نجومك يستضيء بها الفضاء
هل الارواح بعد الموت منا لها في جوك السامي بقاء ؟
ام الارواح تابعة جسوما لنا تبلى فيلحقها الفناء ؟ (٢)

افتفنى الروح مع الجسد ، ام تبقى الروح خالدة ؟ لم تفنى الروح ؟ اذن فما غاية الوجود ؟ ان المصاب اليم اذا كان مصير الروح كمصير الجسد ، ولو خيّر الزهاوي ان يترك احدهما ، لفضل ان يترك الجسد :

أأفقد جسمي وحده عند ميتتي ام الروح مثل الجسم يشمله الفقد ؟

. . . .

اذا كان روحي مثل جسمي يهلك فاني لا بكي في مصابي واضحك
ولو خيروني بين تركي لواحد فاني لجسمي دون روحي اترك (٣)

وكذلك يتساءل الرصافي ، ثم يرحّب بالموت ان كانت الروح ترقى الى الله ، وتسلم من ذل الارض وهوانه :

وهل بالموت نحن اذا خرجنا عن الاجساد نحوك مرتقونا ؟
فتبقى عندك الارواح منا تصان فلا ترى جنفا وهونا ؟
فأحبب بالمنون اذا واحبب بها ان كان سلمك المنونا (٤)

يتضح من هذا الشك في شعر الزهاوي والرصافي انهما لم يتوصّلا الى حقيقة يركنان اليها في خلود الروح ، ومصيرها ، فتارة يجزمان بفنائها مع الجسد ، وتارة يشكّان في ذلك فيتساءلان ، وهذا التساؤل صفة تلازم جميع الشعراء الذين يريدون ان يعرفوا ، والذين يتأملون بعمق .

ويقف ابو ماضي متأملا في الكون ، فيرى الغيوم تعبث حوله ، فيظنها الارواح الغابرة :

---

(١) محمد رجب البيومي ـ الرسالة السنة الخامسة عشرة عدد ٧٥٣ ص: ١٣٥٥
(٢) جميل الزهاوي ـ الكلم المنظوم (بيروت ، ١٣٢٧هـ) ص: ٣٦
(٣) ـ ـ مجلة الرسالة السنة الرابعة ، مج ١ عدد : ١٣١ ص: ٢٧
(٤) معروف الرصافي ـ ديوان الرصافي ص: ٣٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فقلت : اينهض من في القبور وفوقهم الترب والجندل ؟

ولكنّ الصدى يجيبه مقهقها ، ساخرا من جهله :

اجاب الصدى ضاحكا ساخرا الى كم تحاوركم تسأل ؟
من البحر تصعد هدى الغبوث وتهطل في البحر اد تهطل (١)

غير ان الشاعر لا يجزم جزما قاطعا ، فيظل في تساؤله ، حتى يسمع ان الروح مادة ، فيرتعد ، ويكفر من يقول بذلك ، فلو كانت الروح كما يقول الطبيعيون الماديون فأى قيمة لهذا الكون ؟ ومن هو مدبّر هذا العالم ، وخالق هذه الدنيا ؟ واى فنان مبدع ، عظيم ، زيّن هذا الفضا ، بمثل هذا الجمال الباهر ؟ :

وان كانت الارواح طينا مركبا من الحمض والكربون والكلس والتبر
او النفس كانت من جواهر الكسجين يخالطها الفوسفور كالملح في البحر
وان كان بعد الموت تفنى عناصرى ونفسي كعظمي تختفي في ثرى القبر
فما الكون الا من ظواهر فطرة نراها بعين الجسم والعقل لا يدرى
ولا كان في الكون العظيم مدبر يسوس بقانون يدوم مدى الدهر (٢)

وهكذا ظلّ الشاعر يبحث ويفتش ، تارة يؤمن ، وتارة اخرى يتساءل — : ما هي الروح ؟ اتفنى ام تخلد ؟ ... غير ان الشعراء عامة يميلون الى الايمان بالروح كقبس من الله ، منه انبثق ، واليه يعود ...

---

(١) ايليا ابو ماضي — الجداول ص: ٢١
(٢) الدكتور لويس صوبرى صابونجي — مجلة الاخلاق — السنة الرابعة ، عدد : ٧ ص: ١٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٣ — الحياة والوجـــود

لـــم يختلف شعراء القرن العشرين في موقفهم من الوجود وسرّه عن موقفهم مـن النفس والروح ، فهم ذاهلون ، حائرون ، يتألمون متسائلين علّهم يقعون على جـــواب يروى ظمأهم ، فيتحول شكهم الى يقيـــن .

ولقـــد رأينا ان شعراء العرب القدامى لم يسترسلوا في هذا التأمل الاليـــم ، ولم ينظموا ارضاء لرغبات نفوسهم المتعطشة الى المعرفة ، وضميرهم المعذّب في متاهـــات الوجود ، بل كانوا ينظمون ارضاء للخليفة او الامير او الحاكم ، على عكس الشاعر الحديـــث الذى يقـــول :

لا انظم الشعر ارجو به رضاء امير
بمدحة او رثـــاء تهدى لربّ السرير
حسبي اذا قلت شعرا ان يرتضيه ضميرى (١)

هـــذا هو انسان اليوم ، لقد استطاع بفضل عقله النيّر ، وادراكه العميق ، وتحرّر نفسه من السيطرة الخارجيّة ، ان يكتشف الكثير من اسرار الطبيعة ويستخدمها لراحته ، فتطورت الفلسفة الاوربيّة ، واصبحت حياتيّة ، تأبه بالحياة وقيمتها ، وبالانسان وعقله ، لقد غـــدا الانسان يسعى ليعرف نفسه بنفسه ، ويعرف وجوده ، وحياته وسرّهما ، وغايتهما ، حتى اذا دهمه الموت ، صرخ متألما ، متسائلا عن ذلك السرّ الغامض الذى استعصى على العقـــل البشرى حتى الآن ... لم خلق الانسان ؟ وما الغاية من خلقه ؟ وما هو الوجـــود ؟ وما علته ؟ ... لقد حاول الشاعر ان يحلّ هذا اللغز غير آبه لما قاله الانبياء القـــدامى ، واصبح هو نفسه النبي المتأمل ، فلم لا يسعى بعقله وروحه لحلّ ما غمض عليه ؟ ....

وهكذا كان لنا شعر ينضح بالافكار الفلسفية ، ويعتمد على الآراء العلمية الغربية ، التـــي تدفع الانسان بنفسه ، الى التجارب والاختبارات لمعرفة كنه الاشياء ، فاذا مشـــى فـــي الطريق رأى كائنات تولد ، واخرى تموت ، هذا يأخذ ، وذاك يعطي ، والكون — كما يقـــول توفيق الحكيم — كلّه " اناء واحد ، صنعته يد واحدة ، من عناصر متآلفة ، وهذا التآلـــف او التضامن انما هو وليد ذلك القانون " : الاخذ والعطاء " (٢) ، ولعلّ هذا القانـــون هو غاية الحيـــاة .

غيـــر ان غاية الحياة سرّ غامض ، وقد زعم بعض الناس ان الغاية هي الخلـــود ، ولكن هل رأى الانسان منذ كان الّا الفناء ، والّلحـــود ؟ :

زعموها الى الخلود تؤدى ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مود على تجاليـــد مود ى (٣)

---

(١) ابو القاسم الشابي — مجلة الرسالة ، السنة الثانية مج : ٢ عدد : ٧٨ ص: ٢١٥٠
(٢) توفيق الحكيم — تحت شمس الفكر (مصر ، ١٩٤٥م) ص: ٥٣ — ٥٤
(٣) عباس محمود العقاد — ديوان العقاد (مصر ، ١٩٢٨م) ص: ١٨٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحيـــاة في نظر الزهاوى نزاع وجهاد دائمان ، وهي سعادة وشقاء يسيطر فيها القوى على الضعيـــف :

ليس الحياة سوى نزاع دائم يا للضعيف به من الجبار (١)

. . . .

علم الذى درس الحياة كفاحص ان الحياة تنازع وجهاد
ان الحياة سعادة وشـــقاء يتعاقبان وضحكة وبكاء (٢)

وهو يراها وحدة تامّة ، قائمة بنفسها ليست هي الّا دائرة ماّلآتي فيها هو الماضي موالماضي آت ، وليس هنـــاك جديـــد :

ما ارى الايام بالاشياء الّا دائـــرات
كل آت هو مـــاض وكل ماض هو آتي (٣)

وكذلـــك يقول عبد اللطيف النشـــار :

انظر الى الكون الذى اسكنته تبصر قديما في رواء جديد
اجسامنا ونفوسنا وســـماتنا كانت آباء لنا وجـــدود
سبحان من جعل الحياة واختها تتبادلان ازمة الموجـــود (٤)

امّـــا جبران فيؤمن بالوجود والحياة وغايتهما ، انه يؤمن بالوجود كحلقة ليس لها نهاية ولا بداءة ، وايمانه هذا لا شكّ فيه ، فلا يتساءل ، ولا يحار ، بل يجـــزم في قـــوله: " اجل انك اذا اغمضت بصرك ، وفتحت بصيرتك رأيت بداءة الوجود ونهايته تلك النهاية التي تصير بدورها بداءة ، تلك البداية التي تتحول الى نهاية " (٥) ، ويؤمن بالعـــالم الآتي ، وبوحـــدته ، فيقـــول : " هناك في العالم الآتي ســـنرى جميع تموّجـــات شواعرنا ، واهتزازات قلوبنا ، وهناك ندرك كنه الوهيتنا التي نحتقـــرها الآن مدفونين بعوامـــل القنوط " (٦) . والحياة عند جبران هي الاختبار الروحي ، والوجود عنـــده هو المعرفة كلّها ، فيقـــول : " ان الحياة هي ما نختبـــره بأرواحنا ، والوجـــود كل الوجود هو ما نعرفه ، ونتحققه ، فنبتهج به ، او نتوجع لأجلـــه "(٧) ، والحيـــاة "عزم يرافق الشبيبة ، وجدّ يلاحق الكهولة ، وحكمة تتبع الشيخوخة " (٨) . امّـــا الغاية منها فهي الطموح الى المعرفة القصوى ، والوصول الى الانسان الاعلى بواسطة العلم والمعرفة لما وراء المحيط المحدود الذى يولد به الانســـان ، وفي ذلك يقـــول

---

(١) جميل الزهاوى ـ الاوشال ، ص: ٢٠
(٢) " " ـ رباعيات الزهاوى ، ص: ١٨٠ و ١٨١
(٣) المصدر نفسه ، ص: ١٤٣
(٤) عبد اللطيف النشار ـ مجلة الهلال ـ السنة السادسة والعشرون مج ٤ ، ص: ٣٣٤
(٥) جبران خليل جبران ـ البدائع والطرائف ، ص: ١٩٧
(٦) " " " ـ دمعة وابتسامة ، ص: ٣٨
(٧) " " " ـ كلمات ، ص: ٦١
(٨) " " " ـ العواصف ، ص: ٥٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

جبران على لسان البنفسجة المحتضرة : " انما القصد من الوجود الطموح الى ما وراء الوجود ... اموت وانا عالمة بما وراء المحيط المحدود الذى ولدت فيه ،وهذا هو القصد من الحياة " (١) ، وغاية الحياة في نظر جبران ايضا هي الحب والجمال والتمرّد والحق والحرية والفكر ، فاذا فقدها الانسان في حياته ، كانت حياته ناقصة، صحراء قاحلة . (٢)

ويؤمن نعيمة بوحدة الحياة ، فالحياة مصدرها واحد ، وجميع الخلق متماسكون بالمحبة التي هي الحق والجمال ، وان مرجع الحياة واحد : " فلا وضيع عنده ولا رفيع ، ولا سيد ومسود ، ولا غريب وقريب ، بل الكل وحدة متماسكة بسحر المحبة ، مسربلة بنور الحق ، مضمخة بعطر الجمال " (٣) ، فلا حاجة للانسان ان يقيم الفواصل، ويبني الحدود ، ويفصل الناس الى طبقات ، لأن " افكار الناس واحاسيسهم واحلامهم في اتصال ابدى رغم المسافات والعقبات ، ورغم الحدود والسدود " (٤) ، اما الكون فهو في نظره مدرسة ومعلم لتعليم الانسان ، وغاية الانسان ان يعرف نفسه ويعرف الكون ، وفي ذلك يقول : " انما الكون بكل ما فيه مدرسة الانسان . وانما كل ما في الكون معلم للانسان . وانما العمر من اوله الى آخره دراسة متواصلة " (٥) . فاذا عرف الانسان نفسه فانه يعرف كل شيء ، ومتى عرف كل شيء انعتق من قيود المادّة وحدود البشر ، " ومعرفته لنفسه تعني معرفته لله ، ومعرفته لله تعني معرفته لكل شيء ، ومعرفته لكل شيء تعني القدرة على كل شيء والانعتاق من كل قيد وحدّ "(٦) .

ويتمنّى الشاعر لو يعطى له ان يعرف في ساعة واحدة من ساعات عمره كل ما غمض يعرف الوجود كله في ماضيه وحاضره ، ومستقبله :

آه من لي بساعة تتقصّى ... كل معنى فيها وكل بيان
ساعة اجرح الحياة رحيقا ... ثم اظمى لسؤر ما في الدنان
ساعة اجتني الوجود وما كان وما قد يكون في الاكوان (٧)

فيجيبه صوت آخر : انك اعجز من ان تقرأ سفر الحياة ، وتفهم جميع صفحاته :

ما الحياة الدنيا سوى صفحات ... لك منها السطور لا الصفحات (٨)

ولكنّ الشاعر لم تتضح له سبل المعرفة بهذا الوضوح ، ولم يجد لألغاز هذا الوجود حلا يرضي نفسه ، ويقنع ضميره ، فراح ينشد مرسلا السؤال تلو السؤال :

---

(١) جبران خليل جبران ـ العواصف ص: ٢٣٣
(٢) المصدر نفسه ص: ٩٥
(٣) ميخائيل نعيمة ـ صوت العالم ص: ٢٨
(٤) ميخائيل نعيمة ـ [illegible] ـ صوت العالم ص: ١٧٠
(٥) المصدر نفسه ص: ٣٥
(٦) المصدر نفسه ص: ١٣٦
(٧) عبد الرحمان ﷺ شكرى ـ المقتطف مج ٩٥ ج ٣ ص: ٢٨٦
(٨) فليكس فارس ـ المقتطف مج ٩٣ ج ١ ،ص: ١٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وجودي ، لست لي ، فلمن تكون ؟ أسرّ انت عن نفسي مصون ؟
يصيب حقائق الاشياء علمي وتعصف بي حواليك الظنون
امن نفسي على نفسي غطاء ؟ فكيف انا ؟ اشكّ ام يقيـــن ؟

. . . . .

وجودي ما الوجود وما ورائي اذا عدت النوى ، ومضى الرّهين ؟

. . . .

سألت العلم كلّ فتى علـم فلا سمع افاد ، ولا ضنين
وما تغني الشروح ، وان تناهت اذا استعصت على العقل المتون
وما العقلاء الّا في ضلال اذا استولى على الدنيا الجنون

. . . . .

كبرت ، وما عرفت مكان نفسي فما ادري اشيخ ام جنين ؟ (١)

انه لا يدري ولا يعرف ، كل ما في الحياة لغز ، وما هو العقل الذي نحاول ان نحـــلّ بواسطته لغز الحياة ؟ انه لغز ايضا ، فكيف نحلّ الالغاز بالالغـــاز ؟

عبء لغز الحياة يا قلب ما أثقل ما نحمل عبئا عليك يحثى وثقلا
لغز عيش ولغز عقل وما اعجب لغزا يروم للغز حـــلا
كلما رمت بالمجاهل خبـرا زادك العيش بالمعالم جهـلا (٢)

ادن لم جئنـــا ؟ :

أللقوت ؟ وكم جرّ الى التهلكة القوت
فان تمتد اعمـــار فان الحتف موقوت

. . . .

أللنسل ؟ وما يبقى على ايامها احد
ولا ينفع في المقدار لا مال ولا ولد

. . . .

أللعلم ؟ وكم ضاعت على الايام اوراق
أللعلم ؟ وكم ضاقت بأهل العلم ارزاق

. . . .

لقد اثقلني الدهر باعباء وارزاء
فهل عند جلال الموت ما يحسم لي دائي ؟ (٣)

ويسأل يعقوب صرّوف عن سرّ الوجود علّه يجد مقالا ينفـــع :

---

(١) احمد محرم ــ المقتطف مج ٨١ ج ٥ ص: ٥٨٣ و ٥٨٤
(٢) عبد الرحمان شكرى ــ الرسالة السنة الثالثة مج ٢ عدد : ١١٩ ، ص: ١٦٦٦
(٣) سيّد ابرهيم ــ ابولو ــ مج ١ عدد ٨ ص: ٨٦٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وطلبت عن هذا الوجود وسرّه كشفا يزيح عن الوجود ستارا
فأجابني سرّ الوجود صحيفة طويت فقلت انشر امنت عثارا
فتشت عن سرّ الوجود وقصده وسألت عنه النطس والاحبارا
طالعت ما كتبوا فما من مقنع وكتبت ما قالوا فلست أُمارى

. . . . .

فعلى م هذا الخلق ان كان الفناء مصيره والناس فيه توارى ؟ (١)

فاجابه صوت خفي :

هذى الخلائق كلهن دقائق والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها الّا هباء او قذى منهارا (٢)

وقد يسيل دمع الشعراء من البحث المرهق عن قصد الوجود ، فينشد محمد الجبار متألما :

انا باحث والدمع يسأل صامتا ما القصد من هذا الوجود الفاني ؟
ولقد رأيت الكون متسعا سوى فوضى الحياة بعالم الانسان
فكفرت من الم على وصب الورى وتقاذفتني قفرة البهتان (٣)

وكذلك يتساءل :

سألتني اترى للكون قصد في الحياة ؟
ولماذا يهمس الفجر بصوت من سناه ؟
ولماذا يسبح النجم ويسرى في دجاه ؟
ولماذا يحلم الزهر برؤيا في شذاه ؟
ولماذا وسوس الليل نجاوى في الصلاة ؟
انه ذكرى تنادى عالما في الغيب تاه
لا ارى لي مذهبا وسط هاتيك الفلاه ... (٤)

وما الغاية من وراء هذا البحث ؟ فهل يجدى نفعا :

هل من وراء البحث الّا الرّدى ؟
فما ضياع العمر فيه شدى ؟
كما ذوى الورد وجفّ الندى ... (٥)

والعالم باق لم يتغير ، ولم يتبدل ، ونحن ما زلنا نمشي كما كنا ، لا نعرف شيئا ، تكتنفنا الشكوك ، ويحيط بنا الظلام ، فاسمع الى الاستاذ محمد الحليوى التونسي وهو يخاطب ابا العلاء :

---

(١) ؟ (يعقوب صرّوف) المقتطف مج ٣٥ ج ٦ ص: ١١٤٣ — ١١٤٤
(٢) المصدر نفسه ، مج ٣٥ ج ٦ ، ص: ١١٤٤
(٣) محمد الجبار — مجلة الاديب سنة ٨ ج ١ ، ص: ٤٤
(٤) محمد الجبار — مجلة الاديب سنة ٧ ج ٨ ص: ٢٣
(٥) امجد الطرابلسي — مجلة الرسالة — السنة الثامنة مج ١ عدد ٣٤٧ ص: ٣٤١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ابا العلاء وهل اجدتك موجدة ... علي الحياة وتجديف على القدر
الكون ما زال مثل العهد مشكلة ... وسره مضمر في مضمر العصر
والدهر يمشي ... فلا شكواك توقفه ... ولا سبابك يثنيه عن الوطر
نمشي على الدرب في جهل وفي عمه ... والليل في حلك والدرب في خطر (١)

ويزداد بالزهاوى الشك في كل شيء الا بوجوده ، فالكون لم يزل صدرا مطويا والعقل لم يزل يخبط في سبيله ، فيقـــول :

اني ليدهشلبي ... اعماق بعدك هذا
فيا طبيعة قولي ... ماذا وراءك ماذا ؟ (٢)

. . . .

شككت في كل شيء ... حولي وما انا احمق
وليس الا وجودى ... في الكون لي بمحقق (٣)

. . . .

وكذلك يقـــول :

لي شك بما احس ... حوالي اطبقا
ليس شيء لدى ... الا وجودى محققا

. . . .

نحن في موقف من الشك والشك قاتل
ليس يهدى الى اليقين هناك الدلائل (٤)

. . . .

ما زال هذا الكون صدرا طاويا ... في نفسه لحقيقة لم تعلم
والعقل يخبط لاكتشاف سبيله ... في جوف ليل للعماية مظلم (٥)

ويقف ايضا من الحياة موقفا لأدريا ، فيسأل عن كل شيء في الوجـــود :

ما انت مما انا ماذا ... وجودنا والحياة ؟
ما العقل والفكر ماذا ... الذكاء والملكات ؟
ماذا الزمان ومـــاذا ... من الزمان الفوات ؟
وما المكان وماذا ... من المكان الجهات ؟
ما الجسم مما الجذب ماذا ... السكون والحركـــات ؟ (٦)

---

(١) محمد الحليوى التونسي ـ الرسالة السنة الثانية مج ٢ عدد ٦٢ ص: ١٥٠٣
(٢) جميل الزهاوى ـ رباعيات الزهاوى ص: ١٥٨
(٣) المصدر نفسه ص: ١٦٠
(٤) المصدر نفسه ص: ١٦١
(٥) جميل الزهاوى ـ رباعيات الزهاوى ـ ص: ١٨٢
(٦) جميل الزهاوى ـ الاوشال ـ ص: ٣٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويتساءل الرصافي ايضا عن الوجود وغايته ، فيقول :

من اين ممن اين يا ابتدائي ... ثم الى اين يا انتهائي
أمن فناء الى وجود ... ومن وجود الى فناء ؟
ام من وجود له اختفاء ... الى وجود بلا اختفاء ؟
خرجت من ظلمة لأخرى ... فما امامي وما ورائي ؟ (١)

حتى اذا حاول الرصافي ان يطالع سفر العالم العلوى لعلّه يحظى بشيء يهدّئ ثورة نفسه المتطلعة الى المعرفة ، رجع خاسرا ، لا يعرف شيئا من معانيه :

كأن العالم العلوّى سفر ... نطالعه ولسنا مفصحينا
نحاول منه اعراب المعاني ... بتأويل فنرجع معجمينا
فيا ام النجوم وانت امّ ... ايولد فيك كالارض البنونا
وهل فيك الحياة لها وجود ... فيمكن للرّدى بك ان يكونا
وهل بك مثل هذى الارض ارض ... وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقا وخلقا ... هناك فيأكلون ويشربونا (٢)

وهكذا هو النجفي الذى يجول هنا وهناك ، يفتش هذا الوجود زاوية ، زاوية ، ليجد ما علّة الوجود ، فيرجع الى عزلته جاهلا كل شيء :

وكم سائح جائل في الوجود ... كمثل اسير من السجن فر
لقد كان يبحث عن نفسه ... وفي البد و ينشدها والحضر
فخاب وما ان رأى نفسه ... ولا ما اشتهت من منى او وطر
سعى ثم عاد الى عزلة ... ليدرك بالاعتزال الظفر (٣)

ويتعذب شاعر آخر في البحث عن سرّ الوجود ، ويقف موقف اللأدرّى الذى يجهل كل شيء :

من تراني ؟ لست ادرى اى معنى لوجودى
يا عذاب الفكر في سرّى وفي سرّ الليالي
حيرة طافت بافكارى ... واوهام خيالي
تتلقاني شكوك في اصولي ومآلي ...
غير اني ... لستادرى ما صوابي من ضلالي ! (٤)

وكذلك تحار نازك الملائكة في معنى الوجود ، وفي سرّ "الانا" ، حتى اذا رجعت الى صوابها لا تجد الّا التحرّق والتلاشي :

لقبوني "أنا" ولم يفهموني ما أنا ، ما وجودى المكفهرّ ؟
انا ماذا ؟ تحرّق ليس يرتاح ، وظلّ سرعان ما سيمرّ (٥)

---

(١) معروف الرصافي ـ ديوان الرصافي ، ص: ٢٣
(٢) المصدر ذاته ـ ص: ٣٥
(٣) احمد الصافي النجفي ـ مجلة الغرى السنة العاشرة عدد : ١٥ ص: ٧
(٤) حسين محمود البشبيشي ـ المقتطف مج : ١٠١ ج ١ ص: ٥١
(٥) نازك الملائكة ـ شظايا ورماد (بغداد ١٩٤٩) ص: ١٤٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ويقـــف الحوماني حائـرا ، جاهلا سرّ الحياة ، فيقـــول :

ارى الكون ضلت لديه العقول ... فكيف نحيط بمن كوّنه
ايدرك سرّ الحياة الجهـــول ... وقد حار في كنهها من عقل
لقد قصّر الفكر عن ان يحيـــط ... بكنه الحقيقـــة والعقل ضل (١)

وكذلك يقول حسين عرب :

لست تدرى مثلنا كيف المآب ... من حياة يتغشاها الضباب
ضل فيها العقل منهاج الصواب ... واستوى الماء لديها والسراب

ما الدجى ؟ ما النور ؟ ما سر الدنا ... ما امتداد العمر ؟ ما الموت السحيق ؟
ما النهى ؟ ما الفكر ؟ ما هذى المنى ؟ ... شقوة امست بها النفس تضـــيق (٢)

ويـــزداد الجهل والشك بالشعراء ، فيكثرون من التساؤل ، ويتمتعون في التأمل ، ولكنهم يجدون انفسهم في سجن قاتل ، محـــدود :

أسائل نفسي لماذا ؟ ... وامشي كأني على منحدر
سجين الزمان سجين المكان ... طليق الاماني عقيل الذكر (٣)

ومـــن يستطيع ان يعرف سرّ الوجود وسرّ الفناء ؟ ومن يستطيع ان يعرف غايتهما ؟ تقول مي متسائلة : " في كل ذرة من ذرات الكون ظمأ لارتواء خمرة الحياة ، وشوق مبرح للنموّ وبلوغ اكمل الحالات الممكنة ، فما غاية هذا الشوق ؟ ولماذا وجد ذلك الظمأ ، اذا كان الفناء كعبة الكمال ونهايته ؟ " (٤) ... اما الاسرار فتلفنا من كل صـــوب وعبثـــا يحاول الشاعر المتأمل ان يشفي ظمأه مهما اسرف في تساؤله والحاحه المتواصـــل :

وما الحياة ؟ ازهو
ورقة وافترار ؟
ام خفقة وانتفاض
ووثبة وانتشـــار ؟
افي الغصون حياة
وفي التراب اكفرار ؟
سألته ويحـــار !
وأسأل الشهب عمـا
بها وكيف تـــدار ؟
والريح من أين تجرى
وأين منها الفـــرار ؟
تعيش في مبهمات
فأين عزمك تهوى
من دوننا الاســـتار ؟ (٥)

---

(١) الحوماني ـ مجلة المناهج مج ٢ ج ٤ ص : ١١٣
(٢) حسين عرب ـ مجلة المنهل/عدد : ١٢ ص: ٥١٦
(٣) سليم حيدر ـ ديوان الآفاق (بيروت ١٩٤٦م) ص: ٦٩
(٤) مي زيادة ـ ظلمات واشعة (مصر ١٩٢٣م) ص: ٤٣
(٥) صلاح لبكي ـ سأم ـ (لبنان ١٩٤٩) ص: ٧٨ و ٧٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكذلك يقول ميشل فرح انه يجهل معنى الوجود ويجهل جهلا تاما ما علته وما حقيقته :

قد جهلنا معنى الوجود وسرّ الخلد ، ساءت جهالة الجهّال
ليس معنى الوجود لحما وعظما كل يوم نراهما في حـــال
ليس معنى الوجود نورا تراه خابيا خافيا بعيد اشـــتعال
ليس معنى هذا الوجود وجودا قد بدا لابسا ثياب الـــزوال (١)

ويقـــول ابرهيم الحوراني ان المستقبل مجهول ، وهو موضوع تأملاته وافكاره ، وما الغاية من المستقبل ؟ ولم يهتم الانسان في الكشف عن المستقبل وما يسرّعنا ؟ :

وبعد فالمستقبل المجهـــول موضوع افكاري وما اقول
والغاية العظمى اكتشاف ما استتر فيه لجذب النفع او دفع الضرر

. . . . .

فاشجع ولا تهتمّ جهدا بالغد ذاك اهتمام بالذى لم يوجـــد

. . . . .

يا أيها المستقبل المحجب في كشف ما حجّبت كلّ يرغـــب (٢)

ويمـــلّ الشاعر كثرة التسآل والالحاح ، وهو لا يجد جوابا على تساؤله ولا وصولا الى رغائبه ، فينزل الى دركات الجحيم ، ويصعد محلّقا في طيّات السديم ، ويتغلغل حتّى في حبّات التراب باحثا ، مفتشا ليعـــود خائبـــا :

فلقد مللت من السؤال وما ظفرت بما يروم
يا ليل ! ان رغائبـــي ليست هنالك في النعيم
وسألت عنها في الجحيم فلم اجدها في الجحيم
وطلبتها بين الغيوم فلم تكن بين الغيـــوم
وبحثت عنها في الثـــرى وعلى الثرى ليست تقيم
أرأيتها يا ليل ؟ ... اخبرنـــي ... وان كنت الكتـــوم (٣)

وكذلـــك يسأل نقولا فياض الليل عن ســـرّه :

يا فحمة الليل كم اضرمت بي نارا وهجت تحت رماد القلب اسرارا
وكم سدلت على عيني ستار دجى وما رفعت لعين الفكر اســـتارا ؟
هل انت يا ظلمات الكون شاعرة بحرّ انفاس صب فيك قد حـــارا ؟

. . . .

وما تقول لك الاحلام طائرة من الجفون اذا طيف الكرى طارا
واين تخفين نور السحابات على متن الاثير اذا ما عرشك انهارا ؟ (٤)

---

(١) ميشل فرح ـ المناهج ـ مج ١ مج ٣ ص: ١٠٢
(٢) ابراهيم الحوراني ـ المقتطف مج ٣٣ مج ٢ ص: ١٠٥
(٣) الياس فضل ـ العبرات الملتهبة (بوانسرايرس ، ١٩٣١م) ص: ١٥ و ١٦
(٤) نقولا فياض ـ ديوان رفيف الاقحوان (بيروت ، ١٩٥٠م) ص: ١٠٩ و ١١٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولعـــلّ قصيدة الطلاسم للشاعر المهجري ايليا ابي ماضي ، هي ابرز مظهر للشعراء اللادريين ، تساءل فيها بحرارة ومرارة عن مصدر هذا الانسان ومجيئه الى هذه الارض وعن معنى وجوده ومصيره ، فكان يصطدم ابدا بالاسرار والالغاز :

جئت لا اعلم من أين ولكني أتيت
ولقد ابصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى سائرا ان شئت هذا او أبيت
كيف جئت ؟ وكيف ابصرت طريقـي ؟
لست ادري (١)

. . . .

انني جئت وامضي ، وانا لا اعلم
أنا لغز ، وذهابي كمجيئي طلسم
والذى اوجد هذا اللغز لغز مبهم
لا تجادل . . . ذو الحجى من قال . . . اني
لست ادري (٢)

وكذلـــك يتساءل فوزى المعلوف حائـــرا :

كيف جئنا الدنيا ؟ ومن اين جئنا ؟
والى اى عالم سوف نفضـــي ؟
هل حيينا قبل الوجود ؟ وهل نبعث
بعد الردى ؟ وفي اىّ ارض ؟
هو كنه الحياة ما زال ســـرّا
كل حكم فيه يؤول لنقـــض !
كيف أجلو غدى ؟ وادرك أمسي ؟
وأنا حرت كيف يومي ســـيمضي ! (٣)

كل يجهل معنى الوجود وسرّه ، كل يتساءل عـن الحياة وعلّتها وغايتها ، كلّ يحاول ان يحلّ اسرار الكون والغازه ، ولكن لن يستطيع احد ان يدرك اوّل الحياة وآخرهـــا ، فلم التساؤل ؟ ولم العنـــاء ؟ :

خلّ الامور لربها لا شيء في الدنيا عرف
هيهات تدرك يا ءها ما زلت تجهل ما الألف (٤)

---

(١) ايليا ابو ماضي ـ الجداول ص: ٨٩
(٢) المصدر نفسه ص: ١١٢
(٣) فوزى المعلوف ـ ذكرى فوزى المعلوف (زحلة ، لبنان ، ١٩٣٢م) ص: ١٥
(٤) رشيد ايوب ـ الايوبيات (نيويورك ، ١٩١٦م) ص: ٨٣

(جامعة الملك المعلوف)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهكذا نرى ان التأمل في الوجود والحياة ، والبحث في علتهما وغايتهما ، قد شغل فكر الشعراء العرب في القرن العشرين ، وقد وقفوا عامة موقف اللأدريين الحيارى يشكّون وقلما آمنوا ايمانا راسخا لا يتزعزع . ولعلّ انسان اليوم لا يرضى ما جاء به القدامى من فلسفة وعلم ، بل يحاول ان يفسر ما يراه بنفسه ، ويبحث في كلّ ما يحسّ فهو يصبو دائما الى ادراك ما غمض ، وحلّ ما أشكل عليه ، عن طريق اختباراته الشخصية الروحية ، فان اخفق تألم وبكى ، وبات قلقا ، مضطربا ، لا يطمئن الى شيء ... فمن استطاع ان يصل الى اعماق الحياة منذ كانت الحياة ؟ ومن استطاع ان يصرع القضاء والقدر منذ كان القضاء والقدر ؟ ومن استطاع ان يحلّ لغز الفناء منذ كان الفناء والموت ؟ ... هذا ما يقلق الشاعر ، ويجعله لا يهدأ ، بل تراه باحثا ، سائلا ، يصعد طورا الى آفاق السماء ، وطورا يهوى الى اغوار الارض ، فيرجع مغمورا بالشك ، محاطا بالجهل ..

الجمال

يستند ادباؤنا العرب المحدثون في بحوثهم الغنيّة عن الجمال ، على اقوال الادباء الغربيين ، وعلى المذاهب الفلسفية الغربية ، ويبدو هذا التأثر بارزا واضحا .

وتنقسم فلسفة الجمال عند الغربيين ، الى مذهبين رئيسيين : الاوّل : مذهب يعتبر الجمال قائما في نفس الانسان المدرك ، وفي تعبيره الفنّي الرائع ، والثاني : مذهب يعتبر الجمال قائما على الاشياء نفسها ، الخارجة عن مدارك الانسان . فالاول هو الجمال المعنوي او الشعور الاستتيكي (Esthétique) الذي يبحث عن الخير والحق والمعرفة ، ويصل بصاحبه الى الكمال ، والثاني على اشراق الفكرة الروحية من خلال المادة ، على ان كلا المذهبين يستمدان جمالهما من الجمال المطلق وهما مظهران من مظاهر ذلك الجمال الكامل .

فالجمال ذاتي وموضوعيّ ، وهو هزّات وانفعالات تحرّك امشاعر الانسان الحسّاس ، فتعتريه رجفة الفرح والالم معا ، ويسمو مترفعا عن دنايا الارض ، مشاركا الله في الخلق والابداع بطريقته الفنّية الخاصة .

نلاحظ هنا ان الجمال اتخذ طريقا جديدا ، فلم يبق محصورا محدودا في عيون النساء ، وقدودهن ، كما فعل شعراء العرب القدامى عامة ، لكنّه اصبح شعاعا سماويا يهبط في النفوس " ويكسوها روعة ويجعلها سحرا وفتنة للناس " (١) .

والجمال عند شعراء القرن العشرين عامة هو الجمال السماوي الذي يصدر عن الجمال المطلق ، غير اننا لا ننسى ان هناك شعراء في هذا القرن مقلّدون ، يستوحون الشعر القديم في وصف جمال المرأة ، والتفنن في محاسنها ، او يستوحون جمال المرأة المعاصرة ، فيبذلون قصارى جهدهم في الوصف المادّي ، غير آبهين بالروح ، او بمصدر جمال آخر سوى المرأة ، ومهما يكن من الامر فهؤلاء الشعراء لا يرقون بشعرهم

---

(١) احمد شوقي — مجلة الهلال — سنة ٤٤ ج ١ ص: ٣٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن قيود المادة — ولا يرتفعون به شبرا عن الارض .

والجمال في رأى محمود حسن اسماعيل ، موجود في كل مكان ، وفي كل شيء ، وباستطاعة الانسان ان يحسه ويدركه ان اراد :

كل شيء جميل ان وعينا الجمال
فشجوب الاصيل شهوة للخيال
ووجوم النخيل مخدع للظلال
والدجى اذ يميل معبد للّيال

. . . .

وجمال الحياة
شاطيء لا نراه
سائق فيه الاله
كل سحر طواه (١)

ويقول ابو شبكه ان كل ما حولنا جميل :

السّما مصحف سنى والربى متحف غنيّ
والمسا والنسيم عرق جال فيه هوى نقيّ
والغصون التي تميل كلها السن تقول :
كل ما حولنا جميل (٢)

وكذلك يقول ابو ماضي في انتشار الجمال ، وفي سرّه المكنون :

عش للجمال تراه ههنا وهنا وعش له وهو سرّ جدّ مكنون
خير وافضل ممن لا حنين لهم الى الجمال وتمثيل من الطين (٣)

ويرى الدكتور منصور فهمي الجمال في التناسب والاوزان ، وقد تدركه النفس وتحسّه بواسطة العين " بعد خلوصه مما يعلق به من مادة واضواء ، وقد تسمعه النفس احيانا بواسطة الاذن دون ان يلبس احرفا او تكون له لغة تحفظ في المعجمات . . . . والجمال كالله وكالقوى الخفية من حيث انها لا تعرف بذواتها ، ولكنها تعرف بآثارها "(٤). وكذلك يقول المنفلوطي : " ان الجمال تناسب بين اجزاء الهيئات المركّبة ، سواء اكان ذلك في الماديات ام في المعقولات ، وفي الحقائق ام في الخيالات " (٥) ، غير ان احمد حسن الزيات لا يجد في الجمال تناسبا فحسب ، بل حرية مطلقة ، فيرى روعته "آتيه من ناحية الحرية في الطبيعة ، وحرية الطبيعة هي قانونها العام ، لا تقوم عظمتها الّا به ، ولا تتجلى فخامتها الّا فيه "(٦)

والجمال قوّة سماوية ، ويرى الرافعي في الجمال جاذبية قوية " فكأن الله حين يبدع الجميل يرسل في دمه مع الذرة الانسانية ذرة من مادة الكواكب هي سرّ عشقه وجاذبيته " (٧) ، والجمال في نظره ايضا ، هو قوة الاستمرار والتجديد فلو سئل

---

(١) محمود حسن اسماعيل — مجلة الكتاب السنة الثالثة مج ٣ ج ١ ص: ١٦١ ، ١٦٢
(٢) الياس ابو شبكة الى الابد (بيروت ١٩٤٤) ص: ٧٣
(٣) ايليا ابو ماضي — الخمائل ص: ٢٦
(٤) منصور فهمي — خطرات نفس (مصر ١٩٣٠م) ص: ٦٧
(٥) مصطفى لطفي المنفلوطي — النظرات ج ١ (مصر ١٩٢٥م) ص: ٢٣٨
(٦) احمد حسن الزيات — مجلة الرسالة السنة الثالثة مج ٣ عدد ١٢٧ ص: ١٩٦١
(٧) مصطفى صادق الرافعي — رسائل الاحزان — (مصر ١٩٢٤م) ص: ١٢٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الرافعي عن تسمية لعلم الجمال لقال : "علم تجديد النفس فان الجمال الذى لا يجدد بمعانيه حواسك وعواطفك ، ويعيدها غضة ، طرية ، كما فطرت من قبل ، لا يسمّى جميلا"(١).

والجمال هو تعبير نفسانيّ ، يرى الانسان ما حوله من كائنات ، فيحبّها لانّه يرى فيها بعض نواحي نفسه فيخلع عليها من ذكائه وشعوره وروحه " (٢) ، فمصدر الجمال هو النفس ، وليس الشيء الخارج عن النفس البشريّة ، فالله — في نظر بولس سلامة — "هو مصدر الجمال الاعلى ، وقد انعكس بعض هذا الجمال على النفس الانسانية التي شعّ بعضها على مظاهر الكون ، فاحبّها الانسان ، وقد احب الله ، واحب نفسه على غير علم منه " (٣) ، وكذلك يرى جبران الجمال في النفس الانسانية ، وهو "الفة بين الحزن والفرح ، هو ما تراه محجوبا وتعرفه مجهولا ، وتسمعه صامتا ، هو قوة تبتدئ في قدس اقداس ذاتك ، وتنتهي في ما وراء تخيّلاتك " (٤).

وقد يبلغ الجمال حدّ الكمال ، فيصبح جزءا من الازلية ، والجمال في نظر جبران " هو الابدية تنظر الى ذاتها في مرآة " (٥) ، والجمال الحقيقيّ هو الجمال الازليّ المطلق الكامل . والجمال المطلق هو "المشتمل على جمال العقل والروح ، على الايمان والرحمة والحب ، على القدرة والتمرد والالم ، على الخير والحق ، وما الى ذلك من تشعبات للجمال الواحد الكامل " (٦) . ويرى المقدسي ان الجمال المطلق هو الذى يستمدّ منه كل نبيّ ، وشاعر وحيهما ، كما يستمد منه الزهر شذاه ، والحسن نوره ، وهو جوهر لا يفنى مدى الادهار :

سرّ الجمال الازليّ الذى ... يرى ولكن ليس بالابصار

. . . .

منه استمدّ الوحي كل نبيّ ... منه جرت بدائع الاشعار
منه ينال الزهر نشر الشذا ... والحبّ بأس القاهر الجبار
الحسن نور خلف ستر غدا ... تشعّ منه سائر الانوار
وقلما يراه الّا الالى ... انظارهم تخترق الاستار
اغراضه تفنى ولكنما ... جوهره باق مدى الادهار (٧)

والجمال المطلق هذا ، يحرّر الانسان من الحدود والسدود ، فهو الوطن والدين وهو اللغة الانسانية ، يقول جبران : "ان الجمال العظيم يأسرني ، ولكن الجمال الاعظم يحررني من اسر ذاته " (٨) ، ويدعو الانسان الى اتخاذ الجمال دينا وربا ، فيقول : " اتخذوا الجمال دينا ، واتقوه ربا ، فهو الظاهر في كمال المخلوقات ، البادى في نتائج المعقولات " (٩).

---

(١) مصطفى صادق الرافعي — رسائل الاحزان (مصر ، ١٩٢٤م) ص: ١٢٦
(٢) بولس سلامة — حديث العشيّة (بيروت ، ١٩٥٠م) ص: ٣٣
(٣) — ، ص: ٣٤
(٤) جبران خليل جبران — دمعة وابتسامة ص: ٥٩
(٥) جبران خليل جبران — النبي ص: ٩٣
(٦) رشدى المعلوف — مجلة محاضرات الندوة اللبنانية السنة الاولى عدد ٦ ص: ٣٤٣
(٧) انيس المقدسي — مجلة الرياض السنة الثالثة عدد: ١ ص: ١٢ و ١٣
(٨) جبران خليل جبران — رمل وزبد ص: ٧١
(٩) جبران خليل جبران — دمعة وابتسامة ص: ٣٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رأينا مما تقدم ان شعراء العرب في القرن العشرين قد يميلون الى الايمان بالجمال المعنوي المجرّد الذي يسمو بالانسان الى المثل العليا ، ويرتفع به من اوهاق المادة ، وهم يؤمنون ان للنفس الانسانية قيمة كبيرة في ادراك الجمال والاحساس به ، والتعبير عنه ، بل يذهبون الى ابعد من هذا ويقولون ان النفس الانسانية هي قبس من الجمال المطلق الازلي الذي منه يستمدّ كل شيء ، والذي خصّ الانسان بنفس واعية مدركة ، تحسّ الجمال في ذاتها ، فتعبّر عنه بقطع فنّية خالدة .

الكمال

هل يستطيع الانسان ان يصبح في حياته الدنيا راقيا كاملا ؟ هل اعطي الانسان عقلا وارادة يسيران به في معارج الرقي والكمال ؟ لقد استطاع الانسان ان يكتشف بعض اسرار الطبيعة ، فسخّرها لخدمته ، وتطوّرت بذلك الفلسفة الغربية في نظرتها الى العقل والارادة ، فأكدت ان الانسان يستطيع ان يسعى في هذه الحياة الدنيا ليصبح كاملا بينما كان الاقدمون ومنهم الشعراء ، يعتقدون انهم بؤساء ، اشقياء في هذه الدنيا الزائلة ، ولا يرون مجالا للسعي فيها للوصول الى الكمال ، فالكمال هو من صفات الآخرة ، اما الشعراء المحدثون ، فلقد نظروا من هذه الناحية ايضا نظرة الاقدمين ، متأثرين بفلسفة النشوء والارتقاء ، والفلسفة النيتشية ، وقد تسرّبت اليهم عن طريق الغرب في اواخر القرن التاسع عشر ، وفي القرن العشرين .

ان تأثير هاتين الفلسفتين كان قويا حمل الانسان على ان يؤمن بقوّته العقلية ، الروحية المدركة ، واصبح للسوبرمان صفات خاصة تتجلّى " في صفاء روحانيته ... تسبح في جو جديد فسيح ، تعطره نسمات الحنين الى التسامح ، ويخفق فيه الضمير الانساني بهمسات هاتفة وتمجد الاخاء والمساواة ، وتغرى بالاندماج ، بل التلاشي طي تلافيف الروح الاعظم الذي ينتظم العالم والاكوان جميعا " (١) ، كما ان الكمال اصبح في نظر شعرائنا هدف الانسان الاوّل ، وهو " وحده محجة الحياة ، والاتحاد بالمبدع نهاية سبيلها " (٢) ، والانسان يسير نحو الكمال ، وفي نفسه الاكوان جميعا ، فيشعر انه هو الفضاء — على قول جبران — ولا حدّ له ، وهو البحر والنار والنور والارياح ، وهو السحب والجداول والاشجار في ربيعها وفي خريفها ، وهو الجبال في علوّها ، والوديان في انخفاضها ، وهو الحقول في خصبها وجدبها ،(٣) ، ويعتقد جبران ان الكمال هو السير المستمرّ الى الامام فيقول : "الامام هو الكمال " (٤) .

---

(١) ابراهيم مسلم — مجلة المقتطف ، مج ٨٢ ج ٥ ، ص: ٥٦٩
(٢) توفيق حسن نادر الشرتوني — من حيّ الى ميت (بيروت ١٩٣١) ص: ٣١
(٣) جبران خليل جبران — كلمات ص: ٤٧
(٤) المصدر نفسه ، ص: ١١١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فما هو طريق الكمال ؟ وكيف يصل اليه الانسان في حياته الدنيوية ؟ ان في الانسان عقلا نيرا ، وارادة قوية مدهشة ، فاذا اجتمعا في انسان ، جدّ في طلب العلى ، وطمع الى بلوغ الكمال ، مكافحا كل عثرة في طريق تقدّمه ورقيه ، ولا يرقى احد الّا بالجد والكدّ ، وبذل كلّ غال وثمين ، وفي ذلك يقول مصطفى الغلاييني :

ليس يرقى بغير جدّ وكد ... لاقتناص الكواكب الزهراء (١)

وكذلك يقول الزهاوي ان الانسان يرقى بعزمه وارادته ، وانه يستطيع ان يقهر الطبيعة والقدر معا :

بالعزم بالعزم يلقى المرء في عمل ... نجاحه انه بالعزم مقتدر
ان كان للمرء عزم في ارادته ... فلا الطبيعة تثنيه ولا القدر (٢)

ويرى عبد الرحمان شكري ان الحياة كفاح وجهاد وقوّة ، واقتحام المخاطر :

ربّ درّ فيه لا تأمله ... ان من غاص على الدرّ وجد
احمق الناس جهول خائف ... كلما لاح له برق ورعد (٣)

ويثور الياس قنصل على الذين يتكلون على القضاء والقدر ، فينادي بهم الى النهوض والكفاح في الحياة حتى ينالوا العلى :

حان ان تطلبوا الحياة وتمشوا ... بحبور الى العلا آملينا
قد كفاكم على القضاء اتكالا ... وكفاكم من الجمود قرونا (٤)

وقد استطاع الانسان بسعيه ان يكسب الارض بهجة وحبورا ، واستطاع بعزمه وقوة خلقه وابداعه ان يكسب الارض مجدا وخلودا ، وفي ذلك يقول الزهاوي :

الارض بالانسان قد تكسب ... بهجة وتنال سعدا
يا ارض لولا سعيه ... لم تدركي يا ارض مجدا
هو ذلك السرّ الذي ... افشاه مبدعه وابدى
لا تحتقره لكونه ... في اصله قد كان قردا (٥)

وقد استطاع الانسان بعقله ان يرقى الى الاعالي ، واستطاع بعلمه ومعرفته ان يبلغ ذروة الكمال ، فلم يتعلق الانسان بالتوافه والترّهات ، ويترك عظائم الامور ؟ وفي ذلك يقول عبد الرحمان شكري :

ما في الوجود حقيقة غير النهى ... فاطمع بنفسك للذرى والهام
والعيش ان لم تبغه لعظيمة ... فالعيش حلم طوارق الاعوام
والنفس اما شئت كانت عالما ... يسع الدنى في طوله المترامي (٦)

---

(١) مصطفى الغلاييني ـ مجلة النبراس مج ٢ ج ٧ ص: ٢٥٨
(٢) جميل الزهاوي ـ رباعيات الزهاوي ص: ٨٩
(٣) عبد الرحمان شكري ـ مجلة الرسالة السنة الثالثة مج ٢ عدد ١٣٠ ص: ٢١٠٨
(٤) الياس قنصل ـ ديوان الشهام (بوانس ايرس ١٩٣٥م) ص: ٢٨
(٥) جميل الزهاوي ـ الكلم المنظوم ـ ص: ١٠١
(٦) عبد الرحمان شكري ـ مجلة المقتطف مج ٩٥ ج ٣ ص: ٢٨٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والعقل هو خير هاد الى الرقي والتجديد المستمر ، وفي ذلك يقول جرجي شاهين عطية :

رائد العقل خيرهاد فسر في اثره فهو للفلاح يقود
انما الكون آخذ في الترقي والورى ينمو علمهم ويزيد
بين حال الاسلاف في الزمن الخالي وحال ابن العصر يون بعيد
فلنسر مثلما يسير سوانا نستفد مثلما الورى يستفيد
وليكن في العادات والفكر والآداب هذا الصلاح والتجديد (١)

ويدعو الغلاييني الناس الى طلب العلى عن طريق العقل والعلم ، فيخاطب ابناء الشرق :

يا بني الشرق اين انتم أفيقوا وادأبوا في طلابة العلياء
وانيروا بالعلم الليل عقول علنا نرتجي بصبص ضياء
اين اهل العقول اهل المضاء اين داعي النشاط والارتقاء ؟ (٢)

ويرى عبد الرحمان شكرى ان انسان الغرب استطاع ان يبلغ الشمس واقصى الكون بعقله النيّر ، واستطاع ان يخلق ويبدع ، ويسخّر لارادته ما شاء من الطبيعة الجبارة ، فيخاطبه متعجبا :

بربك ايها الانسان لم اصبحت انسانا
بعقل يبلغ الشمس واقصى الكون عرفانا
وجدت لكل ما كان من الاكوان ميزانا
كأنك خالق الخلقين اكوانا وازمانا
وسخرت الرياح مطية والبرق فرسانا (٣)

ويرى محمود ابو الوفا ان الكمال هو غاية الوجود ، وان الله اراد بنا ان نسود الاكوان ونبلغ اعلى درجات الرقي :

ليت شعرى ماذا اراد بنا الخالق الا سيادة الاكوان (٤)

لذلك ينبغي على الانسان ان يوفق في حياته بين الحياة السماويّة ، والحياة الارضية ، ويصل بين الروح والمادة ، ويربط — على حد تعبير منصور فهمي — " بسبب بين عالم الحقيقة الحاصلة ، وبين عالم الخيال الجميل المنتظر ، وليعلم ان الحياة الدنيا لا تطيب الّا اذا مزجت بحياة روحية عالية ، مداها المحبة بين الناس ، وعزمها السلام ، وافقها السماء " (٥) ، والانسان هو موحّد الاكوان ، لولاه لما كان للعالم وجود ولا كيان ولا معنى ، يقول ميخائيل نعيمة ان الانسان " بروحه عالم تجمعت فيه كل العوالم من منظورة وغير منظورة ، فهي لا وجود لها الّا فيه " (٦) ، وهو يؤمن بالانسان ايمانا قويا ،

---

(١) جرجي شاهين عطية — مجلة الحارس السنة السابعة ، ص: ٢٨٦
(٢) مصطفى الغلاييني — مجلة النبراس مج ٢ ج ٧ ، ص: ٢٥٧
(٣) عبد الرحمان شكرى — مجلة المقتطف مج ٨٧ ج ٤ ، ص: ٤١٨
(٤) محمود ابو الوفا — مجلة المقتطف مج ٧٦ ج ٢ ، ص: ١٧٣
(٥) منصور فهمي — خطرات نفس ص: ٨٧
(٦) ميخائيل نعيمة — زاد المعاد ص: ٣٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ويؤمن بقدرته على بلوغ الكمال المنشود ، ففي الانسان قدرة الهية " ولولا ايماني بالانسان لما كان ايماني بالله ... فعبثا ندعي الايمان بالله قبل ان ينكشف لنا الله في الانسان . وعبثا نحاول فهم الانسان قبل ان يتجلّى لنا الانسان في الله ... (فيصبح الانسان) خالقا بعين القدرة التي خلقته " (١) ، وليس الانسان في الحقيقة الّا علامة لوجود الآلهة ، وهي التي تثبت وجودها بوجود الانسان ، وتبلغ كمالها عن طريق الانسان ، وفي ذلك يقول جبران على لسان الآلهة : " ... بالانسان نطلب علامة لما بنا ، وبحياته ننشد كمال ذواتنا " (٢).

وهكذا نرى ان فكرة الايمان بالانسان ، وبقدرته العقلية ، وبرقيه المستمرّ تتجلّى في الشعر العربي في القرن العشرين بوضوح ، والشعر العربي الحديث مؤمن بالانسان وقيمته ، وهو يرى ان الكمال ينشد في الحياة الدنيا عن طريق الكفاح والكدّ والعزم ، وعن طريق العقل والعلم والمعرفة . والانسان قادر على ان يرتقي حتى يصل الى اعلى درجة درجة الكمال ، حيث يشارك الله مباشرة في الخلق والابداع ، فتمتلئ نفسه محبة وعدلا ، وخيرا وجمالا ، ويعبّر كل فرد عن عواطفه الراقية بطريقته الخاصة ، اما بالموسيقى او بالتصوير او النحت ، او بالأدب ، هذه نظرة الشعراء العرب المحدثون الى الكمال ، فلنر ما كانت نظرتهم الى الفنّ .

---

(١) ميخائيل نعيمة ـ البيادر ، ص: ٦١ و ٦٢
(٢) جبران خليل جبران ـ آلهة الارض ، ص: ٢٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفـــنّ

ان الشعر العربي القديم لم يحفل بالفنّ ، ولم يعرفه لأسباب عديدة قد تكون في عدم الايمان بالانسان ، وعدم قدرته على الخلق والابداع . وقد رأينا ان الشاعر العربي قديما كان مستسلما للقضاء والقدر ، وكان آلة في ايدي الخلفاء والامراء والولاة ، لذلك ذابت فرديته ، ولم يشعر بذاته ، واصبح مقيدا ، غير حرّ في انتاجه وعبقريته ، والفن — كما نعلم — شخصيّ ، حرّ بطبيعته ، لا يترعرع ولا يقوى الّا اذا تحرّر الانسان من كل قيد ، وآمن بذاته وفرديته ، وقدرته على الخلق والابـــداع .

وبفضـــل الاوضاع السياسيّة التي تألبت على العالم ، وبالتالي على البلدان العربيّة ، وبفضل تغلغل الفلسفة اليونانيّة والاوربية في الفكـــر العربيّ ، فقد استطاع شعراؤنا ان يتحرروا من نير الملوك والامراء والحكام ، وبالتالي استطاعوا ان يتحرروا من عبودية السماء فراحوا يكبّون على الخلق الغني ، يعملون ضمن نطاقهم الضيق ، منطلقين ، مؤمنين بنفوسهم ، ولقد كثر حديث الفنّ والفنانين في الأدب العربيّ الحديث ، واخذ بعض الادباء يكتبون متأثرين بالتيارات الفنيّة الاجنبيّة ، ومذاهبها العديدة ، فكتبوا ، في ماهية الفنّ ، وواجب الفنانين ، كما انهم اهتمّوا بغاية الفنّ ، فقال بعضهم ان للفن غاية ، يجب ان يسعى اليها ، وقال البعض الآخر بنظرية "الفن للفن" ... وقد اتفق جميعهم ان الفن هـــو الوعي الفردي ، والتعبير الانسانيّ السامي الصادر عن ذلك الوعي ، الذي يخفق له كـــل قلب ويهتز له كل حسّ ، والفن هو الحرية ، كما يقول توفيق الحكيم وهو "حرية الفكر والشعور ولا منبع له الّا فكر الفنان وقلبه ، وهما وحدهما الهاديان له . ان الوعي الفردي هو روح الفنّ"(١) .

والصـــدق من طبيعة الفن ، ولا يكون الفن جميلا الّا اذا كان صادقا ، وفي ذلك يقـول يوسف مراد : "الفن تعبير صادق ، ولا يكون التعبير الفني جميلا الّا اذا كان صادقـــا ، ولا يمكن تذوق الآية الفنية الجميلة الّا اذا كانت بطريقة ما تعبيرا عن جانب من جوانب انفسنا"(٢) . كما ان الحق ايضا هو من طبيعة الفنّ ، لأنه هو الانتاج الروحي السامي — على حدّ تعبيـــر عزيز احمد فهمي — "والفن لا يحيد عن الحقّ" (٣) ، وهو مورد النور والحب والصفاء ، وهـــو الايكة التي يعيش فيها بلبل القلب الغرد ، وهو دوحة تجتني منها ما تشاء ، وفي ذلـــك ينشد فؤاد كامـــل :

انما الفن مورد الحب والنور شهي الامواه ، عذب الورود
انما الفن ايكة عاش فيها بلبل القلب بين ناى وعـــود
انما الفن دوحة في ذراها كل ما شئت من جنى ، وورود (٤)

---

(١) توفيق الحكيم — تحت شمس الفكر ، ص: ٧٢
(٢) يوسف مراد — مجلة الكتاب — السنة الاولى : ج ٣ ، ج ١ ، ص: ١٠٣
(٣) عزيز احمد فهمي — مجلة الرسالة السنة السابعة ، مج ٢ عدد ٣٢٠ ، ص: ١٦٥٥
(٤) فواد كامل — مجلة الاديب السنة السابعة مج ٧ ، ص: ٣٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والفنّ طائر حرّ ، لا يتقيد ، وهو روح سام ، وفي ذلك يقول جبران : "الفن طائر حرّ يسبح محلقا عندما يشاء ، ويهبط الى الارض عندما يشاء . وليس من قوة في هذا العالم تستطيع تقييده او تغييره ... الفن روح سام ... وعلى الشرقيين ان يعرفوا هذه الحقيقة" (١) . وكذلك يقول ان الفنّ هو مظهر من "خفايا الفرد ، ومظاهر الطبيعة على ايجاد اشكال جديدة" (٢) .

ويـــــرى ميخائيل نعيمة في الفنّ محبة ، وايمانا يهدف الانسان الاسمى ، والفن هو في "حياة موحدة الغاية والارادة ، في قلبها ايمان لا يتزعزع يهدف الانســـان الاسمى ، وفي ايمانها محبة لا تنضب لكل من شاركها وما شاركها في ذلك الهدف"(٣)، لذلك يرى ان الفن الاكبر هو في نفس الانسان ، وفي حياته المثلى التي تتجلى فـــي اخلاقه العالية ، فالفن الاكبر هو "ضمير لا يسخّر ، وجبين لا يعفّر ، ولسان حليم شكور ، وقلب عفيف غفور ، وعيش لا تبصر القذى ، ويد لا تنزل الاذى ، وفكر يرى فـــي البلية عطية ، وخيال يربط الازلية بالابدية" (٤) ، ويرى ميشل فرح ايضا ان الفـــن الخالد هو في النفس ، ويبقى ببقاء النفس ، وان الله هو الذى صاغ ذلك الفن البديع :

هو باق بقاءها أترى النفس ... سوى فنّ خالد وجمال
كل ما في ذا الكون من مبدعات ... صاغه فنّ المبدع المتعالي (٥)

ويـــــرى الزيّات في الفن غاية ، وليس الفنّ للفنّ "كما يقول البعض ، وليس هو "ان تحاكي الطبيعة محاكاة الصدى ، وتمثلها تمثيل المرآة ، وتنقلها نقل الآلة ، تلك هي التبعية التي تنفي الذكاء ، والعبودية التي تسلب القوة ، انما عظمة الفن ان يفـــوق الطبيعة" (٦) ، ويطفو عليها الانسان من انسانيته لتهذيب النفوس ، وتلطيفها ، فيبعدها عن مزالق الشرّ ، ويرفعها الى جو يعبق بالفضيلة ، والخير والصلاح ، لأن غاية الفن الارتفاع بالروح الى المكان الاسمى" (٧) ، وغاية الفنّ ، حياة وحركة نحو مثل اعلى" (٨) ، وغاية الفنان أيضا ، [illegible] ان يسعى نحو المثل العليا لتطهّر الحياة من اقذارها ، وبث روح الجمال والقوة فيها ، وفرض مبادئ عليها وتذكيتها ، وايقاظ القوة النائمة" (٩) ، فالتمرّد والثورة ، والاحساس العميق ، والسير دوما الى محبة المثل العليا هي طبيعة الفنان وهدفه ، والفنان ينفذ دوما الى اعماق الاعماق ، ويشعر دوما بمحبة اكيدة لكل ما في الطبيعة والوجود ، فيحميها من الأذى ، ويحويها كلها في قلبه لتحيا خالدة ، وفي ذلك يقول مصطفى فروخ : "الفنان فـــي حالة تأمله العميق ، ينتهي الى محبة كل ذرة في هذا الوجود ، ومتى عشق واحب لا يمكن

---

(١) جبران خليل جبران ـ العواصف ص: ٢٠٠ ـ ٢٠١
(٢) جبران خليل جبران ـ كلمات ص: ٢٨
(٣) ميخائيل نعيمة ـ البيادر ص: ٧٠
(٤) ميخائيل نعيمة ـ المصدر نفسه ص: ٧٠
(٥) ميشل فرح ـ مجلة المناهج مج ١ ج ٣ ص: ١٠٣
(٦) احمد حسن الزيات ـ مجلة الرسالة السنة الثالثة مج ٢ عدد: ١٢٧ ص: ١٩٦٢
(٧) مصطفى فروخ ـ مجلة المورد الصافي مج ٢٠ ج ٢ ، ص: ١٢٣
(٨) لطفي حيدر ـ محاولات في فهم الادب (بيروت ١٩٤٣م) ص: ٢٢
(٩) محمود عزت موسى ـ مجلة الحديث السنة العاشرة عدد ١ ص: ٥١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ان يسيء الى اى ذرة (١) ، حينئذ يستطيع بقوته الروحية ، ومحبته المخلصة ، ان يخلق ويبدع ، ويمحو كل ظلمة من مطاويها ، ويشيع السلام في الاكوان ، فيغدو نصف اليه ، وفيه صفات الله ، وفي ذلك ينشد الياس قنصل :

وامحت كل صلمة من مطاويها ... ومد الولاء روح السّلام
وغدا المرء نصف رب ووشى ... بشعاع الكمال ثوب الرغام (٢)

ويرى الفنان الله في كل ذرة في الوجود ، دينه الحب والجمال :

يرى في الاصيل ، وفي الليل وفي بسمة الصباح الوليد
دينه الحب والجمال ، ودنياه مزيج من المنى والوعود (٣)

وقد خصّ الله الفنان ببراع يكشف به سرّ الوجود ، وبنور يرى فيه كل ذرة في الوجود ، فيرسم الصفاء ، وينبثق من أنامله روح الخلود ، وفي ذلك يقول ايضا فؤاد كامل مخاطبا الفنان :

يا صديقي الفنان ... هذا يراع خصه الله بعض سرّ الوجود
بارع يرسم الصفاء اذا مرّ على ثغر غادة أملود
وتراه يصور الريح والنوء ، ولمع السنا وقصف الرعود
هو ان رق صدحة للقمارى ... واذا ثار صرخة للاسود
تلك آثاره ... كأن عليها نفثة الروح من يمين الخلود ! (٤)

والفنان هو ظلّ الله على الارض ، وهو رسوله ، وهو شمس تعطي الدنيا حياة ، فلا فرق عنده بين بشع وجميل ، وبين ميت وحي ، وفي ذلك يخاطب عبد المعطي حجازي الفنان :

انت ظل الله على الارض افتنانا وابتداعا
انت وحي الشمس للروض حياة وشعاعا (٥)

والفنان يسبح دوما في دنيا الجمال ، فيرى كل شيء جميل ، ويعبّر عن احساسه بالوان جميلة من خياله الخصب ، وهو نبي ورسول ، يرى المعجزات ، ويفهم سرّها :

تمزج الحسّ بألوان الخيال ... مثلما يمزج بالماء الرحيق
انت للفن نبي مرسل ... شهدت عيناى منك المعجزات (٦)

---

(١) مصطفى فروخ — مجلة المورد الصافي ، مج ٢٠ مج ٢ ، ص: ١٢٣
(٢) الياس قنصل — مجلة الضاد ، السنة الثامنة ، عدد : ٦ ، ص: ٢٤٨
(٣) فواد كامل — مجلة الاديب — السنة السابعة ، مج : ٧ ، ص: ٣٩
(٤) المصدر نفسه ، ص: ٣٩
(٥) عبد المعطي حجازي — مجلة الرسالة ، السنة التاسعة ، مج ١ ، عدد : ٣٩٩ ، ص: ٢١٨
(٦) المصدر نفسه ، ص: ٢١٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والفنان صانع المعجزات ، ومانح الخلود ، وهو راهب يجوس الظلمات ليكشف اسرار لغز الوجود ، وهو عنوان الحيـــاة :

ايها الساهر والناس نيام تصنع الحسن وتلهو بالخلود
ايها الراهب في دير الظلام تكشف الاستار عن لغز الوجود

. . . .

انت عنوان الحيـــاة انت رمز للزمـــان (١)

والفنـــان هو جمال الارض ، وسحره ، وهو الحب والشوق ، ونور الشمس وحياتها ، وهـــو الذى يحيي الموتـــى :

ان يكن في الارض سحراً أو جمال فهو للفنان في الدنيا سناه
او يكن في الحب شوق أو ملال فهو للفنان للحب صداه
او يكن للشمس نور أو جلال فهو للفنان مشكاة الحياه

. . . . .

ذلك الفنان وحي منزل انطق الصامت بل احيا الموات (٢)

كـــل هذه الاقوال ، ومثلها كثير في الادب العربي الحديث ، تدل على ان رجال الفكـر وفي مقدّمتهم الشعراء والادباء ، اخذوا يبذلون نظرتهم القديمة الى الانسان ، واصبحوا مؤمنين بهذا الانسان وقيمته الروحية ، وانتاجه الفنّي ، وقدرته على الخلق والابـــداع ، كما اننا نجد ان هذا الادب متأثر بالتيارات الاجنبيّة تأثرا كبيرا لا سيّما وان الكثيرين من شعرائنا قد استطاعوا ان يتعمقوا في دراسة الآداب الغربية في لغاتها الاصلية ، وان يقرأوا ما ينتجه عباقرة الغرب في كل حقل من حقول الفنون . ونرى من ناحية ثانية ان شاعر اليوم اخذ يميل الى الثقافة العالمية ، غير مستنكف منها ولا وجل ، وقد بهرتـــه حضارة الغرب ، فشعر بنقص في ثقافة الشرق العربي ، التي لم تزل تستوحي ماضيـــها ، وتتغنى بقديمها ، فهبّ مكبا ، دارسا ، متخذا من الغرب اساتذة له ، غير ان هذا التأثر بالثقافة الغربية لم يكن شاملا ولم يعمّ البلدان العربية بنسبة واحدة ، ولم يزل بعض ادبائنا وشعرائنا يستوحون القديم ، وبذلك ظلوا جامدين ، مكبلين ، مقلدين ، لكنّا نرى نفـــرا من رجال العلم والادب والثقافة ، والفنّ ، يقفون الى جانب الغرب وعلومه وفنونه مسايرينه في نهضته الجديدة ، يستوحون اجمل ما فيها ، فساهموا بذلك ، الى حدّ بعيد في خلق روح فنّية جديدة ، خلقت فيهم انطلاقا من كل تقليد ، وتحرّرا من كلّ عبوديّـــة .

---

(١) عبد المعطي حجازى ـ مجلة الرسالة السنة التاسعة مج ١ عدد : ٣٩٩ ، ص: ٢١٨ و ٢١٩
(٢) المصدر نفسه ص: ٢١٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحقيقـــة

اصبـــح الانسان الحديث ، لا سيما الشاعر ، شغوفا بالبحث عن حقيقة كل ما في الوجود ، مشوقا الى ان يجد حقيقة نفسه وماحوله ، حتى اذا تأمّل ، رأى ان اللـــه هو الحقيقة الكبرى التي هي الكمال والجمال والمعرفة ، كما رآها من قبله الفلاسفة الشعراء والصوفيون القدماء ، وعندما تأمل في ظواهر الوجود والحياة ، احاطه الشك والحيـــرة واللأدريّة ، فقام يبحث عن حقيقتها ، واحدة فواحدة ، ولم يدر ان الحقيقة لا تتجزأ ، فهي في جوهرها واحدة غير انها اكتست الوانا كثيرة ، وظهرت بمظاهر عديدة . وقد اخـذ النجفي على الذين يبحثون عن الحقيقة في هذه الالوان دون الالتفات الى جوهرها الاسمى فقـــال :

ليس الحقائق ما اكتست لونا فما ... شغل الورى عنها سوى الالوان
تأبى السفور فما كشفت حجابها ... الا تبدت في حجاب ثانـــي (١)

والحقيقـــة جوهر ازليّ ، لا يتغيّر ، ولا يصيبه الفناء ، كلّ مظهر من مظاهر الطبيعة يتغيّر " فللبحر مدّ وجزر ، وللقمر نقص وكمال ، وللزمن صيف وشتاء ، اما الحقّ — يقول جبـــران — فلا يحول ولا يزول ولا يتغيّر " (٢) ، فهو صامد امام قوى الطبيعة الجبارة ، فلا الموت يدنيه ، ولا النكباء تزعزعه ويقول قيصر المعلوف ان حقيقة الانسان مثلا هو الجوهر الالهي الذي فيه ، والذي يرجع الى أصله ومصدره خالدا :

نبكي على عرض الانسان واعجبي ... والجوهر الحقّ ليس الموت يفنيه (٣)

وبعد ان يبحث عبد الرحمان شكرى عن الحقّ سائلا الرياح والسماء ، راجيا ان يجده ، مؤملا ان يحمل اليه الصباح وجها منه ، او تبيّن له الاحلام ضياء منـــه :

طالما خاب ناشد الحقّ لكن ... رجائي كما عهدت رجائي
قد يجيء الصباح منه بوجـــه ... طالما كان مضمرا في الخفاء
او تبيّن الاحلام منه ضيـــاء ... في سماء الآمال مثل ذكـــاء (٤)

ولمّـــا رجع الى نفسه رأى ان الحقيقة هي العقل ، الجوهر الالهي الواعي الذي خـــصّ الله به الانســـان :

ما في الوجود حقيقة غير النهى ... فاطمح بنفسك للذرى والهام (٥)

وكذلـــك يقول احمد محرّم على لسان الحق انه عقل من الله ، وروح منـــه :

---

(١) احمد صافي النجفي — مجلة المناهج مج ٢ ، ج ١ ، ص: ١١
(٢) جبران خليل جبران — العواصف ، ص: ٥١
(٣) قيصر المعلوف — ديوان تذكار المهاجر ، ج ١ (مطبعة [illegible] سان باولو ، ١٩٠٤م) ص: ١١٨
(٤) و (٥) عبد الرحمان شكرى — مجلة المقتطف مج ٩٥ ج ٣ ص: ٢٨٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

انا الحق فما يجدى ألي القوة سلطان
سلاحي حجة تغني عن السيف وبرهان
وروح من لدن رب له القدرة والشأن (١)

والحق قوّى ، هو والقوّة صنوان ، وفي ذلك يقول ايضا على لسان الحق مخاطبا القوّة :

يقول الناس خصمان وبعض القول بهتان
هم الجهّال ما عرفوا واهل الجهل عميان
أنا أنت وأنت أنا وذا للناس اعلان (٢)

وكذلك يقول ابو القاسم الشابي ان الحق قوة ، اذا سخط حطّم الاصنام ، وصعق الجبابرة :

هو الحق يبقى ساكنا فاذا طغى باعماقه السخط القصوف يدمدم
وينحط كالصخر الاصمّ اذا هوى على هام اصنام العتوّ فيحطم
اذا صعق الجبّار تحت قيوده ، سيعلم اوجاع الحياة ويفهم (٣)

ويرى حسن عارف ان الحق شعاع وهّاج ، يعمي الابصار ، غير انه ينير القلوب :

يا شعاع الحق فيما اذا الفرار اترى لقياك تعمي بصرى
انت للقلب ملاذ ومنار فأنر قلبي واطفئ نظرى (٤)

والحق مرّ مطلق ، وهو الصوت الصارخ ، والضوء الناقد ، والسهم الخارق ، وفي ذلك يقول ابرهيم علي :

الحق حرّ مطلق مهما تعثر في القيود
الحق صوت صائح في صرخة او في همود
مهما تعددت السدود عليه فاخترق السدود (٥)

ويرى ابو شادى ان الحقيقة مطلقة ، لا تحدّ ، وهي تأبى التعصب لاىّ مبدأ ، وهي مخلصة :

وأرى الحقيقة لا تحد فمالنا نهوى التعصب في غرور جان ؟
لم لا نفتش في شعور مخلص للحق دون تحزّب وهوان ؟ (٦)

وكذلك يقول جبران ان الحقيقة تأبى التعصب ، فاذا ارتفع الانسان عن كل الحدود فأنه يصير الها عاديا ، فاذا " ارتفعت عن التعصب لجنسك او بلادك او ذاتك ذراعا واحدة ، صرت بالحقيقة مثل ربّك " (٧) ، لان الحقيقة من طبيعتها ان تكون عاطفة انسانية عالمية ، ويقول ايضا : " هي تلك العاطفة الخفية التي تعلمنا ان نفرح بآمنا

---

(١) و (٢) احمد محرّم ـ مجلة المعتطف السنة ، مج ٨٣، ج ٤ ، ص: ٢٣ و ٢٤
(٣) ابو القاسم الشابي ـ مجلة الرسالة السنة الثانية مج ٢ عدد ٧٦ ص: ٢٠٦٧
(٤) حسن عارف ـ مجلة الرسالة السنة الثانية مج ٢ عدد: ٥٦ ص: ١٢٦٦
(٥) ابرهيم ابرهيم علي ـ مجلة الرسالة السنة الرابعة مج ١٠ ، عدد ١٣١ ص: ٢٨
(٦) احمد زكي ابو شادى ـ ديوان الشفق الباكي ص: ٨٣١
(٧) جبران خليل جبران ـ رمل وزبد ص: ٨١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتجعلنا نتمنى ذلك الفرح نفسه لجميع الناس (١) .

امّا صاحب الحقيقة فهو عالميّ ، حرّ ، مخلص ، جريء ، لا يهاب غضب الناس ولا يخاف حنقهم ، فيقول الزهاوي :

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا ... وادّعيها وان صاحوا وان جلبوا
اقولها غير هياب وان حنقوا ... وان اهانوا وان سبوا وان ثلبوا (٢)

وكذلك يقول مخاطبا الذين يؤمنون بالحقيقة :

قولوا الحقيقة جاهرين واعلنوا ... للناس ما فيها من الاسرار (٣)

وقد يشتاق الشعراء الى معرفة سرّ الحقيقة ، والى لمسها ورؤيتها ، سافرة ، عارية ، لأنهم يؤمنون بها ، ويعظّمونها ، وفي ذلك يقول بهجة الاثري :

عظمت بعد الله كل حقيقة ... زهراء لم تحجب وراء ستورها
أربي بن الدنيا بلوغ رحابها ... ومنال سدتها ولمس سريرها
آليت القاها بحرّ صحيفتي ... وأرودها في عريها وسفورها (٤)

وكذلك يشتاق نسيب عريضة الى لقيا الحقيقة ، فيخاطب نفسه ان تنطلق في الفضاء ، وتشق الحجاب ليبلغ الحقيقة الكبرى ، ويعرف جوهرها وسرّها :

ألا استيقظي يا اشعة نفسي ... ولو لدقيقة
وشقي حجاب دياجير رمسي ... لألقى الحقيقة
ففي جمود علي يثور
وشك بغير انتظام يدور (٥)

وقد يكفّر الناس الذين يفكّرون ويتأملون ، ويكفرون ايضا من يعتصم بالحقيقة ويبديها ، فاذا قال الناس بهذا فليعلم الجن والانس ان الزهاوي ملحد :

ان كان من يبدي الحقيقة ملحدا ... فليشهد الثقلان اني ملحد (٦)

ويقول الزهاوي ايضا :

اني افكر في الطبيعة فاحصا ... فيعد تفكيري من الالحاد
ما حيلتي وأنا امرؤ متنكر ... جم الشكوك الى الحقيقة صاد
انا في حياتي بالحقيقة مغرم ... وأقولها جهرا على الاشهاد (٧)

---

(١) جبران خليل جبران ـ الارواح المتمرّدة ص: ٩٨
(٢) جميل الزهاوي ـ رباعيات الزهاوي ـ ص: ١٠٣٥
(٣) جميل الزهاوي ـ الاوشال ، ص: ٦٥
(٤) محمد بهجة الاثري ـ مجلة الكتاب السنة الاولى مج ١ ، ص: ٤٤٣
(٥) نسيب عريضة ـ الارواح الحائرة ص: ٥٢
(٦) جميل الزهاوي ـ الاوشال ص: ٦٥
(٧) المصدر نفسه ص: ١٠٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكذلـــك يقول عبد الحميد الراضي :

اذا انا قلت الحقّ والحقّ غايتي فما ضرّني ظنّ الورى انه الكفر (١)

وقـــس على هذا كثيرا من الشعر العربي الحديث الذى يدلّ على ان شعراءنا اليـوم مؤمنون بها ، لأنها النور الذى يبدّد الظلام ، والسهم الذى يخرق الصخور والركـام ، والعقل الذى يفحم بالبرهان ، والقوة الجبارة التي تحطّم الاقزام ، وهي قبس مـــن الحقيقـــة الكبرى ، وروح ازليّة منها يتساوى امامها الغنيّ والفقيـــر وينحنـي قدّامها الملك والصعلـــوك .

---

(١) عبد الحميد الراضيّ ــ مجلة العرفان مج ٢٨ ، ج ٣ ، ص: ٢٦٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الانسانية

وتغنى الادب العربي الحديث بالانسانية على انها مجموعة الفضائل ، وهي خلاصة الخير والعدل والرحمة والمحبة ، ومثل ذلك من حميد الصفات . وهذه الانسانية هي ولا شك نتيجة للآراء الفلسفية التي انتشرت على ممر العصور في البيئات العربية المختلفة ، وبلغ الايمان بمقدرة الانسان ذروته بعد الثورة الفرنسية التي جاءت " تهدم اسوار العبودية ، بهدم جدران الباستيل ، وتعلن حقوق الانسان ، مستخلصة من بين الاخربة ، والدماء والجماجم كلمات ثلاثا ، هن شعار العالم الراقي : حرية — مساواة — اخاء " (١) ، وتفتقت عن هذه الثورة الانسانية الكبرى ، فلسفات عديدة ، دعت الى الايمان بالانسان ، وقدرته الروحية والعقلية ، فاهتم الادب بالانسان وشؤونه وحالاته ، واصبح ديمقراطيا بعد ان كان ارستقراطيا لا يعنى الا بشؤون الملوك والامراء واصبحت المدنية تقاس على ضوء الانسانية ، لأن الانسانية — على حد تعبير المقدسي — هي روح المدنية الصحيحة ، التي لا تميز نفسا عن نفس ، ولا جنسا عن جنس ، ولا لونا عن لون ، والتي لا تعرف الا المحبة والخدمة العمومية (٢) . والانسانية عالمة ، مدركة . فاذا حلت في قلب الانسان رفعته الى الدرجة الالوهية حيث المحبة والعدل والمساواة والمعرفة ، واذا فقدها نزلت به الى الدرجة الحيوانية حيث البغض والظلم والحقد والوحشية والجهل ، والمدنية الصحيحة عمادها العلم والمعرفة والرقي المستمر لكل فرد من أفرادها . وهذه لا تقوم الا بروحها ، ألا وهي الانسانية .

والانسانية مطلقة لا تعرف قوما ، ولا وطنا ، ولا جنسا ، ولا لونا ! وقد بلغت الانسانية ذروتها بعد الحربين العالميتين الاخيرتين ، وقامت الامم في جميع انحاء المعمور ، تنادي بحقوق الانسان ، اينما كان ، وتنشر بين الناس شرعة حقوق الانسان . كل هذا قد تغلغل في الفكر العربي الحديث ، ولقي صدى عميقا في قلوب الشعراء الواعية ، فهبوا يطلبون العدل والمساواة والحرية ، ويحثون قومهم على الاخاء والتعاون ، والتجرد من كل تقليد يضع ستارا بينهم وبين ابناء وطنهم من جهة ، والعلم كله من جهة اخرى ، ذلك ان الانسانية مطلقة تدعو الى الاخاء والعدل والمساواة والتعاون ، ولا تعرف حدا ولا فاصلا ، والعالم اليوم — على حد تعبير احمد امين — " في حاجة الى نبي جديد هو الانسانية " ، ويجب على المدنية ان تنفذ روحها " الى كل قلب حتى قلوب الساسة ورجال الحكم ، وان يتجه الناس الى رفع البؤس عن البائسين ، واعانة المصابين ، والاخذ بيد الضعفاء والمساكين من افراد وامم ... والشعور الحقيقي بالاخوة التامة ، من غير تفرقة بين جنس وجنس ، ولون ولون ، واقليم واقليم ، ومحاربة القسوة والظلم حيث يكون ، ونصرة العدل حيث يكون " (٣) ، فلو حوسب القوى على ظلمه ، ونال الضعيف بعض حقوقه ، لعم العالم الخير والسلام ، وتلاشى الشر في كل مكان . وفي ذلك يقول ابراهيم الدباغ :

آه لو حوسب القوى على البغي ... ونال الضعيف بعض الحقوق
لفتحنا للخير كل سبيل ... وسودنا في الشر كل طريق (٤)

---

(١) مي زيادة — كلمات واشارات (مصر ، ١٩٢٢م) ص: ٩٤—٩٥
(٢) انيس المقدسي — مجلة الكلية مج: ١٢ ، ج: ٤ ص: ٢٩٣
(٣) احمد امين — مجلة الكتاب مج: ٣ ج ١ ص: ٢٣
(٤) ابراهيم الدباغ — مجلة الكتاب السنة الثانية مج ٥ ص: ٦٧٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والانسانية المطلقة تدعو الى المساواة ، فلا تعتبر لونا دون لون ، ولا طبقة دون اخرى ، وهي عالمية ، لا تعترف بالقومية ، بل بالناس جميعا ، وفي ذلك يقول احمد امين : " الحياة هي قلب ينبض بالحب العام للانسانية كلها ، من غير اعتبار لطبقة ، ولا لون ، ولا حسب ونسب ، ولا غنى ولا جهل ، ولا ثقافة ، ... ان الانسانية لا تعترف بالقومية ولكن تعترف بالناس جميعا " (١) .

وقد انتشر المذهب الماسوني الذى يدعو الى الانسانية والعدل والمحبة فنادى به الشعراء وعظموه ، وفي ذلك يقول احمد زكي ابو شادى مخاطبا دعاة الانسانية :

بمثلكم يبلغ الماسون غايتهم ... من وحدة الناس في بر وتعليم

....

لها المساواة نبراس كأن بها ... سرّا من الشمس في وحي وتعميم (٢)

وان الناس جميعا متساوون ، وهم من مادة واحدة ، فلم الكبرياء والابتعاد ؟ وفي ذلك يقول مصطفى الغلاييني :

انما الناس يا قوى سواء ... كلّ خلق من طينها والماء
لا تدع شوكة التكبر تنمو ... فجميع الانام من حوّاء
خفف الوطأ فالبرايا عيال الله ... فارحم يرحمك من في السماء (٣)

والانسانية المطلقة تدعو دوما الى المساواة ، وهي عاطفة سامية " تربطنا بكل افراد النوع الانساني ، وتغرس في قلوبنا الحنان على الجميع ... ولا فرق فيها بالجنسيات والاديان ، لانها عاطفة الانسانية ، فعندها الاسود والابيض ، والاصفر والاحمر — سواء ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير ، والمتمدن والمتوحش ، والذكر والانثى ، لأن الكل ابناء الانسانية ... فهي تجمع العائلات والاوطان ، والممالك والعلوم ، والمذاهب تحت جناحها ، وتنشر عليهم سحائب الرضوان " (٤) ، وكذلك قال الشاعر :

لا فرق ما بين الخلائق رتبة ... فكبيرهم وصغيرهم سيان
ما دام كل عاملا ومتمما ... ما يستطيع بهمة وجنان (٥)

والانسانية جامعة الجامعات ، هي اقرب الجامعات الى قلب الانسان ، واعلقها بفؤاده ، والصقها بنفسه ، لانه يبكي لمصاب من لا يعرف وان كان ذلك المصاب تاريخا من التواريخ او اسطورة من الاساطير " (٦) ، وكذلك يقول ميخائيل نعيمة : " حتى اذا التأمت الانسانية ضاع فيها العربي والاعجمي ، واصبح الكل عائلة واحدة ، مسكنها الارض ، ومطمحها السماء " (٧) ، والانسانية الكبرى هي صوت حنون ، وحرية عادلة ، تهفو الى الانطلاق ، لا تعرف حدا ولا سدا ، " اشواقها الابدية الى الانفلات من الحدود ، والانعتاق من السدود ،

---

(١) احمد امين — مجلة الكتاب مج : ١ ص: ٢٣ و ٢٤
(٢) احمد زكي ابو شادى — الشفق الباكي ص: ٢٠٤ و ٢٠٥
(٣) مصطفى الغلاييني — مجلة النبراس: مج : ٢ مج : ٧ ، ص: ٢٥٨
(٤) حنا خباز — مجلة المباحث : السنة الاولى عدد : ٢٤ ، ص: ١١٤١
(٥) نجيب هواويني — النشرة السورية ، السنة الاولى عدد : ٨ ص: ٥
(٦) مصطفى المنفلوطي — النظرات ج : ٢ (مصر ١٩٣١م) ص: ٢٦٩
(٧) ميخائيل نعيمة — صوت العالم ص: ١١٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والحظوة بجمال الحرية التي لا تستعبد ، والعدل الذى لا يظلم " (١) .

والانسانية جوهر واحد ازلي ، لا يتغير ، وهي كما يقول المنفلوطي = تسير مع الانسان حيث سار في بره وبحره ، وسهله وحزنه ، وحياته وموته ، وتدور معه حيث دار في ايمانه وكفره ، وصلاحه وفساده ، واستقامته واعوجاجه ، لا يتغير لونها ، ولا يتحول ظلها ، وتستحيل مادتها ، ولا تبتلي جدتها على كر الليالي ومر الايام " (٢) ، ويقول ايضا : "ان الانسانية وحدة لا تكثر فيها ولا غيرية ... هذه الفروق التي توجد بين الناس في آرائهم ، ومذاهبهم ، ومواطن اقامتهم ، والوان اجسادهم ، واطوالهم ، واغراضهم ، انما هي اعتبارات ومصطلحات او مصادفات ، واتفاقات ، تعرض لجوهر الانسانية بعد تكوينه (٣) والانسانية جوهر الهي ازلي ، " برز في صور مختلفة في التاريخ البشرى ، وهو روح لا هيولية ، منبعث من عالم آخر ، فهو أثير الكائنات ، واصل الوجود بعد الله تعالى " (٤) ، وكذلك يقول جبران ان الانسانية روح ازلي خالد ، وانها " روح الالوهية على الارض ... تلك الالوهية السائرة بين الامم ، المتكلمة بالمحبة ، المشيرة الى سبل الحياة " (٥) ، ويقول نعيمة ان الانسانية جوهر باق ، تنضج بمعرفة الله والاتحاد به ، "انما الانسانية بذار الهي باق ببقاء الله ... ونضجها هو معرفة الله والاتحاد بالله " (٦) .

والانسانية روح مقدسة ، تؤاخي وتسالم ، وترفق وتقول حي الاخاء الذى " يزيح بيده الشفيفة الشوك عن الزهرة المتروكة ، ويرفع لها جدرانا تقيها ريح السموم الفتاك ... هو العين المحبة التي ينفذ نظرها الى اعماق النفس ، فترى اوجاعها . وهو الهمة العاملة لخير الجميع ، بثقة وسرور ، لانه القلب الرحيم الخافق مع قلب الانسانية الواجف ... هو اللين والرفق والسماح ، كما انه الحكم والحكمة والسلام " (٧) ، وتقول ايضا انه لو كان لها الف لسان لظلت تنادى بها الاخاء "حتى تجبر القلوب الكسيرة ، حتى تجف الدموع في العيون الباكية ، حتى يصير الذليل عزيزا ، حتى يختلط رنين الاجراس بنغمات المؤذنين ، فتصعد نحو الآفاق اصوات الحب الاخوى الدائم " (٨) ، ويرى ابو شبكة ان الاستقلال والحرية لا ينموان الا بالتآخي والمحبة الصحيحة :

الاستقلال ينمو بالتآخي ... ويضمر بالشقاق ويستدق
وبالحب الصحيح يشيد صرحا ... اساس خلوده شرف وصدق (٩)

ويرى جبران ان كل انسان اخ له ، لان كليهما من روح واحدة ، وكليهما يمشيان على طريق واحدة ، وكليهما يبحثان عن حقيقة واحدة ، فيقول : "انت اخي وكلانا ابن روح واحد قدوس كلي ، وانت مماثلي لاننا سجينا جسدين ، جبلا من طينة واحدة ، وانت رفيقي على طريق الحياة ، ومسعفي في ادراك كنه الحقيقة المستترة وراء الغيوم . انت انسان وقد

---

(١) ميخائيل نعيمة ـ صوت العالم ص: ٢٨
(٢) مصطفى المنفلوطي ـ النظرات مج : ٢ ص: ٢٦٦
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٦٧
(٤) حنا خباز ـ مجلة المباحث السنة الاولى عدد : ٢٤ ص: ١١٤٠
(٥) جبران خليل جبران ـ دمعة وابتسامة ص: ١٧٧
(٦) ميخائيل نعيمة ـ صوت العالم ص: ١٦٨ و ١٦٩
(٧) مي زيادة ـ المقتطف مج : ٥٢ ج : ٤ : ص: ٢٣٨
(٨) مي زيادة ـ كلمات واشارات ص: ١٠٣
(٩) الياس ابو شبكة ـ القيثارة ـ (بيروت ، ١٩٢٦م) ص: ١٣٤ و ١٣٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

احببتك واحبك يا أخي " (١) ، ويقول نجيب هواويني ان الانسانية هي المحبة والحنان اللذان ينتصران دوما على اقوى القوى ، والانسانية هوة تدك المظالم وتقوض العروش وتهدم الصخور :

مهج الورى لاتسترق بسطوة بل تسترق برقة وحنان
ويدك بستيل المظالم للثرى ويشيد عدلا راسخ الاركان (٢)

والانسانية قوة هائلة سلاحها المحبة والعدل والمساواة ، وقد جاء المسيح — على حد تعبير جبران " ، ليبث في فضاء هذا العالم روحا جديدة ، قوية ، تقوض قوائم العروش المرفوعة على الجماجم ، وتهدم القصور المتعالية فوق القبور ، وتسحق الاصنام المنصوبة على اجساد الضعفاء المساكين " (٣)

غير ان الشاعر يتشاءم عندما يتأمل في الحياة الواقعية اليومية ، فيرى الظلم والفقر والتخاذل ساريا في نفوس قومه ، ويرى الاضطراب سائدا في بلاده ، حيث لا عدل ولا مساواة ولا حرية ، فيتألم ، لكن هذه الحقيقة الواقعية لا توقفه عن تجريد الانسانية والايمان بها ايمانا كليا والمناداة بها ولو كلفه الكثير ، لأن الشاعر من طبيعته ان يبحث عن عالم كامل ، مرتكز على المثل العليا والانسانية الكبرى حيث العدل والمساواة والحرية والاخاء ، والشاعر يهوى الانسانية ، ويهوى السلام الذي تشيعه بين الناس ، فيقول حسين عرب :

فابعث النور على هذا الثرى يزدهي الروض وينجاب الظلام
ان هذي الارض ظمأى كالورى فمتى بالله يرويها السلام ؟ (٤)

كذلك يفرح الزهاوي بالعدل ، ويحزن لفراقه :

ويسعد نفسي ان ترى العدل حاضرا فان غاب عنها غاب عنها سعودها (٥)

اما الياس قنصل فهو يحب السلام والعدل ، ولكن يرى العدل مخذولا بين الناس ، فيتعذب ويأس ، غير انه يجد في الصبر خير عزاء :

أنا اهوى السلام والعدل لكن من يحب السلام يبل بخذل
لا تسلني عن الانام فمنهم كل دائي ، ومنهم كل حملي

. . . .

ايها الطائر المعذب صبرا فهو يجلو سحب الغيوم ويسلي
انت مثلي ، تشدو وحزننا سجينا لا توقع انشودة اليأس مثلي (٦)

. . . .

ويقول ايضا :

---

(١) جبران خليل جبران — دمعة وابتسامة ص: ١٧٨
(٢) نجيب هواويني — النشرة السورية ، السنة الاولى عدد : ٨ ص: ٥
(٣) جبران خليل جبران — العواصف ص: ٢٨ ، ٢٩
(٤) حسين عرب — مجلة المنهل مج : ٨ ، عدد : ١٢ ، ص: ٥١٧
(٥) جميل الزهاوي — الكلم المنظوم ص: ٣٧
(٦) الياس قنصل — للعبرات الملتهبة ص: ٤٠ و ٤١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فاصبر على جور الزمان ولا تهب سهم الجوى
فالصبر ينفث في الحياة الانشراح والابتهاج
لا تيأس ... فقد يروق البحر من بعد الهياج (١)

فأين العدل على الارض ؟ وأين الانسانية الكبيرة ؟ هل ينعم بالعدل كل انسان ؟ ولم لا يتخذ العالم الانسانية دينا له ؟ وهل يكفي ان يؤمن بها الشعراء ؟ فها هي اشجار الصفصاف تحيا بعدل ، والارض ملكها ... وهل يحيا العدل بين الناس؟ ومتى تصبح الارض كلها ملك جميع الناس ؟ :

فاذا الصفصاف القى فله فوق التراب
لا يقول السرو هذى بدعة ضد الكتاب
ان عدل الناس ثلج ان رأته الشمس ذاب (٢)

ويتأمل جبران في الانسان ، فيرى ان الضعيف الفقير الذى يسرق ليسدّ رمقه يذم ويحتقر ، اما القوى الغني الذى يسرق اموال شعبه ، فلا يستطيع الناس ، ان ينظروا اليه باحتقار ، بل يحنون رؤوسهم امامه لانه صاحب الحكم ، هذا هو الحكم الجائر والظلم المميت ، الذى يأمر بقتل من يقتل جسدا ، ويمرّ بقاتل الروح دون ان يدرى به احد :

فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل الخطرا
وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لا تدرى به البشر (٣)

وقد يتشاءم الشعراء من الحياة ومن البشر ، فيستعرضون شهداء الانسانية الذين ضحوا في سبيل حياة مثلى ، ثم مضوا دون ان تتحسّن الحياة ، ويرتقي البشر ، فيسأل عبد الرحمان شكرى : هل زال الشرّ عن الدنيا ؟ وهل زال الفقر والجهل والنفاق ؟ :

بربك هل مضى قدر بشرّ وخبث النفس هل اودى وزالا
وهل جفت دموع الناس طرا وهل بلغوا من العيش الكمالا
وذل الجوع هل قد زال عنهم وكان سوادهم هملا مذالا
وجهل يغتدى بالناس بهما يصرّفها يمينا او شمالا
أصار العيش عدلا واعتدالا وكان العيش مكرا او اغتيالا ؟ (٤)

غير ان الشعراء المفكرين يبحثون عن الداء المتأصل في جذور البشرية ويتساءلون عن الداء لاحياء الانسانية في العالم ، في كل قلب ، وجعلها دينا عالميا ، فيرون ان العالم اليوم مضطرب ، حائر ، يحتاج الى نبيّ جديد ، والنبي الجديد — في رأيهم — هو الانسانية التي تشيع في الدنيا العدل والمساواة والاخاء ، والتي تنشر

---

(١) الياس قنصل — العبرات الملتهبة ص: ٣
(٢) جبران خليل جبران — المواكب ص: ٢٥
(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٥
(٤) عبد الرحمان شكرى — مجلة الرسالة السنة الثالثة مج : ٢ عدد : ١٠٩ ص: ١٢٦٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

السلام ، والاطمئنان ليعيش كل فرد هادئا ، مطمئنا ، لا يخاف العوز ولا المرض . فاليد الانسانية ، هي يد الله المقدسة الازلية ، المطلقة ، التي تساوى بين جميع الاجناس والالوان والامم ، وهي التي تسعى دوما في سبيل خلق دنيا فضلى ومثل عليا ، يتمتع فيها كل بشرى ، وخير طريقة لبث روح الانسانية بين الناس ، هي بواسطة التربية في رأى أحمد أمين ، على ان تقلب أساليب التربية رأسا على عقب ، فيهتم المربون في تربية الروح والقلب ، ليس اليد فقط ، وفي اثارة حب الاخاء والمساواة ، ليس بين افراد الامة الواحدة فحسب ، لكن بين أفراد الناس جميعا (١) .

---

(١) أحمد أمين — مجلة الكتاب ، سنة ٣ ، ج : ١ ، ص : ٢٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا يهمنـــا هنا ان ندرس تطور الشعر القوميّ في الادب العربيّ ، ولكنني احب ان أسجل ظاهرة لأدبائنا تجعل منهم أدباء عالميين ألا وهي تجريدهم الوطنية من الحـــدود الضيقة ، والقيود الاقليمية حتى اصبحت عالمية ، طليقة لا تعرف الّا الحقّ والعدل ، وكانوا بهذه النظرة ادباء انسانيين حقيقيـــين .

ان الوطنية الصحيحة هي التي لا تقف بينك وبين محبة اوطان الآخرين ، والانســـان الامثل — في عرف قسطنطين زريق — هو الذى يشمل عالم الكون بأسره ، والبشر بكاملهم حتى يصبح ابن العالم (١) . ونحن نرى ان الرجل الامثل الذى يستطيع ان يشمل العالم كلـه ، باستطاعته ان يشمل الجزء الذى يعيش فيه ، دون تعصب لطائفة او جنس او لون ...

ويـــرى احمد أمين انه لا بدّ من قيام الوطن الانسانيّ الاكبر ، لأن العلم قد كسّـــر "الحدود بين الامم ، والغى المسافات بين اجزاء العالم ، وتبيّن كل جزء من العالم حاجته الى كل اجزاء العالم ، واصبح من المستحيل ان تعيش أمة بنفسها ولنفسها ، فوسائل النقـــل هي وسائل العالم ، والراديو صوت العالم ، وخيرات العالم للعالم ، وشرور العالم مصيبـــة العالم ، والمخترعات ملك العالم " (٢) ، ويقول جبران : ان الارض كلها وطني ، وجميـــع البشر مواطني " (٣) ، والانسان الابدى هو الانسان الذى يحنّ الى الانعتاق من القيـــود والسدود ، ويقول نعيمة عن ذلك الحنين انه "صوت العالم بأسره من الازل الى الابد" (٤) ، ويرى نعيمة ان الوطنية الانسانية الآن يجب ان تتحقق ، وان القومية العمياء يجب ان تنتحـــى جانبا من الطريق ، او أن تسير مبصرة مؤمنة مع قافلة الانسانية المؤمنة ، المبصرة الى هدفهـــا البعيد ، الا وهو توحيد قوى الانسان ، وتحريره من قيود الحدود لراحة كل قوم ولمجد النا س اينما كانوا ، ومن اى جنس كانوا " (٥) ، وبذلك يعيش كل فرد صادقا ، مخلصا للحياة ، مدركا واعيـــا ...

وهكـــذا نرى ان في الادب الحديث عامة نزعة لسعادة العالم بأسره دون تعصب الى وطن أو امة ، وهي عاطفة قوية عند الادباء ، تؤمن — على حدّ تعبير سلامة موسى — ان العالـــم هو الوطن الاهم ، وان الحب والغيرية ، لا العداء والانانية يجب ان يكونا اساس المعاملـــة والسياسة في المستقبل " (٦) ، ليعمّ السلام في العالم ، والطمأنينة في القلوب . امّا هـذه العاطفة ، الوطنية الكبرى فقد آمن بها المتصوفون القدامى عامة ، عن طريق مذهب الحلـــول غير ان هذه الفكرة الصوفية القديمة قد تعدّت فئة المتصوفين ، وتغلغلت في دم ادباء العالـــم اليوم عامة من غربيين وشرقيين ، وكان لها في ادبنا الحديث أثر ظاهر ، لا بأس بـــه .

---

(١) قسطنطين زريق — الوعي القومي (بيروت ، ١٩٤٠) ص: ٢٢١
(٢) احمد أمين — فيض الخاطر ج: ٣ (مصر ، ١٩٤٢م) ص: ١٣٤ و ١٣٥
(٣) جبران خليل جبران — دمعة وابتسامة ص: ٨٧
(٤) ميخائيل نعيمة — صوت العالم ص: ٢١
(٥) " " — الاوشان ص: ٤٨
(٦) سلامه موسى — مجلة الهلال مج: ٢٨ ج: ٥ ص: ٤١٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

السعادة

كان الشعراء القدامى عامة لا يرون السعادة في الحياة الدنيا ، بل في الآخرة ، فسعوا اليها معرضين عن الدنيا كل الاعراض . وقد رأى الفلاسفة والمفكرون القدماء ان السعادة هي في العلم والمعرفة ، كما ان الصوفيين القدماء رأوها في الفناء بالله والاتحاد به عن طريق التأمل العميق . اما الادب الحديث اليوم فانه يرى السعادة في الحياة الدنيا ، يراها في السعي والجدّ ، وقلما نسمع شاعرا يطلب السعادة في الآخرة ، الا اذا تشاءم وبلغ منه اليأس مبلغه . وقد أثر الفكر الاوربي بالفكر العربي الحديث ، فأصبح للانسان قيمة ، ولسعيه قدر ، واصبحت السعادة مطلب كل انسان في الحياة الدنيا ، واصبحت حقا يكتسبه كل انسان ، فالسعادة هي انسجام الفرد مع محيطه دون تنافر ، وهي العدل والانسانية جمعاء . والسعادة هي العلم ، وبلوغ الانسان الى الكمال الاعلى . وقد حسب البعض ان السعادة هي التمتع بالحياة المادية في الحياة الدنيا ، كما ان البعض الآخر حسبها في الحياة الروحية المثلى في الحياة الدنيا . وقد نراها نسبيّة ، غير انها شعور نفسي داخلي مطمئن ، تدفع صاحبها الى الايمان بالحياة ، ومثلها العليا .

لقد بذل الشعراء المحدثون جهودا جبارة في التفتيش عن السعادة ، فتارة يراها الواحد منهم في الثراء والجاه ، وتارة اخرى يراها في الحب :

فتشت عنك فقيل حمقاء الهوى ... فرجعت محسورا بقلبي الاحمق

غير انه ينسج الخيوط ليرتقي اليها :

اني نسجت لك الخيوط لعلني ... أدنو الى سبب اليك وارتقي (١)

ولكنه يرجع خاسرا ، ويكسّر انواله التي نسج عليها آماله ، حتى اذا هدأ واقتنع رآها في القناعة :

أنا بالقناعة سيّد لسعادتي ... فاذا جشعت فانني العبد الشقي (٢)

ويسأل ايليا ابو ماضي عن السعادة ، ويفتش عنها كلّ مكان :

المحتها في صورة ما شهدتها ... في حالة أرأيتها في موضع
أني لذو نفس تهيم وأنها ... لجميلة فوق الجمال الابدع (٣)

ثم يسأل عنها الفجر ، والدجى ، والبحر ، ويدخل القصور :

" فاذا الذى في القصر مثلي حائر ... واذا الذى في القفر مثلي لا يعي (٤)

---

(١) محمد عبد الغني حسن ـ مجلة المقتطف مج : ٩٦ ج : ٥ ص: ٥١٧
(٢) " " " ـ المقتطف مج : ٩٦ ج : ٥ ص: ٥١٧
(٣) ايليا ابو ماضي ـ الجداول ص: ٥
(٤) المصدر نفسه ـ ص: ٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقيـــل له ان يتورّع ، ويتزهد ، لأن السعادة في الزهد والورع ، فوأد أفراحه وطلق مناه ، لكنه لم يجدها ... وبعد ان قطع عمره في البحث عنها ، ادركه المشيب ، فبكى ، وعندما رأى دموعه ، أدرك ان السعادة هي شعور في داخل الانسان وفي نفسه ، فقـــال :

عصر الأسى روحي فسالت ادمعا ... فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمت حين العلم لا يجدى الفتى ... ان التي ضيعتها كانت معـي ! (١)

وفـــي نظر جبران ، تبدأ السعادة في النفس ، وتنبثق من النفس ، " قل هي السعادة تبتدئ في قدس اقداس النفس ، ولا تأتي من الخارج " (٢) ، وقد وضع الله في القلـــوب بذور السعادة لتنمو وتترعرع ، وتغمر الشعور كلّه ، فالسعيد هو السعيد في روحه ، هو الذى يحيا حياة روحيّة راقية ، وهو كما يقول الريحاني " الذى جعل فكره مرآة للطبيعة .... السعيد من عاش حياة فكرية روحية حسية شعرية ، لا حياة ارضية مادية محضة ، هذا هو الرجل الغني بالعقل والروح " (٣) ، والسعادة هي في سعي الروح او النفس لغرضها ، وهـــي الطريق الى ذلك الغرض او الغاية ، وهي لذة الجهد الذى يبذله الانسان في ذلـــك الطريق ، وفي ذلك يقول أحمد أمين : " انما يسعد الانسان باستخدام قواه وملكـــاته ، لبلوغ غايته ، فاذا بلغها تفتحت له غايات جديدة ، وبذل فيها جهودا جديدة ، وظهـــر في اثناء الطريق صعوبات استخرجت اقصى الجهد في التغلب عليها ، فشعر بلذة الجهـــد ، ولذة الغلبة ولذة اعتداده بشخصيته واستخدامه ملكاته ، واستكماله نفسه ، اكثر من لذتـــه بالغاية نفسها " (٤) ، أما الزهاوى فيجد سعادته في ارضاء نفسه ، وفي بلوغها غايتهـــا وابتعادها عن الاذى :

ان السعادة في ان ... تنال نفسي مناها
وان تكون بمنأى ... عمن يريد أذاها (٥)

ويـــرى ابو شادى السعادة في الخير والسعي في سبيله ، ولأجله لا لأجل الغاية والزهو :

يبنون لا قصد زهو ... ولا لأجل الاشادة
لكن ولوعا بخيـــر ... فالخير اصل السعادة (٦)

ويخبرنـــا عباس محمود العقاد ان نظرته الى السعادة تطوّرت بتطوّر ادراكه ، وقد حسبهـــا في الشباب ، وفي النسيان ، فطلب السلافة والغناء ... وقد رآها في المغامـــرات والاخطار ، فكره الامن والسلام . ثم حسب ان التعب والسعي هما سعادة العظام حتى " تكاملت عواطف النفس ، فتاقـــت الى نصيبها من المجاوبة الناضجة والمقابلة المســـتوفاة ، وايقنت ان السعادة مشهود لا يرى بعينين اثنتين ، بل بأربع اعين ، وعاطفة لا يحســـها قلب واحد بل قلبان متفقـــان :

---

(١) ايليا ابو ماضي ـ الجداول ص: ٨
(٢) جبران خليل جبران ـ دمعة وابتسامة ص: ٩٧
(٣) امين الريحاني ـ الريحانيات ج: ١ (بيروت ١٩٢٢م) ص: ١٣٧
(٤) احمد امين ـ فيض الخاطر ج: ٣ (القاهرة ١٩٤٢م) ص: ٩٤
(٥) جميل الزهاوى ـ رباعيات الزهاوى ص: ١٥٥
(٦) احمد زكي ابو شادى ـ الشفق الباكي ص: ٣٠٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ان السعادة لن تـــراها في الحياة بمقلتين
خلقت لاربع اعين تخلو بها ولمهجتين
لك مقلتان ومهجة اترى السعادة شطرتين (١)

ويتبـــع وجيه محيي الدين طريقة ابي ماضي في البحث عن السعادة ، فيبحث عنها فـــي المرأة ، وفي الشراب ، ثم يلج الكهوف والصحارى ، والقصور ولكنه لا يجدها . وبعـــد ان يبلغ المشيب ، وأضاع عمره سدى ، نادى نفسه ان تغتنم لذات الحياة الدنيـــا :

نفسي اغنمي المنى ان الحياة لثانيه
هيا اشربي الكأس ولا تبقي بها من باقيه
للعمر شكل واحـــد يخفيه لون آنيه
هذى الحياة لغمرة وكذا الحياة الثانيه (٢)

وكذلـــك يدعو رفيق فاخورى الى اللذة في الحياة الدنيا لانّها في نظره ســـعادة :

اليك عني انما سعادتي في لذتي
ايتها النفس خذى الحكمة عن قلبي النقي
يلهمك ما أخطأه قدما ضلال المنطـــق (٣)

ويفتـــش انيس المقدسي عن السعادة ، فيركب متن الاثير ، ويبحث عنها في زوايا الطبيعة ، ويدخل منازل الامـــوات ، ثم يلتقي بالمعرّى البصير ، فيسأله عن السعادة ، فيشير اليـــه المعرّى الى النور ، الى الحب الاعلـــى :

الى الحبّ المطلّ من الاعالي الى روح الوجود الى النعيم (٤)

امّـــا اذا ملّ الانسان من الحياة ، فليذهب الى الغاب وحيدا هلّه يجد السعادة في انفراده واعتزالـــه :

فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم وما بنوا لنظام العيش او رسموا
واجعل حياتك دوحا مزهرا نضرا في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم (٥)

ويـــرى جبران ان حياة الغاب البعيدة عن الناس حياة سعيدة :

ليس في الغاب رجـــاء لا ولا فيه الملـــل
كيف يرجو الغاب جزءا وعلى الكل حصـــل (٦)

---

(١) عباس محمود العقاد ـ مجلة الرسالة السنة التاسعة عدد : ٤٣١ ص: ١٢٢٣
(٢) وجيه محيي الدين ـ مجلة المكشوف السنة الثالثة عدد : ١١٥ ص: ١٢
(٣) رفيق فاخورى ـ مجلة الهلال مج : ٤٢ ج : ٤ ص: ٤١١
(٤) انيس المقدسي ـ المورد الصافي مج : ١٠ ج : ٤ ص: ٣٣٥
(٥) ابو القاسم الشابي ـ مجلة ابولو مج : ١ عدد : ٨ : ص: ٨٦٨
(٦) جبران خليل جبران ـ المواكب ص: ٤١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكذلك يرى الشاعر القروى ان السعادة في العزلة والوحدة :

في حمى الوحدة بين الماء والظلّ الظليل
ساعة العزلة فيها كل ما النفس تروم
من بقاء دائم بعد بقاء لا يدوم (١)

اما علي الناصر فقد رأى ان الناس قد جاهدوا وأسرفوا في التفتيش عن السعادة ، فذهب سعيهم سدى ، فالسعادة في نظره وهم ، كل انسان يخلقها كما يشاء :

قد سعوا جهدهم وما وجدوك
انهم من خيالهم خلقوك ... (٢)

ويرى جبران ايضا ان السعادة شبح ، غير موجود ، وان الانسان يشتاق الى المنيع الصعب ، حتى اذا وصل اليه ملّه ، وشعر نحوه بفتور وشقاء :

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يرجى فان صار جسما ملّه البشر
كالنهر يركض نحو السهل مكتدحا حتى اذا جاءه يبطي ويعتكر
لم يسعد الناس الّا في تشوّقهم الى المنيع فان صاروا به فتروا (٣)

وقد يتعب الشاعر من الحياة ، ويتمنّى الرقدة الاخيرة ، ففيها سعادته الكبرى وسروره ، وفي ذلك ينشد الشاعر القروى :

وسروري بعده افضل من هذا السرور
رونق العمر شباب وجمال وغرام
وهي تعطي لي جميعا بعد تقويض الخيام
عندما يصبح هذا الطين بالنوم زهور (٤)

وهكذا نرى ان الشعر العربي الحديث عامة يرى السعادة كامنة في النفس او الروح ، وهي شعور مدرك ، تدفع الروح المتعطشة الى البحث المستمرّ والى المعرفة . وهي تأمل عميق في أسرار الطبيعة والانسان ، وجهد متواصل في السيطرة على مصاعب الحياة . ويرى الشعر العربي الحديث ان السعادة موجودة في الحياة الدنيا ، يستطيع كل فرد ان يكتسبها بكده وجهده ، كما انّها حق كل انسان ، وهي ترضي الضمير وتطمئن الروح ..

---

(١) القروى ـ مجلة الهلال مج : ٢٩ ج : ١ ص: ٥١
(٢) علي الناصر ـ جريدة الشام السنة ١٩٣٢ عدد : ٤٢ ص: ٩
(٣) جبران خليل جبران ـ المواكب ص: ٤١
(٤) القروى ـ مجلة الهلال مج : ٢٩ ج : ١ ص: ٥١

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحـــــبّ

رأينـــا ان الحب لم يتجرد في الشعر العربي القديم الّا عند الفئة القليلة المتصوفة التي جعلته دينا لها ، ورأت فيه القوة الالهية المطلقة التي ترفع الانسان الى الله ليتّحد به، ويصبح عالما ، عارفا ، محبا لكل كائن . وعرف الشعر العربي القديم الحب العذري المقيد ، والذي لم يخل من الاخلاص والصدق والتفاني . واما اكثر الحب في الشعر العربي القديم فكان محصورا بالمرأة ، ولم يلتفت الى الصفات الروحية المذكورة ، غير ان الشعر العربي الحديث عامة يهتمّ بدراسة الحب وتجريده ، وتعزيز روحانيته والوهيته ، مناديا باطلاقه ، وشيوعه بين كل فرد من افراد العالم ، يقول جبـــران :

" والحب في الروح لا في الجسم نعرفه كالخمر للوحي لا للسكر ينعصر (١)

هكـــذا ارتفع معنى الحب في نظر الشعراء ، واصبحوا لا يحبون لغاية بل للحب نفسه :

احب للحبّ لا أبغي به غرضا لو كان يرحم احشائي واجفاني
أنا الغريب بروحي بين من جعلوا للحبّ معنى وضيعا غير روحاني (٢)

وقـــد اصبح الحب قبلة الشاعر ، وعزاءه ، به يحيا للوجود جميعا ، لا لفرد معيّن ، وفي ذلك يقول ابو شادي في الحب والســـلام :

كلاهما قبلتي وراحتي بل عزائي
كلاهما منتهى جهدي ومعنى رجائي
فلست احيا لفرد بل للوجود ازائي (٣)

ويصلي الشاعر مبتهلا الى الله ان يطهر فؤاده بالحب ، حتى يستطيع ان يبدد الجهل والظلمـــات :

يا الهي طهّر فؤادي بالحب وخلّص به من الاثم عقلي
يا الهي ان الجهالة تشقيني فبدّد بنور حبّك جهلي
يا الهي هب لي المحبة ابصر في سناها حقيقة الكون حولي
يا الهي وانفض غشاوة عينيّ وقرب من ظلك السمح ظلّي (٤)

ويتمنّى الشاعر ان يشمل الارض سلطان الحبّ ، لانه خير حاكم ، يحمل اسمى عقيـــدة :

لكن غاية احلامي ــ وان بعدت ان يشمل الارض باسم الحب سلطان
عقيدة لست ادري كيف يصغرها من يدعي انه سام وانســـان (٥)

---

(١) جبران خليل جبران ــ المواكب ص: ٤٠
(٢) فواد بليبل ــ الرسالة السنة الثامنة عدد : ٣٨٥ ص: ١٧١٨
(٣) احمد زكي ابو شادي ــ الشفق الباكي ص: ٨٣١ و ٨٣٢
(٤) عبد الرحمن الخميسي ــ مجلة الكتاب مصر : ٣ مج : ١ ص: ١٢٠
(٥) احمد زكي ابو شادي ــ اطياف الربيع ، ص: ١٥٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ويقدّم الشاعر الحب لمبغضيه لقاء بغضهم ، فهو انساني كبير ، يشعر برسالته المقدّسة التي غايتها الحـــب :

قدّمت حبي لمبغضيا
لقاء ما قد جنوا عليا
فكان حظي من مبغضيا
ان عاد حبي بغضا أليا (١)

وكـــذلك يرى محمد الجبار ان الحب هو رسالة الشاعر القدسيّة ، فالحب هو القوة الالهية التي تحدو بالانســـان الى البحث عن خفايا الكـــون :

أنا عاشق بحرا خفيا لا يرى قلبي له شط ... فأين الثاني
أنا عاشق افقا بعيدا غامضا بحر السنى فيه بلا شطآن
الحب جرّدني فصرت حقيقة تصغي لقلب الكون في امعان
احببت اعدائي بعطف لاهف وسموت عن حقد وعن اضغان
ما الحب خلوا من رسالة شاعر قدسية لرعاية الاوطـــان (٢)

وهـــذا الحب الذى يقدسه الشعراء هو دينهم ، أراد الله ان يبعثه رسولا اليهم :

انت يا ربّ الذى اوجدت فينا الشاعرينا
وجعلت الحب للشاعر في دنياه دينا (٣)

وبأيمان عميق بهذا الدين ، الذى هو دين الحب ، يحبّ الشاعر بقلبه الكبير ، كل الكائنات كما لو كانت كائنا واحـــدا :

لقد احببتكم كثيرا وفوق الكثير
قد احببتكم جميعا كما لو كنتم واحدا (٤)

والحـــب وحده هو الكفيل بسيادة الرّخاء والهناء والسعادة بين الناس ، الحب وحده يعمل على اشاعة النظام والتعاون بين الناس ، وهو يزيل من بينهم آفات الحقد والحســـد قال أحمد أمين : " لو ساد الحب ، لاحترمت الاراء ، أو من بحرية الفكر ... ولو ساد الحب لعم التعليم ، وعممت المستشفيات الشعبية ، وعممت المنتزهات العامة ، وحورب البؤس قبل ان يشجع الترف " (٥) ، ~~ويقول احد الحكماء ... ان الحب ... تعمل بها ... من الجمع والحقد والبغض ... كل وسيلة تعمل بها المخلوق~~ (٦) وبالحب يستطيع الانسان ان يعرف نفسه ، وبالتالي يعرف الله وحقيقته :

ان نفسا لم يشرق الحب فيها هي نفس لم تدر ما معناها
أنا بالحب قد وصلت الى نفسي وبالحبّ قد عرفت اللـــه (٧)

---

(١) ميخائيل نعيمة ـ همس الجفون ، ص: ٥٩
(٢) محمد الجبار ـ الاديب ، السنة الثامنة ، ج ١ ص: ٤٤
(٣) محمد عبده غانم ـ ازهار الاشعار (جمع ونقل أرثور جون اربرى ( ) لندن ، ١٩٥٠) ص:
(٤) جبران خليل جبران ـ السابق ، ص: ٦٦
(٥) احمد امين ـ فيض الخاطر ج: ٢ (القاهرة ، ١٩٤٠م) ص: ٣٣
~~(٦) ... ...~~
(٧) ايليا ابو ماضي ـ الخمائل ، ص: ٢٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحبّ هو نور الكون ، وهو قبس سماوي :

أصلحي الاوتار لتريني ان اصل الحب نور
واسمعي الاطيار اذ تغني فوق هامات الزهور (١)

ونحن انما نسير الى الحب ، وبه نهتدي لانه نور الوجود ، وهو اقوى من نور النجوم ، وفي ذلك يقول المقدسي :

هو النور الذي يهدي البرايا فما تجديك انوار النجوم (٢)

والمحبة "كلمة من نور ، كتبتها يد من نور ، على صحيفة من نور" (٣) ، على حدّ تعبير جبران . والحب هو قبس من الله ، لا بل هو الله ، وهو اكسير الوجود ، ومانح الحياة للكائنات جميعا :

هو الحب اكسير الوجود بلا مرا ولولاه ما كان الوجود كما ترى
هو الحيّ مولودا ، هو الميت عائدا هو النجم قد أسرى هو الصبح والدجى (٤)

والمحبة هبة من الله ، وهي التي تزوّد الانسان بالعلم والمعرفة ، وهي — على قول جبران — معرفة علوية تنير بصائرنا فنرى الاشياء كما تراها الالهة (٥) ، وهي حرّية تمنح الحرية :

هبه من عندك المحبة يا ربّ
وزوّده بالمحبة فهما
. . . .
ربّ هبني محبة بهيا أدرك
حريتي ، واعرف نفسي (٦)

وهناك كثيرون من الادباء المحدثين الذين يرون ان طريق الوصول الى الله هي المحبة ، وان هذه المحبة هي الرباط الالهي الذي يجب ان يرتبط به الانسان على الارض حتى يستطيع الانسان ان يغني عالما اعزّ من عالمه ، فتأتلف القلوب ويشيع السلام يقول ابو شبكة :

اولم نبن بالمحبة والرأفة دنيا اعزّ من دنيانا ؟ (٧)

ويقول جبران على لسان الالهة :

المحبة هي ربنا ومعلمنا في كل حال . . . .
المحبة حملة قديره تسير بك الى يقظتك (٨)

---

(١) علي حسن فدعق — نفثات من اقلام الشباب الحجازي (جمع الزواوي فدعق السّاسي) (مصر ، ١٩٤٣ م) ص : ١٥٣
(٢) انيس المقدسي — المورد الصافي مج : ١٠ ج : ٤ ص : ٣٣٥
(٣) جبران خليل جبران — رمل وزبد ص : ٤٠
(٤) شبلي الشميل — فلسفة النشوء والارتقاء مج : ١ ص : ٣٠
(٥) جبران خليل جبران — كلمات ص : ٧٣
(٦) يوسف الخال — الحرية (بيروت ، ١٩٤٧) ص : ١٠٠ و ١٠١
(٧) الياس ابو شبكة — الى الابد ص : ٦٠
(٨) جبران خليل جبران — آلهة الارض ص : ٥٢ و ٥٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقـــول ايضـــا : يكون العمل " باطلا وبلا ثمر ان لم يقترن بالمحبة ، لانكم اذا اشتغلتم بمحبة ، فانما تربطون انفسكم وافرادكم بعضها ببعض ، وترتبطون كل واحد منكم بربـه " (١).

ويعتقـــد جبران انه عندما تفنى اجسادنا " ستبعث من رمادنا محبة اقوى مـــن محبتنا ، وستضحك في نور الشمس ، وستكون خالدة " (٢) ، وله ايضا : المحبة " هـي الحرية الوحيدة في هذا العالم ، لانها ترفع النفس الى مقام سام ، لا تبلغه شـــرائع البشر وتقاليدهم ، ولا تسود عليه نواميس الطبيعة ، واحكامها " (٣) ، لأن قبلتهـا المثـل العليا ، ووطنها العالم ، وهي لا تتقيد بقيود ، ولا تعرف فردا دون فرد ، ولا وطنا دون وطن ، والمحبة الحرّة طليقة ، تتموّج بين شواطيء النفوس ، ولا " تعطي الا نفسها ، ولا تأخذ الا من نفسها ، ... المحبة لا تملك شيئا ، ولا تريد ان يملكها أحد " (٤) ، لأنها حرّة ، طليقة ، مندمجة في جميع الكائنات ، وهي خالدة لا تفنى ، يقول محمد الفراتي في انتشار الحب وحلوله في كل شـــيء " :

في النور في البرق في الانواء مندمجا ... في الزهر في العرف في الانداء في الماء
في كل ذرات هذا الكون منبعثا ... تعطي الحياة لها في كل حوباء
فالخلد انت ، وانت الخلد ما اتصلت ... منك الاواحد ما بيـــن الاخـــلاء
ماذا اقول بمعنى لا حـــدود له ... وانت تحصره في الحاء والبـــاء " (٥)

وكذلـــك يرى مؤيد ابراهيم ايراني في الحبّ انطلاقا وخلودا :

الحب روح الكون لولاه لما ... عاشت به الاحياء بضع ثواني
الحب اجنحة الخلود تجاوزت ... بحفيفها هذا الزمان الفاني
الحب ينبوع الحياة تفجـــرت ... من راحتيه سعادة الاكوان (٦)

وتـــرى فدوى طوقان ان الحب هو نشيد مطلق ازليّ خالد ، وهو الذي يجرد الارواح مـن اجسادها ، ويحملها معه حرّة طليقة من قيود المـــادة :

اي لحن مخلد سرمدي ... من لحون الآزال والآباء
اي لحن قد صير الكون ... اغرودة حب رخيمة الانشاء
يا لهذا النشيد تنطلق الارواح فيه من ربقة الاجســـاد (٧)

المحبـــة مجبولة من عناصر القلب ، فاذا مزج الكيماوي — على حدّ قول جبـــران — الحنان والاحتـــرام ، والاشتياق والتجلد واللهفة والدهشة والغفران بعضهـــا ببعـــض ،

---

(١) جبران خليل جبران — النبي ص: ٣٧
(٢) جبران خليل جبران — السابق ص: ٧٤
(٣) جبران خليل جبران — الاجنحة المتكسرة ص: ٢٥
(٤) جبران خليل جبران — النبي ص: ٢٣
(٥) محمد الفراتي — ديوان النفحات (العراق ، ١٩٤٦م) ص: ٤٠ و ٤١
(٦) مؤيد ابراهيم ايراني — ديوان الدموع ج : ١ (حيفا ، ١٩٣١م) ص: ٤٨
(٧) فدوى طوقان — (مخطوطة)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

استخرج من هذه الجبلة " ذلك الجوهر الفرد الذي ندعوه حبا " (١) ، ويرى ميخائيل نعيمة ان الكون كله مكوّن من عناصر اربعة ، واما العناصر — ان كشفت — فهي الاحرف الاربعة التي تكون كلمة المحبة (٢) ، وهذه سلالم " تربط كل ما في السماء بكل ما فيها على الارض " (٣) .

والمحبة واحدة ، ولكنها تظهر بأشكال مختلفة — يقول جبران — فهي الحكمة آنا ، والعدل آونة ، والأمل أخرى " (٤) : وهي الصدق والاخلاص فينبغي على الانسان ان يتبعها اذا نادت ، وان يطيعها اذا أمرت لان المحبة هي الخير كله :

اذا أشارت المحبة اليكم فاتبعوها
وان كانت مسالكها صعبة منحدرة ...
واذا ضمتكم بجناحها فأطيعوها
وان جرحكم السيف المستور بين ريشها
واذا خاطبتكم المحبة ، فصدّقوها (٥)

والحب عاطفة مخلصة صادقة ، لا تعرف الغدر ولا الكذب ، وفي ذلك ينشد محمد عبد الغني حسن :

الحب ! ما الحب الا كل عاطفة لا تألف الغدر ولا تعرف الكذبا (٦)

ويرى الياس قنصل في الحب رحمة ، لولاها لما ابتهجت الكائنات ، ولما جاهدت في الحياة :

لولاه ... لولا الحب .. لا عيشنا يحلو لنا ... وليس يحلو الجهاد
ما الحب في الدنيا سوى رحمة ارسلها الله لهذى العباد (٧)

لقد رأينا ان المحبة والحب هما من منبع واحد ، ومن جوهر مقدّس واحد ، وهما من قبس الله ، وقد يشتد حنين الشاعر الى معرفة ذلك الجوهر الازلي العظيم ، ويهيم شوقا لرؤية الله ، والاتحاد به ، فيرى الكائنات جميعا غرقى بالوجد الالهي ، وكذلك السموات والجبال ، ويخفق قلبه بحب الله الذي هو الخير والجمال والكمال ، حتى اذا ارتفع عن الارض دعا ربّه ان يضمه الى صدره الى الابد ، وفي ذلك تنشد فدوى طوقان في شاعة نشوتها الالهيّة :

واذا الحب ملء هذا الوجود والرحب يسري في روعة وانطلاق
واذا الكائنات يغرقها الوجد الالهي في سنى الاشراق
السموات من حنين ووجد مختبئات خلف الغيوم الرقاق
والجبال الشماء تشخص نحو الله سكرى في ذهلة المشتاق

---

(١) جبران خليل جبران — كلمات — ص: ١١
(٢) ميخائيل نعيمة — كرم على درب ، ص: ٣٩
(٣) — زاد المعاد ، ص: ٢٦
(٤) جبران خليل جبران — كلمات ، ص: ١١٢
(٥) جبران خليل جبران — [illegible] النبي ، ص: ٢١
(٦) محمد عبد الغني حسن — ديوان من نبع الحياة ، (مصر ، ١٩٥٠م) ص: ٤٩
(٧) الياس قنصل — العبرات الملتهبة ، ص: ٦٦ ، و ٦٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فتبتهل الى الله ان يضمها اليه :

ضمني ... ضمني اليك ، فقد طال انفصالي وطال بي تشريدي (١)

هذه الروح الصوفية التي هدفها الوصول الى الله بواسطة الحب ، تتجلى في نفوس الشعراء عامة ، فالشعراء العربي الحديث يؤمن بالحب الروحاني الالهي الذي يخلد ويبقى الى الابد ، ويرى فيه حبا صحيحا عميقا ، وتقول مي ان هذا هو الحب الصحيح القوي "الذي يجعل العالم هيكلا حيث تنخشع النفوس ، فتجثو للعبادة والصلاة والاتحاد الروحي مع جميع قوى الكون" (٢) ... ، والحب الصحيح هو صوت الهي خارج من النفس الانسانية ، يشمل الكون كله ، حتى اذا تحولت النفس الى حب عرفت الله ، لأن الله هو الحب الازلي الخالد ، ويرى الشعراء المحدثون ان العالم يحتاج الى رب جديد ، الا وهو الحب ... كما يرى ان العالم يحتاج الى رسول جديد الا وهو الانسانية ، رسول الحب ...

---

(١) ـ فدوى طوقان ـ (مخطوطة)

(٢) مي زيادة ـ الصحائف (مصر ١٩٣٤م) ص: ١٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحـــــرية

كـــان العرب القدامى من اشدّ الامم حرية ، في افكارهم واقوالهم وافعالهم ، غير ان هذه الحرية كانت فطرية جاهلة ، فوضوية ، تهبّ ناهبة مخربة ، او لاذعة مقذعة ، وبانتشار الفلسفة في العصور العباسية اصبحت الحرية مدركة واعية ، غير انها ما ان اطلّت ببرعمها حتى خنقت في مهدها ، وأخذت تضعف بتوالي الجور والظلم حتى اذا جاء القرن التاسع عشر كان العامة — على حدّ تعبير جرجي زيدان — " يساقون كالانعام لا ارادة لهم ، ولا حرية ولا رأى " (١) . وعندما وصلت الى اذهان شرقنا العربي اثر الثورة الفرنسية ، التي حررت العقول ، وبددت الظلمات والجهل ، قام شعراؤنا العرب يمجدونها ، ويدعون الى التحرّر من عبودية الحكام والمستبدين الاعاجم ، والتحرّر من التقاليد والخرافات التي تسيطر على العقول العربيّة ، وبهذا اصبحت الحرية الشخصية من مميزات النهضة العربية الحديثة ، التي جاءت الينا من الغرب مع اعلام الثورة الفرنسية . هذه الحرية الشخصية او الروحية هي التي تعنينا في الشعر العربي الحديث ، وهي التي نقصدها في بحثنا هذا ، اما الحرية السياسية والحرية الاجتماعية فهما نتيجتان للحريّة الشخصيّة او الروحية التي تبدأ في داخل نفس الانسان . هذه هي الحرية الروحية — على حدّ تعبير زريق — " التي لا تعرف قيدا ، ولا رباطا ، لانها تحرر من جميع القيود والشخصية والروابط المادّية " (٢) ، وقد نادى بها الادب العربي الحديث كأساس قوىّ للحريـــة المطلقة التي تثور على الفرد اوّلا ، وتخلصه من الجهل والفساد ، وتطهّر قلبه من الحقد والحسد ، ثم تثـــور ثانيا على الامة والعالم بأسره ، تكسّر الحدود في سبيل اقامة الوطن العالمي الاكبر . يقول امين الريحاني " ان المرء الذى يثور اوّلا على نفسه فيصلحهـــا ، انما هو المصلح الحقيقي . المرء الذى يثور على ما ورث من الاجداد ، مما كان فاسدا اصلا ، او مما افسده الزمان فيصلحه او ينبذه ، هو هو الذى يحق له ان يثور " (٣) ، فهذه الثورة هي مطهر للانسان ، وبالتالي مطهر للأمة ، ثم للعالم كلّه ، لذلك يرى الريحاني انه "من لا يثور على ما في نفسه ، لا ينجو من العبودية ، ولا حق له ان يشكو العبودية " (٤) .

والحريـــة الروحية مدركة واعية ، وهي العلم عينه ، والمعرفة نفسها ، ويقول قسطنطين زريق " بل هي الحرية الحقيقية نفسها ، لان الجهل هو اقوى قيد ، يوثق النفس .... الحرية الخالصة من الاوهام والخرافات ، ومن الاهواء الشخصيّة والنزعات الطائشـــة ، الحرية البـــريئة من الخوف والجبن والطمع والانانية ، الحرية التي لا يفيدها الا شـــيء واحد ، تتعلق به فتضحي بكل ما سواه في سبيله . ذلك هو الحق " (٥) ، ويـــرى جبران ان الحياة دون الحرية الروحية العالمة ، انما هي كالجسم دون روح ، بل هي الموت عينه وفي ذلك يقول : " الحياة بغير الحرية كجسم بغير روح . والحرية بغير الفكر كالروح المشوشة .. . الحياة والحرية والفكر ثلاثة اقانيم في ذات واحدة ازلية لا تزول ولا تضمحل "(٦)،

---

(١) جرجي زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج : ٤ (مصر ، ١٩١٤م) ص : ٧٦
(٢) قسطنطين زريق — الوعي القومي ص : ٢٢٨
(٣) و (٤) — امين الريحاني — التطرف والاصلاح ، (بيروت ، ١٩٢٨م) ص : ٣٠ و ٢١
(٥) قسطنطين زريق — الوعي القومي ص : ٢٤٦ و ٢٤٧
(٦) جبران خليل جبران — العواصف ، ص : ٩٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحرية تدعو الى الفكر والفهم ، وهي — على حدّ تعبير نعيمة — الثمرة النادرة التي " تنبت على شجرة نادرة تدعى الفهم " (١) ، ويرى نعيمة ايضا ان المعرفة ذاتها هي تحرر من كل شيء ، وان الحياة بغير حرية هي الموت ، وقد سأل نفسه على لسان الارقش قائلا :

" لماذا تريدين ان تعرفي كل شيء ؟
اجابت : لانني اريد ان اتحرر من كل شيء .
قلت : الا تكون حرية بغير معرفة ؟
قالت : بل تكون عبودية .
قلت : ألا تكون حياة بغير حرية ؟
قالت : بل يكون موت . (٢)

ويرى امين الريحاني ان الحرية الروحية الكاملة " لا تسود ولا تنتشر في الامم الا بواسطة العلم الصحيح والتهذيب الصحيح " (٣) ، فالحرية هي الحياة الواعية بجوهرها ازليّ ، ويكون المرء حيا — على حدّ تعبير احمد لطفي السيّد — " بمقدار ما جاز له من الاستمتاع بالحرية . فالحرية الناقصة حياة ناقصة . وفقدان الحرية هو الموت ، لان الحرية هي معنى الحياة " (٤) . وكذلك يقول المنفلوطي ان الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الانسان اشبه بحياة اللعب المتحركة في ايدي الاطفال بحركة صناعيّة " (٥) ، والحرية هي فضيلة الحياة ، وهي النار المطهرة ، والنور الذي يبدد الجهل والظلمات ، يقول احمد لطفي السيّد : " فأي انسان خمدت في صدره نار الحرية واظلمت جوانب عقله من شعاعها الساطع ، جدير بان لا يعتبر انسانا " (٦) ، ويرى جبران ان الحرية لا تعرف الّا الحقّ والجمال والمحبة ، لا ينحني صاحبها للملوك ولا يخضع لأحد ، فنحن اليوم " لا ننحني الّا للحق ، ولا نتبع غير الجمال ، ولا نطيع سوى المحبة " (٧) ، بذلك يكون الانسان سعيدا اذا تمتع في حياته بالحرية الروحية . وفي ذلك يقول الزهاوي :

ان الحياة اذا حوت حرية هي نعمة ما اديراد زوالها (٨)

وكذلك يقول المنفلوطي ان الانسان اذا عاش حرا طليقا ، لا " يسيطر على جسمه وعقله ووجدانه وفكره مسيطر الّا أدب النفس ، كان سعيدا " (٩) ، لا عبد الشرائعه وتقاليده ، بل سيدا لنفسه وحريتها . ويرى ابو شادي ان حرية التفكير هي روح الله المبدعة العالمة ، وهي نوره الازلي الذي يوحي به الى الانسان ليخلق ويبدع :

حرية التفكير روح خالق كالنور تبعث حوله الانوار

. . . .

---

(١) ميخائيل نعيمة — كرم على درب ص: ٩١
(٢) ميخائيل نعيمة — مذكرات الارقش (لبنان ، ١٩٤٩م) ص: ١٣٠ — ١٣١
(٣) امين الريحاني — الريحانيات ج: ٢ ص: ٣٩
(٤) احمد لطفي السيد — تأملات في الفلسفة والادب والسياسة والاجتماع (مصر، ١٩٤٦م) ص ٥٦
(٥) مصطفى المنفلوطي — النظرات ج: ١ (مصر، ١٩٢٥م) ص: ١٨٧
(٦) احمد لطفي السيد — المنتخبات ج: ٢ (مصر، ١٩٤٥م) ص: ٦٠
(٧) جبران خليل جبران — العواصف ص: ٦٢
(٨) جميل الزهاوي — الاوشال ص: ١١٢
(٩) مصطفى المنفلوطي — النظرات ، ص: ١٨٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خلّي رحابك للنبوغ رحيبة ما للنبوغ نهاية وقرار (١)

والحريـــة الروحية هي الحرية المبدعة ، التي تخلق الفنون وتمنح الخلود فتندفـــع النفس معبّرة عن رأيها ، حرّة طليقة ، ترسم وتنحت وتؤلف الالحان والاشعار ، فالفن كما يقول طه حسين " حرية قبل كل شيء ، حرية واسعة الى أبعد غايات السعة ، حرية في نفس المنتج ... ان الفن حرية لا رق ... فاذا أردت من الشباب ان يذوقوا الفـــن ويسيغوه ويحاولوه ويبتكروه ، فاجعلهم أحرارا ، لأن الفن أثر من آثار الاحرار لا من آثار العبيد " (٢) ، فالحرية الروحية هي حرية الانسان في نفسه وفي دمه ، وهي الحريـــة الداخلية ، الحرية التي تنتج وتثمر ، وهي حرية الضمير والوجدان والفؤاد واللســـان ، وفي ذلك يقول احد الشـــعراء :

الحر ذو الضمير والوجدان والطاهر الفؤاد واللسان
من لا يخاف في سبيل الحق لوما ولا يقول غير الصدق (٣)

ومـــن طبيعة الشاعر ان يدعو الى الحرية الفكرية ، والى سيادة النفس للنفس ، والتحرر من كلّ شيء خارجيّ ، كذلك من طبيعته ان يكون حرّا ، طليقا في نفسه وفي روحه ، فهـــو يحبّ الحرية ويعشقها ، لأنه يرى فيها المثل العليا ، والانسانية الكبرى ، ويرى فيهـــا الوعي الكامل ، والعلم والمعرفة ، والرقيّ المتواصل ، فلم لا يصرخ الزهاوي في الكـــون ويعلّم الناس الحرّية الروحيّـــة ؟ :

بثوا بألسنة من نار ما في جماجمكم من الانكار
سيروا الى غاياتكم في جرأة كالسيل هدارا وكالاعصار
كونوا جميعا سادة لنفوسكم فالعصر هذا سيّد الاعصار (٤)

ويتمنـــى الشاعر لو تحرّر أهل الارض جميعا من الدساتير والحكام ، حتى تستطيع كـــل نفس ان تنال مناها ، وفي ذلك يقول ابرهيم الدبّاغ :

يا سائلي عن هوى نفسي وبغيتها من الحياة وقد غصت بتكدير
هواى تحرير اهل الارض عن ملأ من الهداة واقطاب الدساتير
فكل نفس لها من سعيها أمـــل ولا تنال مناها دون تحرير (٥)

وقـــد سرى حبّ الحرية في قلب الزهاوي ، حتى شغلته عن كل شيء ، فهام باسمهـــا ، وظلّ يناجي ليلاه حتى طوتـــه الارض :

سرى حب ليلى في جميع جوارحي واذهلني عن غيرها اى اذهال
وليلى كقرص الشمس يحمل ضـــوءه ويملأ عيني في غدوّى وآصـــالي (٦)

---

(١) احمد زكي ابو شادي ـ الشفق الباكي ص: ٢٢١ و ٢٢٢
(٢) طه حسين ـ مرآة الضمير الحديث ص: ١١٧ ـ ١١٨
(٣) ؟ ـ مجلة المباحث السنة الاولى عدد: ٧ ص: ٣١٥
(٤) جميل الزهاوي ـ الاوشال ص: ٢٠
(٥) ابراهيم الدباغ ـ مجلة الكتاب مج: ٥ ص: ٦٧٦
(٦) جميل الزهاوي ـ الاوشال ص: ١٢٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وخاطب ابو شبكة الحرية قائلا :

عشقتك بدرا في السماء منورا يطل على الدنيا كعين مراقب
فينظر ابناء الوجود محاطة باسدال اظلام كأثواب راهب
عشقتك دون البعض روحا تمرّدت على كلّ غدّار محاب وكاذب (١)

ويعظم امجد الطرابلسي الفتى الذى يقيد بالسلاسل ، ويرمي بالسجون ، والرغم من هذا يظلّ محافظا على روحه الحرة طليقة ، يضحك من بطش الطغاة ويستهزئ بهم :

احب الفتى والغلّ يثقل عنقه وسيف الاعادى بين عينيه مشهر
يصيح بأعلى صوته ينكر الاذى ويضحك من بطش الطغاة ويسخر
ويشمخ بالاغلال رأسا وان غدت تحز ومن انيابها الدم يقطر (٢)

ويتمنى الشاعر ان يعرف كنه الحرّية ، وجوهرها القوّى الذى يجعل النفس صادقة ، صبورة ، جبّارة أمام الظلم والجور ، فيرى ان جوهر الحرية هو الخير ، فيقول :

ولكن سرا في الحياة جهلته وبغية نفسي ان يبين لها السرّ
فمن اجله سقراط زج بسجنه ونفذ فيه حكمه الظلم والجور
تناول كأس السمّ دون تردد واعذب شيء عنده طعمها المرّ
لقد طاف من اشباحه بي طائف من المثل العليا يقال له الخير (٣)

ويشتاق الشاعر الى الحرية دوما ، فيخاطب ربّه :

أنا حرّيا ربّ ! حريتي كنهي
ارود الجمال فجرا وعصرا
. . . .
واجني حقي رويدا وقسرا . . .
. . . .
أنا حر يا رب ! في اضلعي شوق
ألى رؤية الحقيقة حرّا :
شاهدا ان رايتها معلنا عنها
صراحا لدى الخليقة طرّا (٤)

وكذلك يشتاق الشاعر الى التحرّر من كل شيء ، ويتمنى لو تنطلق روحه في الفضاء تشرب النور مداما ، وفي ذلك ينشد جبران مخاطبا الطير :

ليتني مثلك حر من سجون وقيود
ليتني مثلك روحا في فضا الوادى أطير
اشرب النور مداما في كؤوس من اثير (٥)

---

(١) الياس ابو شبكة ـ القيثارة ص: ٣٢
(٢) امجد الطرابلسي ـ الرسالة ، السنة السادسة مج : ١ عدد : ٣٢٥ ص: ٣٠
(٣) عبد الحميد الراضي ـ العرفان مج : ٢٨ ج ٣ ص: ٢٦٤
(٤) يوسف الخال ـ الحرية ـ ص: ٩٨ ـ ٩٩ و ١٠١ ـ ١٠٢
(٥) جبران خليل جبران ـ البدائع والطرائف ص: ٢١٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتنطلق ايضا روح رياض المعلوف ، فيخاطب الطيـــر :

هذى روحي طارت في فضا لحنك مني
فأرى شدوك شدوى وأرى لحنك لحني (١)

غير ان الشاعر يفتش عن الحرية الروحية في العالم ، فيراها مصلوبة ، مقتولة ، لان الانسان لم يزل عبدًا لشرائعه ، فيتساءل جبران متألما : " هل يظلّ الانسان عبدا لشرائعه الفاسدة الى انقضاء الدهر ؟ ام تحرره الايام ليحيا بالروح وللروح ؟؟ ايبقى الانسان محدقـــا بالتراب ؟ ام يحول عينيه نحو الشمس ليحيا بنورها ويحترق قلبه بنارها ؟ " (٢) .

ويتألـــم حسن كامل الصيرفي عندما يفتش عن الحرية بين قومه ، فلا يجدها ، لأن الاحـــرار يساقون الى السجن مكبليـــن :

ملجأى السجن ان دعوت الى الحق مسوقا في موكب الاصفاد
وهبوط الاحرار من منبر الحق صعود لمنبـــر الجلاد (٣)

ويـــرى الزهاوى ان حرية الفكر مقتولة في بلاده ، فيتألم ويصمت خوفا من اضطهاد الحاكمين وظلمهـــــم :

شديد على حرية الفكر ضغطهم كأنهم اعداء حرية الفكـــر
وقد لا أرى في القول لي من سلامة فأسكت عنه وهو يقدح في صدرى
واعلم اني ان تجاهرت فرقـــوا اديمي بأنياب التعصـــب والظفر (٤)

وقـــد يتهكم الشاعر ، ويدعو قومه الى الصموت ، والى الركود ، والخمول والتأخر ، لأن من يدعو الى الحرية الروحية وما فيها من نهوض وتقدم ورقي ، مصيره التمزيق والتشتيـــت ، وفي ذلك يقول الرصافي ساخرا متهكمـــا ، متألمـــا :

يا قوم لا تتكلموا ان الكلام محرّم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز الا النوم
وتأخروا عن كل ما يقضي بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانبا فالخير ان لا تفهموا (٥)

وبعـــد ان يرى ابو القاسم الشابي شعبه خاملا ، كسولا ، جاهلا ، ذليلا ، يكره النور ، يصرخ في وجوههم ، ويتمنى لو كان حطّابا لهوى بفأسه على رؤوسهم أو سيلا جارفا ، لهدّ بيوتهم ، او كان عاصفة لأيقظ النفوس من رقدتها ، وعلّمها معنى الحرية الصحيحة ، لكنـــه ييأس ، لأن قومه لا يسمعون ، فيذهب الى الغاب وحيدا ، يتلو على الطيور اناشيد الحزينـــة :

---

(١) رياض المعلوف ـ مجلة العصبة السنة الاولى ـ العدد السادس ص: ٦٨٥
(٢) جبران خليل جبران ـ كلمات ص: ٩٥
(٣) حسن كامل الصيرفي ـ مجلة الرسالة السنة الثامنة مج: ١ عدد: ٣٦١ ص: ٩٤٣
(٤) جميل الزهاوى ـ الاوشال ص: ٢٥
(٥) معروف الرصافي ـ ديوان الرصافي ص: ٤٢٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ايها الشعب ليتني كنت حطابا فأهوى على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول اذا سالت تهدّ القبور رمسا برمس
. . . . .
ليت لي قوة العواصف يا شعبي فألقي اليك ثورة نفسي
. . . . .
انت روح هذه الكائنات تكره النور وتقضي الدهور في ليل ملس
. . . . .
ها أنا ذاهب الى الغاب يا شعبي لاقضي الحياة وحدي بيأسي
سوف اتلو على الطيور اناشيدي وافضي لها بأحزان نفسي
فهي تدري معنى الحياة وتدري ان مجد النفوس يقظة حسّ (١)

وينادي جبران الحرية الهاربة ، ينادي بها لتعود الى بلاده ، فتعود بعودتها الحياة ، ويستعطفها ان تصغي اليه وتسمعه ، وان تلج نفس رجل من رجال امته ، فتبعثه قويّا مخلصا صادقا ، ليبيد الجهل ، وينير الظلمات ، ويرتقي بأبناء وطنه :

اصغي ايتها الحرية واسمعينا . . .
تكلمي بلسان فرد واحد منا فمن شرارة واحدة
يشتعل القش اليابس . . .
ايقظي بحفيف اجنحتك روح رجل من رجالنا
فمن سحابة واحدة ينبثق البرق وينير بلحظة
خلا يا الاودية وقم الجبال . . .
قوّى قولوبنا لنحيا . . . (٢)

ويرى الريحاني ان الشعب الشرقيّ مظلوم ، وهو في سجن العبودية ، عبودية الجهل والفقر وعبودية الاستعمار ، فيركع ضارعا الى الحرية ان تنير الشرق المظلوم وترفع عن ظهره نير الاستعمار :

"متى تحولين وجهك نحو الشرق ايتها الحرية ؟ . . .
متى يمتزج نورك بنور هذا البدر الباهر
فيدور معه حول الارض ،
ويضيء ظلمات كل شعب مظلوم ؟ . . . " (٣)

---

(١) ابو القاسم الشابي — مجلة الرسالة السنة الثانية مج : ٢ عدد : ٧٠ ص: ١٨٢٩
(٢) جبران خليل جبران — الارواح المتمرّدة — ص: ١٥٥
(٣) امين الريحاني — الريحانيات — ج : ١ ، ص: ٥٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST

فمثـــل هذا الادب أدب مؤمن بالحرية الروحية ، والحرية الروحية هي الحرية التي تحرّر نفسها من الجهل والتقاليد الفاسدة ، ومن كل قيد يقف عثرة في سبيل تقدمها ، فاذا استطاع كل فرد ان يصلح نفسه بنفسه ، تصلح أمته ، وتتسع روحها للعالم كلّـــه دون تعصب لأمة او جنس او لون ... والحرية الكبرى في ادب القرن العشرين هـــي المعرفة والعلم ، ربّها الحب ، وطنها العالم ورسولها الانسانية ، فالانســـان المثالي هو الانسان الذى يطهّر نفسه بنفسه من جميع الادران والاوهاق والحدود ، وهو الذى ينطلق ليبدع ويخلق ما يشـــاء ، ويمنح العالـم قطعا خالدة منتـــزعة من صميـــم روحـــه المدركة ، وقلبـــه الواعـــــي »

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الديـــــن

كـــان الدين قديما مسيطرا بتقاليده، وطقوسه على نفوس الافراد والجماعات، وبالرغم من ذلك فقد استطاع أفراد قلائل ان يتحرروا من هذه السيطرة، فتأملوا في الديـــن وتقاليده، وطقوسه ورجاله، فلم يجدوا فيه الّا الفشل والخذلان، ولكنهم لم ينجوا من الاضطهاد والتنكيل، أما اليوم فقد تحرر الافراد من ربقة الدين واتباعه، وحلّت الثقافة والمعرفة مكانه، بفضل انتشار الحضارة الاوربية الحديثة، وتغلغلها في الشرق العربي، تلك الثقافة التي امتدت جذورها الى القلوب، والعقول، فأخذ العربي يفكر، وأخـــذ يؤمن بعقله كمرشد له في جميع شؤونه الدنيوية، واصبحت الثقافة الصحيحة هي الدين، والانسانية هي الرسول، كلتاهما من منبع واحد هـــو الحب، او الربّ الرحيم. وقـــد تنادى الادباء والمفكرون بعد تأمل عميق الى دين جديد والى رسول جديد يضم العالم كله تحت لوائهما، فلا ئما العصر الذى نحن فيـــه.

ورأى الادب العربي الحديث ان الدين الحقيقي ليس الّا شعورا داخليا ساميا يهتف بالانسان الى الرقي المستمرّ والمعرفة، حتى يبلغ الكمال الالهي، فيصبح رسولا وفي قبضته الانسانية، تنير له طريق الحق ... والدين هو الايمان الصحيح الذى يلقي — على حدّ تعبير الرافعي — " على روحك السكينة لانها متصلة بالله، وفي ضميرك المحبة لانه متصل بالناس " (١).

والديـــن هو عبادة الانسانية والعقل، وهو السعي لخير العالم كله، وليـــس الدين جمودا وذلا أمام الكهنة المتفرقيـــن:

والدين ما كان سوى سعيكم للخير لا ذلا لهذي الحياة
من عاش في دنياه اعمى الحجى لم يغنم الدنيا ولا مقتهـــاه (٢)

والديـــن هو في صميم الحياة، ليس خارجا عنها، وهو الذى ينبغي عليه أن يساير الحياة بكل ما فيها، وهو السعي المستمرّ في سبيل تحسينها ورقيها، وليست الحيـــاة الّا هيكلا، يدخله الانسان كل يوم، وفي ذلك يقول جبران: " ان حياتكم اليومية هـــي هيكلكم، وهي ديانتكم، فخذوا معكم كل ما لكم عندما تدخلون هيكلها، خذوا السكة والكور والمطرقة، والطنبور " (٣)، على ان الدين الحقيقي هو الذى يساير المدنية بتفاعله المستمر — على حدّ تعبير خالد محمد خالد — "مع حاجات الناس ومع الحيـــاة، حتى تستطيع البشرية ان تجد منه عونا دائما يمكنها من مواجهة مشاكلها المستحدثة، وضروراتها الطارئة. ويبارك محاولتها المستمرّة للتقدّم والوثوب " (٤)، والمدنيـــة الصحيحة بالتالي تقدّس الدين للقديم — كما يقول المقدسي — "المبني على الفضيلة والمعاملات الشريفة. الدين الذى يرفع النفس الى المثل الاعلى، ويملأ القلب حبـــا

---

(١) مصطفى الرافعي — المساكين ص: ٢٢١
(٢) احمد زكي ابو شادى — الشفق الباكي ص: ٣٩٣
(٣) جبران خليل جبران — النبي ص: ٩٥
(٤) خالد محمد خالد — من هنا نبدأ (مصر، ١٩٥٠م) ص: ٤٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ووقـــارا . الدين الذي لا يعرف وطنا غير الله ، ولا يتعصب لجنسية غير الانسان "(١).

والديـــن بطبعه يساوق الحياة ، فهو "انساني بطبعه وشرعته ... (وهو) ديمقراطيّ النزعة ... لا يعترف بالفوارق المفتعلة " (٢) ، وهو يؤمن بالعقل ومسعاه لجعل الحياة الـ مشرقة ، فان عصر الزهد والموت — يقول خالد خالد "قد انتهـــى وتقوض ، ونحن اليوم في عصر الحياة ، ... فالدين لم يجيء ليجعل من الحياة البهيجة المشرقة مقبرة نقضي من أيامنا في صوامعها ولحودها ، ولكنه جاء يهتف ، ويدق اجراس الصباح للنوّم صائحا فيهم : اليكم زنية الله ، وطيبات الدنيا ،وحسرات الحياة " (٣) ، أما اذا وقف الدين عثرة في سبيل تقدم الحياة فالافضل ان نطلق عليه اسم الكهانة لا اسم الدين ، لأنه يقف عثرة في سبيل تقدّم الناس ، وطلب حياة افضل من حياة التقليـــد الضيق ، والعرف المتزمت ، فينفر الناس من دينهم ، وفي ذلك يقول خالد خالد :

" وليس ثمة ما ينفر الناس من دينهم مثل ابرازه في صورة قوة عائقة لنموهم ، مناهضـــة لحقوقهـــم ، مخذلة لطموحهم " (٤) ، فرسالة الدين الحقة هي الحياة ، وللحيـــاة فقط ، والحياة هي ان تعيش كريما حرا ، سعيدا ، لا ان تعيش مهانا عبدا ، محـــروما فكل دعوة تدعوك الى الحياة والسير في موكب التطور ... خذها بقوّة " (٥).

ويطـــرح الشاعر المفكر التقليد ، لأنه ينفر منه بطبعه ، ويدعو الى الحيـــاة المثلى ، لانه يحياها بطبعه ... فيقول الزهاوي في تحكيم العقل في الدين :

... ولكنني ما كنت يوما مقلدا يرى ان حكم العقل في الدين مأثم (٦)

ثـــم يصرخ بشعبه ان يحكموا العقل في الدين ، ويجعلوه رسولا ، ويطرحوا الخرافات ويتحرّوا من الكهنة الذين ينشرون على الناس عقائدهم البالية ، ويقيّدونهم بقيودهم المتزمّتة:

لا تقبلوا في الدين ما يروونه الّا اذا ما صحّ في الانظار
انضوا القديم وبالجديد توشحوا حتام تختالون في الاطمار
وتملصوا من نير كل خرافـة خرقاء يتلقى الـــرين في الافكار
وتحرّروا من قيد كل عقيدة سوداء ما فيها هدى للسارى (٧)

ويتألـــم جبران من الكهنة الذين يقومون بفرائض الدين خوفا من البعث والعقـــاب :

كأنما الدين ضرب من متاجرهم ان واظبوا ربحوا او اهملوا خســروا (٨)

ثـــم يصرخ داعيا الناس الى هدم هذه التقاليد البالية ، فيقول : "أنا متطرف حتى الجنون ، اميل الى الهدم ميلي الى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدسه الناس وحب لما يأبونه ، ولو كان بامكاني استئصال عادات البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة"(٩).

---

(١) انيس المقدسي — مجلة الكلية مج : ١٢ مج : ٤ ص: ٢٨٨
(٢) خالد محمد خالد — من هنا نبدأ ص: ٧٧ و ٧٨
(٣) المصدر نفسه ص: ٦١
(٤) و (٥) المصدر نفسه ص: ٤٦ و ٨٣
(٦) جميل الزهاوي — الاوشال ص: ٨٦
(٧) جميل الزهاوي — الاوشال ص: ٢١
(٨) جبران خليل جبران — المواكب ص: ٢٢
(٩) جبران خليل جبران — كلمات — ص: ٧٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والدين باق في جوهره لا في عقائده وتقاليده ، وهذا الجوهر هو الذي يؤلف الناس جميعا بعضهم ببعض ، وهو الحب " ذلك الخيط النوراني الوثيق الذي ينتظم قلوب الناس ، فيجعل من حياتهم اغنية بهيجة ساحرة "(١) ، ويسعد الانسان ويقوده الى العلى والسلام ، يقول ابو شادي :

تسير بنا الدنيا الى الحسن والعلى وان كان في الوعد الطريق مفاسد
ابث جمال الحب في الناس هائنا فذلك دين للسعادة قائد (٢)

ويرى جبران ان الاخوة والمحبة هما اللتان توحّدان الاديان وتنشران السلام ، فيخاطب الانسان :

" انت اخي وانا احبك ..
احبك ساجدا في جامعك ..
راكعا في هيكلك ..
ومصليا في كنيستك ..
فأنت وانا ابناء دين واحد
وهو الروح " (٣)

ويرى ابو شادي ان السلام هو الذي يوحّد العقائد :

وكل العقائد مثل الورى توحّدها نزعة للسلام (٤)

وكذلك يتمنى ميخائيل نعيمة ان يظل الشرق حصنا للدين "الذي يبتدئ بالله وينتهي بالله ، دين الاخوة الصادقة ، والابوة المتفانية ، دين المحبة الشاملة "(٥)، التي تبشر بالسلام والطمأنينة .

والشاعر يرى ان الاديان كلها من جوهر واحد ، اذا جرّدناها من التقاليد الموروثة والعادات المتبعة ، وهذا الجوهر هو حسّ وشعور اوّله — على حدّ تعبير نعيمة — " دهشة حسّية ، وآخره نشوة روحية " (٦) ، والدين هو شعوركم بالله المنطوي فيكم ، لا اكثر ولا اقل ، فمن كان شعوره بالله نورا صافيا ، كان دينه نورا صافيا . ومن كان شعوره دخانا كان دينه دخانا " (٧) .

ويرى خالد خالد ان غاية الاديان واحدة كما انها واحدة في جوهرها والدين يهدي الى الحق والفضيلة والصلاح والعمل على تنقية النفس الانسانية ، وتجديدها باستمرار حتى تظل مرآة صافية تنعكس عليها اخلاق الله " (٨) . أما المذاهب المتعدّدة فهي التي تفصلنا عن حقيقة جوهر الدين ، وفي ذلك يقول جبران : كثير من المذاهب كزجاج النافذة ، نرى الحقيقة من خلالها ولكنها تفصلنا عن الحقيقة " (٩) ، اما اذا جرّدناها

---

(١) خالد محمد خالد — من هنا نبدأ ص: ٦٧
(٢) احمد زكي ابو شادي — الشفق الباكي ص: ٧٨٠
(٣) جبران خليل جبران — دمعة وابتسامة ص: ١٧٩
(٤) احمد زكي ابو شادي — اطياف الربيع ص: ١٥٨
(٥) ميخائيل نعيمة — صوت العالم ص: ٢٩
(٦) ميخائيل نعيمة — ازاد المعاد ص: ١٠٦
(٧) ميخائيل نعيمة — البيادر ص: ١٠١
(٨) خالد محمد خالد — من هنا نبدأ — ص: ١٩١
(٩) جبران خليل جبران — رمل وزبد ص: ٣٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

مما علق بها من "الزوائد المذهبية والاجتماعية وجدناها دينا واحدا" (١)

ويعجب العقاد من تعدد الارباب ما دامت الاديان واحدة ، ومن تعدد المذاهب التي تضل الانسان عن طريق الصواب ، ما دام جوهر الاديان واحدا :

تعددت الارباب والدين واحد فآمن به طرا او اكفر به طرا
لقد عاش فيها آل عيسى واحمد فهل كرهوا الايمان او كرهوا الكفرا ؟ (٢)

ويتساءل نقولا الحداد عن تعدد الاديان وما جرّ على الناس من ويلات :

فما بال اديان العباد تعددت وفرّقهم بالبطل مختلف الكتب ؟
أما ملك الحبّ ابليس حقدهم يدفعهم من ويل حرب الى حرب ؟ (٣)

ويميل جميع الشعراء المفكرين الى توحيد الاديان التي هي واحدة في جوهرها وغايتها ، غير ان التقاليد المختلفة ، والعادات الموروثة قد عدّدت المذاهب التي بعّدت الانسان عن أخيه الانسان ، وحجبت عنه الحقيقة السافرة ، وينظر الشاعر المفكّر الى المستقبل البعيد ، فيرى العالم كله يحيا بسلام ابدي ، لأنه يدين بدين واحد عالميّ ، ربّه الحب والمعرفة ، ورسوله الانسانية ، ودنياه الحياة المشرقة . واما هذا الدين العالميّ — على حدّ تعبير نعيمة — هو "ملحمة الملاحم : ملحمة الانسان مع نفسه ، ومع الارض والسماء" (٤) .

نرى مما تقدّم ان وعي الادباء العرب المحدثين قد اشتد واستيقظ ، وان الشعراء منهم خاصّة يميلون الى توحيد الاديان وتجريدها من المذاهب ، وحثّ الناس على هدم التقاليد البالية ، والعادات السقيمة ، التي تقف عثرة في سبيل رقيّ انفسهم من جهة ، ورقيّ بلادهم من جهة اخرى . وقد اعتبروا الدين شعورا واحساسا يدعو الى المحبة والسلام ، وطرح الحقد والحسد ، وهو سعي مستمرّ في سبيل حياة واعية ، مشرقة ، تدعو الى دين واحد ، ربّه الحب والمعرفة ، ورسوله الانسانية .

---

(١) جبران خليل جبران — البدائع والطرائف ، ص: ١٩٤
(٢) عباس محمود العقاد — ديوان العقاد (مصر ، ١٩٢٨م) ص: ٢٦
(٣) نقولا الحداد — مجلة السيّدات والرجال ، السنة : ١١ ، ج : ٧ ، ص: ٤٢٦
(٤) ميخائيل نعيمة — صوت العالم ، ص: ٦٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ان الموت سرّ ، لم يتوصل الى حقيقته انسان منذ كان الانسان . كل كائن يموت ويفنى ، وقد تأمل المفكرون القدماء في روح الانسان او نفسه ، وفي مصيرها غير انهم لم يجزموا جزما قاطعا في مصير الانسان بعد الموت ، وكل ما عرف عنه هو ان الجسد يتوارى تحت التراب ، ويتلاشى عن وجه الارض ، وقد استمدّ الشعراء العرب القدامى وحيهم عن الموت من تجاربهم الفطرية او من الكتب الدينية ، أو من الفلاسفة المفكرين ، فمنهم من قال بالبعث والنشر ، ومنهم من قال برجوع الروح الى الله منبعها ومصدرها ، ومنهم من وقف موقف الشك والحيرة ، غير ان الشعراء العرب القدامى عامة لم يجعلوا الموت موضوعا لقصائدهم ، بل ذكروه عرضا في الرثاء ، بأبيات قليلة . اما الشعراء العرب المحدثون فقد ذكروا الموت في قصائد الرثاء وغير الرثاء ، وجعلوه موضوعا لقصائدهم ، متأملين فيه ، باحثين عن سرّه . ولم تختلف نظرتهم الى الموت كثيرا عمن سبقوهم ، غير انهم لم يتقيّدوا بالكتب الدينيّة ، ولم يستوحوها ، بل سعوا بأنفسهم يتأملون ويبحثون ، ويطلعون على الفلسفة المادية الاوربية الحديثة التي تقول ان الحياة دائرة ، فالانسان ينحلّ ذرات في التراب ليكون غذاء للزرع والعشب والزرع ينحلّ ليكون غذاء للحيوان والانسان . والحيوان ينحلّ ليكون غذاء للانسان .... والشعراء مؤمنون بالروح المبدعة ، لم يعرفوا ما مصيرها ، ولم سكنت في الانسان اذا كان مصيرها الى التراب ؟

يقف الشعراء العرب حائرين ، متسائلين عن الموت وحقيقته ، تارة يؤمنون بخلود الروح ، وما تنتجه من خلق وابداع ، وتارة اخرى يقفون موقف الشك والحيرة واللأدريّة .

ان الموت يقضي على كل كائن الا الله ، ويدور على كل انسان ، فلا ينجو منه امرؤ ، قويا كان او ضعيفا :

هو الموت لم ينج منه امرؤ ولو انه في بروج تشيّد
يموت القوى كما انه يموت الضعيف فهل من مخلد
وما المرء الّا رهين الردى فسبحان من بالبقاء تفرّد (١)

ويطفىء الموت كما تضيئه الحياة ، ويدفع الانسان الى نومه الابدّي ساكنا بلا حراك :

يطفىء الموت ما تضيء الحياة ووراء انطفائه ظلمات
ان للنازلين في القبر نوما تنتهي في سكونه الحركات (٢)

---

(١) جميل الزهاوي ـ الكلم المنظوم ـ ص: ٦
(٢) المصدر نفسه ، ص: ٨٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والموت آفة الحياة ، لانه لا يبقي شيئا :

ما ألذ الحياة لو لا المنايا على الاثر
انما الموت آفة ليس تبقي ولا تذر (١)

والموت يقضي على العالم والجاهل ، وعلى الكبير والصغير :

خالط ترب الارض جثمانه مطحونة منه بها الاضلع
لله در الموت من خطة فيها استوى ذو العيّ والمصقع
ما أقدر الموت فمن حوله لم ينج لا كسرى ولا تبع (٢)

وقد نشر الموت حبائله في كل مكان ، حتى ان الشاعر لا يرى مهربا منه :

اين المفرّ وللمنون حبائل منصوبة كيف اتجهنا جينا (٣)

ولكن الشاعر لا يخاف الموت ، لانه موقن برجوعه الى الارض :

ما بنفسي خشية الموت ولا منه ارتهابي
انا للارض وان طال عن الارض اغترابي (٤)

ويرى الشاعر في الموت راحة ، يستريح فيه الانسان من الاتعاب والاوصاب ، ولعل روح ابي العلاء التشاؤمية لاقت صدى في نفوس شعرائنا العرب المحدثين ، الذين يطلبون الكمال عن طريق الجد والكفاح والسعي ، حتى اذا تعبوا من النشيد ، وجدوا انفسهم في عصر كثرت فيه الاضطرابات والفساد ، وحالت بينهم دون الوصول الى غايتهم المثلى ، فذكروا أبا العلاء ، الشاعر العربي الذي لم يستطع ان يبلغ الكمال في الارض لانتشار الفساد في عصره ، فطلب الموت ليتخلص من البشر وهمهم ، ومن التفكير المضني :

إن سئمت الحياة فارجع الى الارض تنم آمنا من الاوصاب
تلك أم احنّ عليك من الام التي خلقتك للاتعاب
وحياة المرء اضطراب فان مات فقد عاد سالما للتراب (٥)

ويقول عبد الرحمان شكري ان الموت لذة ، تخلّص الانسان من التعب والعناء :

لا يلذّ الموت الا متعب سهر العيش وفي الموت رقد
رقدة يا طيبها من رقدة بعد ان عاشوا بلى وسهد (٦)

فالموت رحيم ، ينقذ الانسان من القسوة في الحياة الدنيا ، ومن الجهل والحقد والخوف والأسى ، ومن التفكير المضني وهو عزاء للناس أجمعين ، وفي ذلك يقول فخري ابو السعود مخاطبا الموت :

---

(١) جميل الزهاوي ـ الاوشال ، ص: ١١٩
(٢) معروف الرصافي ـ ديوان الرصافي ج: ١ (مصر، ١٩٢٥م) ص: ٣٣ و ٣٤
(٣) نجيب عبد الله مشرق ـ المشرقيات (حريصا، لبنان، ١٩٣١م) ص: ٣٨
(٤) ايليا ابو ماضي ـ الجداول ، ص: ٧٣
(٥) اسماعيل صبري ـ مجلة الزهور السنة الثانية مج: ٩ ص: ٤٧٩
(٦) عبد الرحمان شكري ـ مجلة الرسالة السنة الثالثة مج: ٢ عدد: ١٣٠ ص: ٢١٠٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تمحو يداك الحقد والخوف والأسى وكلّ بلاء في النفوس قديم
وانت تريح الفكر من كلّ معضل يظلّ له في حيرة ووجوم
عزاء لبعض الناس انك قادم وان شقاء العيش غير مقيم (١)

ويقول الزهاوي ان الموت راحة ، غير ان الانسان يحب الحياة بالرغم من اوصابها :

كل كرب يا ايها الحيّ فاصبر ينتهي عندما يجيء الممات
ان في الموت راحة غير ان المرء قد لا ترضيه الا الحياة (٢)

ويقول ايضا :

للقاء الموت قد جد مني الطلب
ان موتي راحة وحياتي تعب (٣)

ويرى الشاعر في الموت عزاء وتسلية ، فهو خير ما ورثه عن آبائه :

أنا بالموت وحده أتسلى عن هموم الحياة والادعاث
انما الموت خير ما خلقته لبنيها الآباء من ميراث (٤)

فما هو الموت ؟ وهل تخلد الروح او النفس بعد الموت ؟ وما يترك الانسان خلفه؟ ...

ان الجسد يفنى ويرجع الى التراب ، هذه ظاهرة لا يشكّ فيها أحد ، وأما الروح فيقف بعض الشعراء موقف المؤمنين بخلودها ، ويقف بعضهم موقف المؤمنين بفنائها مع الجسد ، وأما البعض الآخر فيقف موقف الشكّ والحيرة واللأدرية متسائلين عن الموت وكنهه .

ويؤمن يعقوب صروف برجوع الروح بعد اكتمالها وارتقائها — كما قال ابن سينا — الى العالم الروحاني وبقائها فيه :

أما اجسامنا ليست سوى صور مشكلات بأشكال وألوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جثماني
حتى اذا تمّ في الدنيا تطوّرها طارت الى منزل في الكون روحاني (٥)

وكذلك يقول العقّاد ان الروح خالدة :

أراني على الحالين روحا وبنية احسّ بأن الموت ليس بمفقدي
فان كنت ذا جسم ذوى قبل مصرعي وان كنت ذا روح فروحي مخلّدي (٦)

---

(١) فخري ابو السعود — مجلة الرسالة السنة الثالثة مج : ٢ عدد : ١٢٢ ص: ١٧٨٩
(٢) جميل الزهاوي — الكلم المنظوم ص: ٨٩
(٣) جميل الزهاوي — رباعيات الزهاوي ص: ٥١
(٤) المصدر نفسه ص: ١٧٢
(٥) يعقوب صروف — ابولو مج : ١ عدد : ١٠ ص: ١١٦٨
(٦) عباس محمود العقّاد — بعد الاعاصير (مصر ١٩٥٠م) ص: ٢٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والـــروح في نظر الزهاوى خالدة ، تنتقل بعد الموت من جسد الى جســـد :

وسوف ابقى بك من بعد الردى مرتهنا
وليس موتي غير تغييرى شكل السكنا
فلا انفصال عنك لي هناك كنت ام هنا (١)

وكذلـــك يرى توفيق الشـــرتوني ان الموت هو تجديد الشكل الخارجي للروح ، وان الموت " مظهر من مظاهر التجديد لا من مظاهر الفناء ، لاني اعتقد بخلود المادة كما اعتقد بخلود النفس " (٢) . والموت في نظر قيصر معلوف هو تقبيح صورة الانســان ، وتشويهه ، لأن النفس خالـــدة :

فالنفس خالدة والموت ليس سوى تقبيح صورة انسان وتشويه (٣)

ويـــرى نسيب عريضة ان الموت هو انطلاق الروح وخلودهـــا :

صاح هل ! هل ترى
فوق اوج الذرى
بارقا قد سرى ما وراء الحدود
... تلك نار الخلود
تلك نار تشيق كلّ طرف طليق
هل اليها طريق غير درب اللحود
اذ تحلّ القيود (٤)

ويؤمـــن جبران بخلود كل موجود فيقـــول : " كل موجود باق . ووجود الموجود دليل على بقائه " (٥) ، وكذلك يؤمن بانتقال الارواح بعد الموت ، وارتقائها حتى تبلغ مـــا تشتاقه : " كل ما تشتاقه الارواح تبلغه الارواح " (٦) ، ولا سيما بعد الموت ، عندما تحلق في الفضاء ساعية الى خالقها من غير قيد ولا تعويق (٧) . ويؤمن جبران بالخلـــود الابدى ، فيقول : " انا كنت منذ الازل ، وها أنا ذا ، وسأكون الى آخر الدهر ، وليـــس لكياني انقضاء " (٨) ، فالموت في نظره بدء الحياة ، وظفر للروحانيين ، واما للماديين فهو انقضاء وفناء :

والموت في الارض لابن الارض خاتمة وللأثيرىّ فهو البدء والظفر
فالموت كالبحر من خفت عناصـــره يجتازه ، واخو الاثقال ينحدر (٩)

---

(١) جميل الزهاوى ـ الاوشال ، ص: ٨
(٢) توفيق الشرتوني ـ من حي الى ميت ، ص: ٨٣
(٣) قيصر ابرهيم معلوف ـ تذكار المهاجر ، ج : ١ ، ص: ١١٨
(٤) نسيب عريضة ـ الارواح الحائرة ، ص: ١٩٦
(٥) جبران خليل جبران ـ البدائع والطرائف ، ص: ١٩٩
(٦) جبران خليل جبران ـ العواصف ، ص: ٢٠٩
(٧) جبران خليل جبران ـ النبي ، ص: ٩٨
(٨) جبران خليل جبران ـ دمعة وابتسامة ، ص: ١٧٤
(٩) جبران خليل جبران ـ المواكب ، ص: ٤٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويـــرى ان الغابات لا تعرف الموت ، ولا تعرف القبور ، وهي بقاء وسرور للانســـان الذى يحيا فيهـــا :

ليس في الغابات موت لا ولا فيها القبور
فاذا نيســان ولّى لم يمت معه السرور
فالذى عاش ربيعا كالذى عاش الدهور (١)

وكذلـــك يرى نعيمة ان الموت بقاء ، وان الحياة تدور ، وليس لها بداية ولا نهاية :

عرفنا بأن الفناء بقاء
وان الحياة قبور تدور
أليس الصباح شقيق المساء ؟
أليس الطلاح شقيق الصلاح ؟ (٢)

والموت هو تحرير الروح والنفس ، وفي الموت خلود وبقاء ، ويشتاق الشاعر الى الخلود ، فيخاطب الانســـان :

" يا صورة الله الفتّانة
الضائعة اليوم في وادى الظلّ والحيرة
عهدا قطعت بالا أموت
حتى امزق عنك استارك وأردّك مثلما كنت
فتنة عريانة تحت الشمس
لكنني اذ ذاك لن أمـــوت (٣)

ويغـــرم الشاعر بطلب الخلود ، فيسعى ، ويجدّ في سبيله ، فيخاطب جبران نفسه :

يا نفس لولا مطمعي بالخلد ما كنت اعي
لحنا تغنيه الدهـــور
بل كنت انهي حاضرى قسرا فيعدو ظاهرى
سرا تواريه القبـــور (٤)

ويـــرى فوزى المعلوف في شعره الخلود ، فيخاطب الموت :

ايه يا موت ! لن تمسّ خلودى
فاقضي ما شئت لست وحدك تقضي
واذا كنت مالكا امر روحي
مثلما انت مالك امر نبضي
فانا خالد بشعرى على رغم
زمان عن قيمة الشعر يغضي (٥)

---

(١) جبران خليل جبران ـ المواكب ص: ٤٤
(٢) ميخائيل نعيمة ـ همس الجفون ص: ٦٢
(٣) المصدر نفسه ص: ١٠٦
(٤) جبران خليل جبران ـ جريدة الشام سنة ١٩٣٢ عدد : ٣٨ ص: ٩
(٥) فوزى المعلوف ـ ذكرى فوزى المعلوف (لعيسى اسكندر المعلوف) ص: ١٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكذلك يرى الياس قنصل ان الموت يفني الشاعر ، وأما شعره فيخلّده ، وفي ذلك يخاطب جبران وشعره :

وسيفني التراب جسمك اما هو لن يدري غير معنى البقاء ! ...
يتجلى الخلود في كل بيت يتهاوى بسحر الاستهواء ... (١)

وقد تأثر بعض الشعراء العرب بالطبيعيين الذين يقولون ان الجسد يفنى وينحل في التراب ، ويصبح غذاء للزرع والنبت والعشاب ، فيعطي للكائنات حياة ، وهكذا تدور الحياة على عجلة الازمان ، فاذا مات الجسم فجميع قوى الانسان تخمد وفي ذلك يقول الزهاوي :

فاذا ما مات جسم المرء فالروح تموت (٢)

والنفس لا تحس ، فلا رجاء للانسان بعد الموت ، فيقول :

ما للحياة وراء الموت تجديد فلا يقوم من الاجداث ملحود
القبر آخر بيت للألى هلكوا والحس في الهالك الملحود مفقود (٣)

...

لا حس عند النفس بعد زهوقها والنفس الا مرة لا تزهق (٤)

ويقول ايضا :

اذا ما نحت في جدث فلا سمع ولا صوت
وماذا كنت ترجو من حياة بعدها موت ؟ (٥)

ويقول زهير ميرزا ان الجسد يفنى ولن يرجع ، وان جميع قواه تهمد وتندثر :

عبثا نطلب الخلود ، مني الموت فمن كان للردى ليس ينفع
كلما حاول الصعود تعالى ... تعالي ... وسوف ينكب .. أجدع
طينة نحن .. ليس نعلو عليها .. واذا كان فالنهى قد يخدع
عد كما كنت للتراب ولا ترجع ! .. وكل لاصله سوف يرجع (٦)

ويتساءل بعض الشعراء عن سرّ الموت ، وعما قبله وبعده ، فيقفون موقف الشك واللأدرية والحيرة في أمر الموت العصيب ، الذي لم يستطع فيلسوف ولا عالم ان يكشف سرّه ، او انّ يبعده عن الانسان ، فيتأمل الشعراء حائرين في مصير الانسان ، ويقف علي محمود طه متسائلا بدهشة :

---

(١) الياس قنصل ـ العبرات الملتهبة ، ص: ٦٥
(٢) جميل الزهاوي ـ رباعيات الزهاوي ، ص: ١٤١
(٣) جميل الزهاوي ـ الاوشال ، ص: ١٢٧
(٤) المصدر نفسه ـ ص: ٦٢
(٥) جميل الزهاوي ـ رباعيات الزهاوي ، ص: ١٦٤
(٦) زهير ميرزا ـ كافر (دمشق ، ١٩٤٨م) ص: ٨٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ايصبح الانسان هذا الرميم والجيفة الملقاة نهب التراب ؟
ايستحيل الكون هذا الهشيم؟ والظلمة الجاثم فيها الخراب ؟
لمن اذا تبدع تلك العقول أفي الرّدى تدرك ما فاتها ؟
ام في غد تثوى بتلك الطلول ويسحق الدهر يواقيتها ؟ (١)

فهل يرجع الهيكل العظميّ بعد الموت ؟ هل يلقى اصحابه ورفاقه :

ترى يرجع هذا الهيكل العظميّ انسانا ؟
ويلقى بعد هذا الموت اخوانا وخلانا ؟
وهل نرجع بعد الموت احياء كما كنا ؟ (٢)

وما هو الموت ؟ ولأيّ غاية جئنا ؟ اللموت ام للشقاء نحيا ؟ :

والموت ما هو ... هل جسر نمرّ به ام هو غايتنا من كلّ ذا التعب (٣)

ويسأل العقاد عن الغاية من الحياة ، ويعجب جدا من فناء الاحياء :

فيم عشنا وغاية العيش موت فيم متنا ، وغاية الموت بقيا ؟
اعجب الحالتين عندي حيّ سوف يفنى ، لا ميّت سوف يحيا (٤)

ويتساءل ايضا اين يذهب الفاني :

اين يفنى الفاني ؟ايذهب من خلف نطاق الوجود ؟ما ثمّ خلف (٥)

ويحار ابو الفضل الوليد في الموت وما بعده ، ويتعجب من الدنيا اذا كان الفناء هو الغاية من الوجود :

أيبني المرء في الدنيا ويفني كما نسجت بيوتا عنكبوت ؟
وبعد الموت يدخل في التلاشي وليس له مصير أو مبيت ؟
ونحن الحائرون وليس ندري انحيا بعد موت ام نموت ؟ (٦)

ويتساءل المقدسي في البقاء :

يؤمل في البقاء وهل بقاء له من بعد طيّ في اللحود ؟ (٧)

---

(١) علي محمود طه ـ الملاح التائه ص: ٩٢
(٢) سيد ابرهيم ـ ابولو مج : ١ عدد : ٨ ص: ٨٦٧
(٣) محمد الحليوي التونسي ـ الرسالة السنة الثانية مج : ٢ ص: ١٥٠٣
(٤) عباس محمود العقاد ـ بعد الاعاصير ص: ٢٣
(٥) المصدر نفسه ، ص: ٣١
(٦) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الارواح ص: ١٥٥
(٧) انيس المقدسي ـ المورد الصافي ـ مج : ١٠ ج : ٤ ص: ٣٣٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقـــول العقاد كيف يصبح الانسان لا شيئا :

أنا شيء فكيف اصبح لا شيء اذا تمّ للحياة مداها ؟ (١)

ويتمنـــى نجيب شاهين ان يرجع احد من الموت ليخبره عما شاهد هناك ، لأن سرّ الموت قد حيّـــره :

ليتما يرجع من وادي الردى ... مخبر يخبر عما شاهدا
سرّ هذا الموت قد حيّرني ... أنا منه بين شكّ ويقين
كلما فكّرت اوهت رويـــي ... صخر ايماني والركن الثمين (٢)

وعندمـــا يتأمل ابو ماضي في مصير الانسان ، ويراه حفنة من تراب يقول متألمـــا :

أكذا نموت وتنقضي احلامنـا ... في لحظة والى التراب نصير ؟
خير اذن منّا الالى لم يولدوا ... ومن الانام جنادل وصخور (٣)

ويتساءل ابو ماضي حائرا عمّا بعد الموت ، وعمّا يقول الناس فيه ، غير انه لا يدري شـيئا :

اوراء القبر بعد الموت بعث ونشور
فحياة فخلود أم فناء فدثـــور . . . ؟
اكلام الناس صدق ام كلام الناس زور ؟
اصحيح ان بعض الناس يدري ؟
لست ادري . . . (٤)

ويقـــول ايضا في البعث متســـائلا :

ان اكن ابعث بعد الموت جثمانا وعقلا
اترى ابعث بعضا ام ترى ابعث كلّا ؟
اترى ابعث طفلا ام ترى ابعث كهلا ؟
ثم . . هل اعرف بعد البعث ذاتي ؟
لست ادري . . . (٥)

ويحـــار نعيمة في القلوب الحسّاسة التي اصبحت ترابا ، فيمدّ يده الى التراب علّه يحسّها تنبض حبا او بغضـــا ، فلا يحسّ شيئا فيسأل ويخاطبا الجماجـــم :

حدّثيني عن القلوب التي كانت قلوبا واليوم صارت ترابا
كيف كانت بالامس ثملى ولا تحسب للموت في الحياة حسابا
نابضات حبا وبغضا وايمانا وشكا وراجيات ثـــوابا
ها أنا ألمس التراب فلا ألمس همّا أو غبطة او عذابـــا

---

(١) عباس محمود العقاد ـ بعد الاعاصير ص: ٢٣
(٢) نجيب شاهين ـ المقتطف ـ مج: ٩٨ ج: ٣ : ص: ٣١٣
(٣) ايليا ابو ماضي ـ الخمائل ـ ص: ١٦
(٤) ايليا ابو ماضي ـ الجداول ص: ١٥٠
(٥) المصدر نفسه ص: ١٠٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اترين الاشواق صارت بروقا ودموع الاحزان اضحت سحابا ؟
وأنين القلوب أمسى رعودا وأمانيها استحالت ضبابا ؟
ام ترين التراب عاد ترابا وسراب الآمال عاد سرابا ؟ (١)

وهكـــذا وقف الشاعر العربي الحديث بين الجماجم والقبور ، متأملا في الموت ، سائلا عن كنهه ، تارة يؤمن بخلود الروح ، وفناء الجسد ، وتارة اخرى يؤمن بفناء الروح والجسد معا ، وقد يعتبر الموت ظاهرة طبيعية ، قال بها العلماء الغربيّون والفلاسفة الطبيعيون ، غير اننا نراه يطيل الوقوف بين هاتين النظريتين ، فتغمره الحيرة والشكّ واللأدريـــة .

وأمّـــا النزعة البارزة في الشعر العربي الحديث ، فميل الى الايمان بخلـود الروح ، لا سيّما ما تتركه وراءها من آثار روحيّة عالميّة جميلـــة .

---

(١) ميخائيل نعيمة ــ همس الجفون ص٤ ٨٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هـــذه هي قطرات روحيّة أمدّتنا بها ديمة مباركة سمحاء ، فانتعش أدبنا الحديث ، وما نزال ننتظر المستقبل الذى يحمل الينا الخصب كله ، ليشتد هذا الادب وينمو ويترعرع ، وليصبح جديرا بالاحترام من جميع الامم الراقية ، فتتغنى به الالسن في كل مكان وزمـان .

ان شـــاعرنا العربي الحديث لا يرضى الّا التأمل العميق في كل ما يقول فيعنى بالفكر والشعور معا ، وينظر الى الحياة نظرة سامية ، عمادها السعي والكفاح ، يؤمـــن بالله ، ويحسّه في كل ذرة منه ، ويؤمن بالعقل ويمجده في جميـــع اعماله ، ويؤمـــن بالروح وخلودها . لقد اشرقت في ادبنا العربي الحديث الروحانية التي تدعو الـــى السـلام والاخاء والمحبة ، والتي تؤمن بالانسانية ، واصبحت القصيدة الحديثة تعالج موضوعا لا يخلو من الفكر والشعور ، ولا يخلو من التجريد والارتفاع عن حدود المادة ، تحلّق في ما وراء الآفاق ، بعد ان كانت القصيدة الواحدة القديمة عامة تعالج مواضيع مختلفـــة ، ولا ترتفع عن نطاق المادة ، تعنى بالصور المادية والموسيقى اللفظية والمحسنات اللغوية .

ولا شـــك في ان الادب العربي الحديث في طريقه الى الكمال ، فينبغي علـــى الادباء العرب الحديثين ان يجاهدوا في سبيل ذلك ، وقد استطاع بعض الافراد علـــى حدّ قول خالد محمد خالد " ان يتغلبوا على مشاق بيئتهم وظروفهم ، ويكتسبوا لأنفسهم رغم متاعبهم وآلامهم حياة روحية وضيئة " (١) ، يعبّرون عنها في قصائدهم .. وقـد نعثـر في ديـوان واحد على قصيدة او قصيدتين أو اكثر ، تعالج فيها مشاكل انسانية ، تمجـد الحرية والعدل والمساواة وتدعو اليها ، وقد نقلب مئات الصفحات من المجلات العديدة لنعثر على قصيدة واحدة تعنى بالروحانية وتبشر بها ، واشهر الشعراء الذين عنوا بمشاكل الروح والنفس عبد الرحمان شكرى واحمد زكي ابو شادى ، وفي العراق الزهاوى والرصافي ، وفي تونس ابو القاسم الشابي ، وأما في سوريا ولبنان فنجد أن الشعراء المهجريين ساهمـوا جملة مساهمة فعّالة في هذا الاتجاه الروحي الجديد ، يجيء في طليعتهم جبران ونعيمة ، ساعدهم على ذلك عوامل كثيرة اهمها الحرية الفكرية التي عاشوا في ظلالها ، والاحتكـــاك مباشرة بالحضارة الغربيّة ، واستعدادهم لهضم الثقافة الاوربية والايمان بهـــا .

ولا بـــدّ من القول ان الادب العربي الحديث عامة ما زال يتلمّس طريق التحـــرّر تلمسا ، وما زال أربابه وحملة المشاعل فيه يعانون آلام الكبت والعنت للوصول به الى الهدف ، فأكثرهم لا يعيشون في اجواء حرّة طليقة . أمّا أبناء الطليعة فهم اولئك الذين اســـتطاعوا ان يتحرروا ، ويطرحوا جانبا التقاليد والعادات ، فحاربوا الاستسلام ، وكافحوا في سـبيل حياة أفضل من حياة اجدادهم ، وعبّروا عن تأملاتهم الحرّة فبحثوا عن الله وعن كنهه دون التفات الى الكتب الدينية ، وعالجوا في شعرهم مشاكل الروح والنفس والحياة والوجـــود والجمال والكمال والفن والحقيقة والحب والسعادة والانسانية والوطنية والحرية والديـــن والموت والمعاد والخلود ، وجعلوا هذه القيم الروحية مواضيع لقصائدهم ، فجاء شـــعرهم امام هذه المجرّدات ساعيا لكشف أسرارها ، ومعرفة اعماقها ، مؤمنا بها ، حاضا عليهـــا ، مناديا بأله جديد هو الحب والمعرفة ، ورسول جديد هو الانسانية ، وبعد .. فما هـــي

---

(١) خالد محمد خالد ـ من هنا نبدأ ص: ٦٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

العوامل التي تقوّى القيم الروحية في الادب العربي الحديث ، وتدفعه نحو الكمال وتجعل منه ادبا روحانيا عالميا مخالدا يحكي حال كل انسان في كل مكان وزمان ؟ ... ولقد سبق لنا ان ذكرنا العوامل التي اضعفت الروحانية في الشعر العربي القديم (١)، وهذه العوامل ذاتها هي التي تضعف ادب الروح في كل عصر ، وتبعده عن الخلق والابداع لذلك فلا نرى داعيا في تكرارها ، بل نكتفي بذكر بعض العوامل التي تقوّى أدبنا العربي الحديث ، وتجعل منه ادبا روحانيا ، عالميا مخالدا ، وهي في نظري :

١ ـ الثقافة الصحيحة
٢ ـ الحريّة
٣ ـ النقد الصحيح

اوّلا : الثقـــافة

ينبغـــي على الاديب العربي الحديث ان يفهم الادب القديم ، والثقافـــة العربية القديمة عامة ، وأن يتصل بالثقافة الغربية الحديثة ، فمن اهم ميزات الاديـــب الحقيقيّ سعة الاطلاع ، والالمام بآداب الامم على الاطلاق ، وفلسفتهم وعلومهم وفنونهم ، فالثقافة العميقة تساعد الاديب على طرق ابواب جديدة ، ومعالجة مواضيع عميقة ، ويشترك فيها العقل والشعور معا ، فيقوى الانتاج الادبي ، ويبلغ درجة الادب العالميّ الـــذى لا يعرف الحدود ولا السدود ، ويؤمن بالحياة الراقية ، وما تحمله من حضارة ، فيهضمهـــا حتى تصبح جزءا من ذاته الكبيـــرة .

فالاديب العربي الحديث يجب ان يلتفت الى الثقافة العميقة ، ويأخذها جـــادا ، متصوّفا في سبيلها ، حتى يستطيع ان يرتقي بأدبنا الحديث الى درجة الكمال [redacted] ، لا يخافون العوز والفقر ، فالحكومات الفاضلة لا تدفن مواهب ابنائها ، ولا تسخّر روحانيتهم للمادة الطاغية ، بل تساعدهم على نشر انتاجهم الفنّي ، وتكفل لهم حياة راضية ، وتشجع فيهم الاختصاص الادبي والانقطاع اليه ، لان الادباء ـ على حدّ قول طه حسين ـ لن يستطيعوا " ان يفرغوا للانتاج الادبي القيم الذى يذكـــي الثقافة ويرقيها ، ويهذب الاذواق ويصفيها ، وأن يعملوا مع ذلك ويجاهدوا لكســـب حياتهم اليومية " (٣) ، وبهذا يكون للامة العربية ادب جديد ، وليد العصر الحديث لا القرون الوسطى ، فلا يدخل على الادب التجديد الا بواسطة شعراء واسعي الاطـــلاع والمعرفة ، متصوفين في سبيله ، هؤلاء الادباء يسعون وما وراء المعرفة يأخذونها اينما كانت ، ويتعمقون فيها ، فمن اهم ميزات الشاعر ان تكون " جذوته مضطرمة دائما وضميـــره

---

(١) الرسالة ص : ٩٢ ـ ٩٩

[redacted]

(٣) طه حسين ـ مستقبل الثقافة في مصر ج : ٢ ص : ٥٠٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

(حيّا) دائما ، وقلبه مرآة لكل شيء " (١) ، حتى يستطيع ان يكون وعاء حيا للثقافة الحقيقية الحيّة . ومن واجب الاديب يقول محمد مندور " ان يكون مثقفا ثقافة منظمة عميقة مهضومة " وبالتالي ينبغي على بلادنا العربية ان تفهم ان الادب لم يخلق من العدم والفطرة والسذاجة . (٢) فالثقافة الصحيحة تجعل الاديب ممتازا ، خالدا ، عبقريا ، يجدّد باستمرار ، فهو ابن عصره والزمن الذى يحيا فيه ، وليس ابن العصر الجاهلي والقرون الوسطى ، فكيف يستطيع الاديب العربي ان ينتج ليساهم في الادب العالمي ، وهو متأرجح بين الماضي الذى يجره الى الوراء ، والحاضر الذى يدفعه الى الامام ؟ ... على ادبنا اليوم عموما ان يعدل ويعمق بواسطة الثقافة العميقة ، وبمتن " بربطه — كما يقول زريق — بسائر الفنون التي تسعى مثله الى الجمال ، وبتغذيته بمبادئ الفلسفة والعلم التي تؤلف عنصرا هاما من عناصر الثقافة الحديثة ، بل من كل ثقافة رشيدة " (٣) ، فالثقافة الحقيقية تحرّر النفس من الماضي ، والتغني به ، وتعنى بالحاضر وترفيته ، وتجعل الانسان طبيعيا يحيا في صميم عصره وزمنه . والثقافة حرّة لا تعرف الّا الحرية المطلقة ، فهي التي تكسّر الحدود المصطنعة ، والسدود المرفوعة بين الامم ، وهي لا تتعصب لجنس ، ولا تأنف من الاطلاع على فنون اى امة ، وفلسفتها وعلومها ، والثقافة الحقيقية وطنها العالم ، ورسولها الحرية ، فاذا أردنا ان نحفظ لادبنا العربي الحديث خلوده ، وجب علينا ان نلفت ادباءنا الى ضرورة الثقافة العميقة ، فالشعر الخالد هو أدب الفكر والشعور معا .

نريد نهضة ادبية حقيقية كاملة ، فلنبدأ :

اوّلا : بالاطلاع على الادب العربي القديم ، والثقافة العربية القديمة عامة ، ليس للتقليد ولا للايحاء ، بل لفهم الحركات الادبية ، وتلافي الاخطاء التي وقع فيها الادب العربي القديم .

ثانيا : بتغذية الاحساس بالجمال ، والذوق بالفنون ، وانفتاح النفوس على الثقافة الغربية العميقة ، وما فيها من علوم وآداب وفنون وفلسفة ، ليس للتقليد ولكن للتجديد والتنويع في الادب العربي الحديث ، وتلافي النقص فيه ، وجعله في مصاف الآداب العالمية الخالدة ، وذلك لا يتمّ — على حدّ تعبير موسى سليمان " الّا بعد ان تنصهر نفوسنا في الادب الاوربي العالمي انصهارا صحيحا ، ونغذى عقولنا ، وارواحنا من معين الفكر الاوربي الذى هو جوهر الفلسفات القديمة " (٤) على ان نحافظ على شخصيّتنا ، ومن هنا يقول محمد مندور " ترانا ندعو جاهدين الى نقل الثقافة الغربية ان كنا نريد نهضة حقيقية " (٥) ، وينبغي لأدبنا الحديث — يقول توفيق الحكيم — " ان يتأثر بالحضارة الموجودة الحية اذا أراد أن يحيا ، وأن ينتشر ، وأن يفهم ويعترف به في الارض عامة . (٦)

---

(١) طه حسين — حديث الاربعاء ج ٣ ص: ٢٤٤
(٢) محمد مندور — في الميزان الجديد ص: ٧٠
(٣) قسطنطين زريق — الوعي القومي ، ص: ١٨٧
(٤) موسى سليمان — مجلة الكلية عدد يونيو الخاص سنة ١٩٤٤ ص: ٢٣
(٥) محمد مندور — في الميزان الجديد ص: ٨٧
(٦) توفيق الحكيم — تحت شمس الفكر ص: ٨٧ — ٨٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثانيا : الحـــرية

الحريـــة المطلقة هي الحرية المنتجة التي تحرّر نفس صاحبها من تقاليد الماضي ، وهي تبغي دائما التجديد والتنويع لا التقليد والجحود .. ومن طبيعة الادب ان يكون حرّا طليقا ، والادب العميق هو وليد الحرية ، فينبغي على الاديب المثقف ان يحرّر نفسه من الخوف اوّلا ، ثم ينبذ التقاليد البالية ، ويحطّم الاصنام الموروثة ، ويرتفع بنفسه الى دنيا لا حدود فيها ولا سدود ، مجتازا كل عقبة في رحلته هذه . فاذا تدوا فـــرت الحرية للاديب ، وامتلأت شخصيته ، وانفتح عقله ، وتجدّد فكره ، وازدهر انتاجه ، والادب القوىّ الخالد لا يترعرع الّا على تربة الحرية المطلقة ، فما قيمة الفكر المغلول ، والعقـــل القلق الحائـــر ؟ ...

وقـــد تنبه المفكرون العرب الاحرار الى ضرورة الحرية الشخصية للأديب حتى يستطيع ان يخلق ويبدع ما يشاء ، وفي رأى طه حسين انه اذا تركنا الحرية لأدبائنا كـــي " يظهروا النفس الانسانية عارية ، كما يفعل زملاؤهم الاوربيون ... ثق بأنهم قادرون على ذلك ، خليقون ان يبرعوا فيه " (١) ، وينبغي على الادب ان يشعر بالحرية المطلقـــة التي تمكنه " من ان ينظر الى نفسه كأنه كائن موجود ، ووحدة مستقلة ليس مدينا بحياتـــه لعلوم اخرى ... أو عوامل اجتماعية وسياسية ودينيّة اخرى " (٢) ، ويجب على الادب أن يتحرر من هذه العوامل ، ليتاح للادباء ان يقولوا ما يشاءون ، وأن ينتجوا ويبدعوا مـــا يشاءون ، فلا تكون القوانين عليهم صارمة بل سمحة مواعية .

يجـــب ان يتحرر ادباؤنا العرب من الدولة ومن الجمهور ، تكتنفهم الحرية مـــن كل صوب ، وتسهّل لهم الطريق للخلق الجيّد والابداع الجميل ، وحيث لا حرية في البـــلاد لا رقيّ ولا تجديد . فالأديب الحقيقي هو الذى يضيق بالحياة الحاضرة ، دائما يسعى الى تحسينها . وهي خصلة — يقول طه حسين — " يمتاز بها الرجل الراقي الحيّ ، ولن يرضى عن الحياة رضى مطلقا ، قوامه الاذعان " (٣) ، وقد شعر المفكرون العرب بحالة الاديـــب العربي الحاضرة ، وكيف يعيش قلقا ، خائفا ، في بيئة موبوءة ، وفي جوّ مسمّم ، وبين مجموع متزمت ، لا يستطيع أن يعبّر عن رأيه بحرية مطلقة . ولعلّ الحرية هي من اهم العوامـــل التي تقوى الانتاج الادبي ، وتجعل منه ادبا روحانيا خالدا ، لا يعرف الخوف ولا الحقـــد ، بل المحبة والانسانية ، فالاديب العربي اليوم يجب ان يثقف نفسه ثقافة عميقة ، تتغلغل في صميم نفسه ، مهما كلفه الامر من المشقة والجهد ، ثم يبدأ بالتمرّد على كل عثرة في طـــريق تقدّمه ورقيه ، وبالتالي في طريق تقدم بلاده العربية ورقيها ... فالحرية تقوى قلب الاديب وعقله ، وتفتح امامه آفاقا جديدة ، وقد رأى خالد خالد انه " لا بد من تغيير عالمنـــا العقلـــي او تهذيبه ، وترويضه حتى يسمح لكل فكر جديد ان يمرّ به ويجتازه ... لا بد من نبذ الجبن وقهر المخاوف وشحن ضمير الفرد ، والمجتمع ، والدولة بالشجاعة القادرة على مواجهة المشكلات وفضها " (٤) .

---

(١) طه حسين — مستقبل الثقافة في مصر : ٢ مص : ٥١٣
(٢) طه حسين — في الادب الجاهلي (القاهرة ، ١٩٣٣م) ص : ٥٣
(٣) طه حسين — مستقبل الثقافة في مصر : ١ (مصر ، ١٩٣٨م) ص : ٦٧
(٤) خالد محمد خالد — من هنا نبدأ ص : ٢٢٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وبعد ان يتحرر الاديب من عالمه الداخلي — كما ذكرنا — ويؤمن بالحياة وتطوّرها ورقيها ، ينبغي عليه ان يتحرّر من تقديس الماضي ، ليحيا بكل ذرة منه في الحاضر الذى يتطلب منه قوة وجهدا مستمرين ، ليسير في ركب الحضارة الاوربية ، متأثرا بعقليتها النيّرة ، مدركا ثقافتها . وقد قال قابيل آدم ، الاديب التركي الجرئ انه يجب على الشعوب الشرقية ان تتخلص من تقاليد الماضي تخلصا كاملا ، وتحتل العقلية الغربيّة (١) ، وآدم هذا ، هو من الادباء الذين اضرموا نار الثورة على العقلية الاسيوية القديمة ، وعلى جميع التقاليد القديمة التي لا توافق الحياة الحاضرة ، ونادوا بالعقلية الاوربية . ونحن العرب نرى ان حاجتنا الملحّة اليوم هي ان نتحرر من الماضي القديم ومن عقليته القديمة التي لا تلائم الّا الحياة الآخرة ، والزمن الذى كوّنها ، ولسنا مغالين اذا قلنا اننا بحاجة ماسّة الى تغيير عالمنا العقلي كله ، لنستطيع ان نسير في ركاب الحضارة الاوربية . فالعقلية الاوربية تتماشى وحاجات هذه الحياة الدنيا ، ونحن ما زلنا نعيش في الماضي السحيق وتقاليده ، التي تجرّنا الى الوراء ، نستوحيها ونقدسها ، ونحن في عصر يختلف عن ذلك الماضي البعيد . لقد اصبحنا في تعلقنا بهذا الماضي كالمومياء المحنطة ، نعمل على تعويق التطور والحضارة ، وقد صنعت هذه المومياء المحنطة التقاليد التي — على حدّ قول آدم — "لم تسم بنا يوما الى افق السعادة والحرية والثروة ومعرفة حقيقة الانسانية" (٢) . ان هذه التقاليد دائما عثرة كبيرة في سبيل التقدم الثقافي ، والمساهمة الفعّالة في التراث الانساني .

ولقد آلم بعض رجال الفكر العرب ان يروا الشعوب العربية مازالت تقدّس القدماء وتسبغ على ما جاءوا به صفة من الجلال والتقديس ، فيتخذون ذلك "قاعدة من قواعد البحث ، ومقياسا من مقاييس النقد — غير ان طه حسين يجيبهم قائلا — : "اما أنا فلا اقدّس القدماء ، وانما انظر اليهم كما انظر اليك والى نفسي ، واعلم انهم مثلك ومثلي ، يجدون ويمزحون ، يحسنون ويسيئون" (٣) .

وينبغي على الادب ايضا ان يتحرّر من الدين ، والادب في حاجة الى هذه الحرية المطلقة ، فلا يعتبر الادب — كما كان قديما — وسيلة لفهم القرآن والحديث ، بل يعتبر لتذوق الجمال والترفع عن اوهاق المادّة ، ويجب ان لا تقدّس اللغة لانها لغة الدين ، بل تتحرر من هذا التقديس جملة ، "ويوم تتحلل من هذا التقديس ... يستقيم الادب حقا ، ويزهر حقا ، ويؤتي ثمرا قيما لذيذا حقا" (٤) ، فاللغة تتطوّر وترتقي ، وهي ليست منزلة ولا موقوفة من عند الله ، بل هي خاضعة للبحث والتجارب العلمية كما انها تتطور بتطور الحياة وضرورياتها . وكذلك ينبغي على الادب ان يتحرّر من رجال الدين المتزمتين الذين يعيقون العقل البشرى عن النماء والتطور ، كما تعيق النظم

---

(١) اسماعيل مظهر — وثبة الشرق (مصر ، ١٩٢٩م) ص: ٢١

(٢) المصدر نفسه — ص: ٢٧

(٣) طه حسين — حديث الاربعاء ج: ٢ ص: ٧٩ ، ٨٠ و ٨٨

(٤) طه حسين — في الادب الجاهلي ص: ٥٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الزيدي

التشريعية تطوّر الشعور الاجتماعي ، فالادباء المحدثون نريدهم لبلادنا العربيّة نريدهم ثائرين متمرّدين ، يقطعون عنهم القيود ، وينفضون عنهم التراب ، ويحيون في عصرهم الحاضر ، يؤمنون ايمانا قويا بالعقل والعلم والانسانية ، فيتحررون من تقاليد الماضي والنظم التشريعية التي لا تتفق ومتطلبات العصر الحديث . لقد قاسى الادب في مطلع نهضته آلاما واضطهادات من جمهور الرجعيين المنتشرين في البلدان العربية ، فعلى أدبائنا اليوم الّا يعيقهم عن سيرهم في طريق التجدد والتغني بالفكر الحديث أي عائق ، وعليهم ان يدعوا أمتهم الى ثورة اجتماعية ، ادبيّة فعّالة ، تنزعهم من ماضيهم نزعا ، وتقذفهم في موكب المدنية السائر ، ومن ناحية اخرى على الدين ان يؤمن بالعقل والتطور والارتقاء ، والّا فيكون الدين "كهانة" — على حدّ تعبير خالد الخالد — وينبغي عليها أن تتحمل "وزر تأخر الشعب وجهله ... وذلك بما تبشر به من تعاليم فاسدة ... تزعم انها دين او انها من الدين" (١) ، وهي التي لا تسمح بالتطور والتجديد ، بل تعمل ضد المجتمع لا معه ، فالكنائس في الغرب "تعمل مع المجتمع لا ضده ، وتمجد الرقيّ لا تلعنه ، وتدعو الى الحياة لا الموت ، وتتطور مع العلم والزمن ، وتقدم للفرد — دائما — كل حاجته الروحية التي تمكنه من السير مع مجتمعه لا التخلف عنه والنفور منه" (٢) ، لذلك وجب على الاحرار ان يتنادوا الى رسم سياسة جديدة لتنظيم المساجد ، وتهذيب وسائلها ، لأنارة المجتمع الاسلامي عامة ، حتى يستطيع الفرد الذى يعشق الحرية ان يحيا دون عائق بفكر ناضج ، وقلب نابض ، وانتاج عميق .

رأينا مما تقدم انه ينبغي على الاديب ان يتسلّح بالحرية الصحيحة التي تحطم السدود والحدود في طريقه الى الكمال ليخلق ويبدع ، والحرية الصحيحة هي خلاصة الحريات التي ذكرناها ، وهي الحرية الفكرية والحرية الاجتماعية والسياسية ، والحرية الدينيّة والتقليدية ، وهذه الحرية العميقة هي السلاح القوّى الذى يفتح به الاديب آفاقا جديدة ، وآمالا واسعة ...

ثالثا : النقد الصحيح

النقد الصحيح العميق ، هو النقد الذى يحيي الادب ويقوّيه ، وينسّقه وينظّمه ، فيخلصه من التشويش والاضطراب والقلق . والنقد العميق هو رسول يهدى الادب الى طريق رشيد معبّد ، ليمشي فيه باطمئنان ودعة . والنقد الصحيح هو الذى يخلد الادب ، ويحثه الى الكمال ، وتلافي النقص . فالناقد يجب ان يتحلى بما يتحلى به الاديب ، له ما للأديب من ثقافة عميقة ، وحرية مطلقة ، وله ما للأديب من ذوق مرهف ، وخيال خصب ، وعقل ناضج ، وعليه ما على الاديب من رسالة خالدة .. فالناقد هو عقل زمنه ، والشاعر هو لسان زمنه ، وهما يعيشان جنبا الى جنب في الامة الخالدة ، فاذا فقد الاديب الناقد فقد قوته وعمقه ، وفي ذلك يقول الرافعي ان الشاعر

---

(١) خالد الخالد — من هنا نبدأ ، ص: ٧٣

(٢) المصدر نفسه ، ص: ٧٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

" لا يكون لسان زمنه حتى يوجد معه الناقد الذى هو عقل زمنه " (١) .

ونحن ندعو ابناء العربية الى الالتفات الى قيمة النقد الصحيح الذى يكاد يكون مفقودا بيننا ، وينبغي على الناقد أن يكون مثقفا ، حرّا ، نزيها ، مجرّدا من كل غاية ، الّا غاية واحدة وهي انقاذ الادب من الاضطراب والضعف والتلاشي ، وانقاذه ايضا من الجمهور الهدّام ، والتقاليد المتزمتة ، والحكومات العربيّة العديدة وسياستها المجحفة ، فالناطقون بالعربية اليوم موزّعون بين عدة حكومات ، ولهذا — يقول العقّاد — "ينفصل الكاتب عن قرائه بكثير من الحواجز والحدود " (٢) ، فيضعف الادب ويقل الانتاج لأسباب مادية ، لا يستطيع الادباء ان يقوموا بها لينقطعوا الى الادب بذلك ينبغي على الحكومات العربية أن تسهّل لهم الطريق ، وتحميهم من العوز والفقر ، وتفتح لهم مجالا للحرية المطلقة والثقافة العميقة التي لا تعترف بالحدود ولا بالسدود ، فنرى انهم مستعدون ان يخلقوا ادبا عربيا قويا ، انسانيا خالدا ، حينئذ ينبع الادب من رغبات الروح ، لا من رغبات المادة ، فاذا لم يكن هذا فلن يكون للشاعر العربي " مثل عليا في النفس ، ولا عاطفة صحيحة نحو مطلب اعلى في الجمال النفسي " (٣) .

اذا ... من هنا نستطيع فقط ان ننال لادبنا العربي الحديث الخلود وننقذه من القحط الروحي ، والضعف العام ... ومن هنا فقط يجب أن يبدأ أدباؤنا مزوّدين بالثقافة العميقة ، والحرية المطلقة التي تدعو الى التحرر من الحواجز والحدود القائمة بين الامة العربية الواحدة ، والنقد العميق الصحيح الذى ينظم ويسهّل ، ويرفع لبنات قوية لبناء المجد والخلود ، ويحطّم اللبنات الضعيفة المهلهلة ، ويرجعها ذرّات من تراب ...

ومن هنا يدرك الاديب العربيّ ان رسالته هي "الخلق والابداع — خلق كيانه المفقود ، توطئة للأبداع "(٤) ، وتوطئة للوصول الى ذروات المجد التي لا تقوم الّا على دعائم الايمان بالعقل والحرية والانسانية ...

---

(١) مصطفى صادق الرافعي — المقتطف مج : ٦٨ ج : ١ ، ص: ٣٠
(٢) عباس محمود العقاد — مجلة الكتاب مج : ١٠ ج : ١ ص: ١٥
(٣) فؤاد سليمان — مجلة المكشوف السنة السادسة عدد ٣٦ ص: ٢
(٤) سامي الكيالي — الفكر العربي بين ماضيه وحاضره (مصر ١٩٤٣م) ص: ٩٣

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المصادر العربية
حسب الترتيب الهجائي

- ابن ابي حجلة ، شهاب الدين — ديوان الصبابة على هامش تزيين الاسواق ج ١ ، مطبعة بولاق — مصر ، ١٢٩١ هـ .
- ابن ابي سلمى ، زهير — ديوان زهير بن ابي سلمى (شرح الشيباني) مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ م .
- ابن ابي الصلت ، امية — ديوان امية بن ابي الصلت (جمع بشير يهوت) المطبعة الوطنية ، بيروت ، ١٩٣٤ م .
- ابن ابي طالب ، علي — ديوان علي بن ابي طالب ، المطبعة الاهلية ، بيروت ، ١٣٢٧ هـ .
- ابن الاثير — المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، مطبعة بولاق ، مصر ، ١٢٨٢ هـ .
- ابن جعفر ، قدامة — نقد الشعر ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ .
- ابن حجاج ، مسلم — صحيح مسلم ، ج ١ ، دار الطباعة العامرة ، مصر ، ١٣٢٩ هـ .
- ابن حزام ، عروة — ديوان عروة بن حزام ، مخطوطة بيد جبرائيل جبور ، ١٣٢٠ هـ .
- ابن حنبل ، احمد — كتاب السنة ج ١ ، المطبعة السلفية ، مكة ، ١٣٤٩ هـ .
- ابن الاحنف ، العباس — ديوان العباس بن الاحنف ، (شرح عبد المجيد الملا) مطبعة عبد الحميد احمد حنفي ، بغداد ، ١٩٤٧ م .
- ابن خلدون — مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، سنة ؟
- ابن خلكان — وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ج ١ ، المطبعة الميرية ، مصر ، ١٢٧٥ هـ .
- ابن دريد الازدي — ابو بكر بن الحسن — مقصورة ابن دريد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٩ م .
- ابن رشيق القيرواني — العمدة ، ج ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٠٧ م .
- ابن الرومي — ديوان ابن الرومي (جزءان) مطبعة التوفيق الادبية ، مصر ، ١٩٢٤ م .
- ابن سلام الجمحي ، محمد — طبقات الشعراء ، مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ؟
- ابن سينا — منطق المشرقيين ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، ١٩١٠ م .
- ابن الشجري — مختارات ابن الشجري (ضبط محمود زناتي) مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٢٥ م .
- ابن الطفيل — حيّ بن يقظان ، المطبعة المصرية ، الاسكندرية ، ١٨٩٨ م .
- ابن عربي — ترجمان الاشواق (تحقيق ر . أ . نيكلسون) مطبعة لندن ، ١٩١١ م .
- ابن عربي — الديوان الاكبر (ملك مرزا محمد شيرازي) مطبعة بومبي ، سنة ؟
- ابن الفارض — ديوان ابن الفارض (التزام محمد توفيق) ، القاهرة ، سنة ؟ .
- ابن الفارض — ديوان ابن الفارض ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٨٨٦ م .
- ابن قتيبة — عيون الاخبار ، مج ٢ و ٣ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٨ و ١٩٣٠ م
- ابن المعتز ، عبد الله — ديوان ابن المعتز ، (اعتناء محي الدين الخياط) مطبعة الاقبال ، بيروت ، ١٣٣٢ هـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

مؤسسة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

- ابو تمام - ديوان ابي تمام الطائي (ضبط شاهين عطية) المطبعة الادبية ،بيروت ، ١٨٨٩ م .
- ابو تمام - ديوان الحماسة (شرح التبريزي) مطبعة الكتبي ، مصر ، ١٣٣٥ هـ .
- ابو شادي ،احمد زاكي - ديوان اطياف الربيع ، مطبعة ؟ ، مصر ، ١٩٣٣ م .
- ابو شادي ،احمد زكي - ديوان الشفق الباكي - المطبعة السلفيّة ، مصر ، ١٩٢٦ م .
- ابو شبكة ،الياس - ديوان الى الابد ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، ١٩٤٤ م .
- ابو شبكة ،الياس - روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ، مطابع الاتحاد ،بيروت ، ١٩٤٥ م .
- ابو شبكة ، الياس - ديوان القيثارة ، مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٢٦ م .
- ابو العتاهية - الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهية (اعتناء لويس شيخو) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٩ م .
- ابو العلاء المعرّي - سقط الزند ، ج : ٣ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .
- ابو العلاء المعرّي - لزوم ما لا يلزم ، جزءان ، (اعتناء كامل كيلاني) مطبعة التوفيق الادبية ، مصر ، ١٩٢٤ م .
- ابو ماضي ،ايليا - ديوان الجداول - مطبعة مرآة الغرب ، نيويورك ، ١٩٢٧ م .
- ابو ماضي ،ايليا - ديوان الخمائل ، مطبعة دار الاحد ، بيروت ، سنة ؟
- ابو نواس - ديوان ابي نواس (شرح محمد واصف) المطبعة العمومية ، مصر ، ١٨٩٨ م .
- ابو الوفا محمود - ديوان انفاس محترقة ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٣٣ م .
- اسحاق ،اديب - الدرر ، المطبعة الادبيّة ، بيروت ، ١٩٠٩ م .
- الاصبهاني ،ابو الفرج - الاغاني ج : ٢١ ، المطبعة بريل ، ليدن ، ١٣٠٥ هـ .
- الآمدي - الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٤٤ م
- امين ،احمد - ضحى الاسلام ج : ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- امين ،احمد - فجر الاسلام ، مطبعة الاعتماد ،مصر ، ١٩٢٨ م .
- امين ،احمد - فيض الخاطر ، ج : ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ، ١٩٤٠ م .
- امين ،احمد - فيض الخاطر ج : ٣ ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،مصر ، ١٩٤٢ م .
- امين ،احمد - قصة الفلسفة اليونانية ، ج : ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،مصر ، ١٩٣٥ م .
- امين ،احمد - قصة الفلسفة الحديثة ، ج : ٢ ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،مصر ، ١٩٣٦ م .
- الانطاكي ، داود - تزيين الاسواق بتفضيل اشواق العشاق - مطبعة بولاق ، مصر ، ١٢٩١ هـ .
- ايراني ، مؤيد ابراهيم - ديوان الدموع ، ج : ١ ، مطبعة الجميل - حيفا ، ١٩٣١ م .
- ايوب ، رشيد - ديوان الايوبيات ، مطبعة ؟ ،نيويورك ، ١٩١٦ م .
- البحتري - ديوان البحتري ، ج : ١ ،مطبعة الجوائب القسطنطينية ، ١٣٠٠ هـ .
- البخاري - صحيح البخاري ، ج : ١ ، ٣ ، ٨ ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ،مصر ، ١٣١٤ هـ و ١٣١٥ هـ .
- بدوي ،عبد الرحمان - التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٤٠ م .
- بدوي ،عبد الرحمان - شهيدة العشق الالهي ، مطبعة مصر ،القاهرة ، سنة ؟ .
- البستاني ، بطرس - ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، المطبعة البولسية ،حريصا ، لبنان ، ١٩٣٧ م .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

- البستاني ، فؤاد افرام — الروائع ، عدد : ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٧ م .
- بسترس ، سليم (د ى) — ديوان الجليس الانيس ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٨٨٧ م .
- البستي ، ابو الفتح — ديوان ابي الفتح البستي ، مطبعة جمعية الفنون — بيروت ، ١٢٩٤ هـ .
- بطي ، روفائيل — سحر الشعر ، ج : ١ ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٢٢ م .
- التبريزى — يحي بن علي — شرح القصائد العشر ، المطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٥٢ هـ .
- الثعالبي — يتيمة الدهر ، ج : ١ ، المطبعة الحنفية ، دمشق ، ١٣٠٣ هـ .
- الجاحظ ، عمرو بن بحر — الحيوان ، ج : ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٠٧ م .
- [illegible] .
- جبران ، جبران خليل — الاجنحة المتكسرة ، المطبعة الرشيدية ، كفرشيما ، ١٩٣٧ م .
- جبران ، جبران خليل — الارواح المتمردة ، ؟ ، ١٩٣٤ م .
- جبران ، جبران خليل — البدائع والطرائف ، مطبعة يوسف كوى ومصر ، ١٩٢٣ م .
- جبران ، جبران خليل — دمعة وابتسامة ، المطبعة التجارية الحديثة ، مصر ، ١٩١٤ م .
- جبران ، جبران خليل — رمل وزبد ، (ترجمة انطونيوس بشير) المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٢٧ م .
- جبران ، جبران خليل — السابق ، (ترجمة انطونيوس بشير) ؟ ، ١٩٣٧ م .
- جبران ، جبران خليل — عرائس المروج ، المطبعة الرشيدية ، كفرشيما ، لبنان ، ١٩٣٦ م .
- جبران ، جبران خليل — العواصف ، المطبعة الرشيدية ، كفرشيما ، لبنان ، ١٩٣٧ م .
- جبران ، جبران خليل — كلمات (جمع انطونيوس بشير) ، المطبعة العربية ، مصر ، سنة ؟
- جبران ، جبران خليل — آلهة الارض (ترجمة انطونيوس بشير) ، ؟
- جبران ، جبران خليل — المواكب ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، سنة ؟
- جبران ، جبران خليل — النبي ، (ترجمة انطونيوس بشير) ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٢٦ م .
- الجرجاني ، عبد القاهر — اسرار البلاغة ، مطبعة الترقي ، مصر ، ١٣٢٠ هـ .
- الجرجاني ، علي بن عبد العزيز — الوساطة بين المتنبي وخصومه ، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان ، ١٣٣١ هـ .
- حتي ، جربي ، جبور — تاريخ العرب (مطوّل) ج : ٢ ، مطبعة دار الكشاف ، ١٩٥٠ م .
- حداد ، رزق — ديوان نفحات الرياض ، مطبعة جريدة مرآة الغرب ، نيويورك ، ١٩٤٥ م .
- حسن ، محمد عبد الغني — ديوان من نبع الحياة ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٠ م .
- حسين ، طه — حديث الاربعاء ، ج : ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ١٩٣٧
- حسين ، طه — حديث الاربعاء ، ج : ٣ ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٥ م .
- حسين ، طه — مرآة الضمير الحديث ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٩ م .
- حسين ، طه — مستقبل الثقافة في مصر ، ج : ١ و ٢ ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٣٨ م .
- حسين ، طه — من حديث الشعر والنثر ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٨ م .
- [illegible] .
- الحكيم ، توفيق — تحت شمس الفكر — مطبعة دار سعد مصر ، مصر ، ١٩٤٥ م .
- الحلي — ديوان صفي الدين الحلي — مطبعة حبيب خالد ، دمشق ١٢٩٧ هـ .
- حلمي ، محمد مصطفى — الحياة الروحية في الاسلام ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٤٥ م .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

- حيدر سليم - ديوان الآفاق ، مطبعة الاتحاد ،بيروت ، ١٩٤٦ م .
- حيدر ، لطفي - محاولات في فهم الادب ، مطبعة ، ؟ ، بيروت ، ١٩٤٣ م .
- الخال ، يوسف - ديوان الحرية ، مطبعة دار الاحد ،بيروت ، ١٩٤٧ م .
- خالد ، خالد محمد - من هنا نبدأ ، مطبعة دار النيل ،القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- خوري ، رئيف - الفكر العربي الحديث ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٣ م .
- الدسوقي ، عمر - في الادب الحديث ج١ ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٤٨ م .
- الرافعي ، مصطفى صادق - ديوان الرافعي ، مطبعة الجامعة ، الاسكندرية ، ١٣٢٢ هـ .
- الرافعي ، مصطفى صادق - رسائل الاحزان في فلسفة الجمال والحب ، مطبعة الهلال ،مصر ١٩٢٤م
- الرافعي ، مصطفى صادق - المساكين ، مطبعة دار العصور ، مصر ، ١٩٢٩ م .
- الرصافي ، معروف - ديوان الرصافي (جزءان) مطبعة دار المعرض ، بيروت ، ١٩٣١ م .
- الرضي ، الشريف - ديوان الشريف الرضي ،المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٣٠٩ هـ .
- الريحاني ، امين - انتم الشعراء ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٣٣ م .
- الريحاني ، امين - التطرف والاصلاح ، المطبعة العلمية ،بيروت ، ١٩٢٨م .
- الريحاني ، امين - الريحانيات ، ج : ١ ،المطبعة العلمية ،بيروت ، ١٩٢٢ م .
- الريحاني ، امين - الريحانيات ج : ٢ و ٣ ،المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٢٣ م .
- زريق ، قسطنطين - الوعي القومي ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، ١٩٤٠ م .
- الزهاوي ، جميل - ديوان الاوشال ، مطبعة بغداد ،العراق ، ١٩٣٤ م .
- الزهاوي ، جميل - ديوان رباعيات الزهاوي ، مطبعة القاموس ،بيروت ، ١٩٢٤ م .
- الزهاوي ، جميل - ديوان الكلم المنظوم ، المطبعة الاهلية ،بيروت ، ١٣٢٧ هـ .
- الزوزني - شرح المعلقات السبع ، المطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٥٢ هـ .
- زيادة ، مي - رسالة الاديب الى الحياة العربية ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٣٨ م .
- زيادة ، مي - الصحائف ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٩٢٤ م .
- زيادة ، مي - ظلمات واشعة ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٢٣ م .
- زيادة ، مي - كلمات وارشارات ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٢٢ م .
- زيدان ، جرجي - تاريخ آداب اللغة العربية ، ج : ٤ ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩١٤م .
- الزيات ، احمد حسن - في اصول الادب ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٤٦ م .
- الزيات ، احمد حسن - وحي الرسالة ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٤٠ م .
- السراج ، ابو نصر عبد الله بن علي - اللمع في التصوف (اعتناء نيكلسون) مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩١٤ م .
- سعيد ، جميل - اتجاهات الادب النكليزي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٩ م .
- سلامة ، بولس - حديث العشية ، مطبعة دير المخلص ، لبنان ، ١٩٥٠ م .
- سليمان ، موسى خليل - الحب العذري ، مطبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٧م .
- السيد ، احمد لطفي - تأملات في الفلسفة والادب والسياسة والاجتماع - مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٦ م .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

- السيّد ، احمد لطفي - المنتخبات ، ج : ٢ ، مطبعة المقتطف والمقطم ، مصر ، ١٩٤٥ م .
- الشرتوني ، توفيق حسن نادر - من حي الى ميت ، مطبعة المعرض ، بيروت ، ١٩٣١ م .
- شميّل ، امين - ديوان المبتكر - مطبعة ؟ ، بيروت ، ١٨٦٩ م .
- الشميّل ، شبلي - فلسفة النشوء والارتقاء ج : ١ ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٠ م .
- شوقي ، احمد - ديوان الشوقيات ج : ١ ، مطبعة مصر ، سنة ؟
- شوقي ، احمد - ديوان الشوقيات ، ج : ٢ ، مطبعة مصر ، مصر ، ١٩٣٩ م .
- شيخو ، الأب لويس - الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج ١ : المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٤ م .
- شيخو ، الأب لويس - الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج : ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٦ م .
- شيخو ، الأب لويس - شعراء النصرانية ، ج : ١ و ٢ ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٠ م .
- شيخو ، الأب لويس - شعراء النصرانية بعد الاسلام (٤ اجزاء) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٣ - ١٩٢٧ م .
- صليبا ، مظهر [illegible] في الانسان والوجود ، مطبعة صادر ريحاني ، بيروت [illegible] .
- صبري ، اسماعيل - ديوان اسماعيل صبري ، مطبعة لجنة التأليف ، والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .
- الضبي ، المفضل بن محمد - المفضليات ج : ١ ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٢٦ م .
- طه ، علي محمود - ديوان الشوق العائد ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٤٥ م .
- طه ، علي محمود - الملاح التائه ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٤٣ م .
- عازار ، نسيب - نقد الشعر في الادب العربي ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، ١٩٣٩ م .
- عبد النور ، جبور - التصوف عند العرب ، مطبوعات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٣٨ م .
- عبده ، طانيوس - ديوان طانيوس عبده ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٢٥ م .
- عريضة ، نسيب - الارواح الحائرة ، مطبعة جريدة الاخلاق ، نيويورك ، ١٩٤٦ م .
- العريّض ، ابراهيم - الاساليب الشعرية ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٥٠ م .
- العسكري - كتاب الصناعتين ، مطبعة محمود بك ، الآستانة ، ١٣٢٠ هـ .
- العقّاد ، عبّاس محمود - ديوان بعد الاعاصير ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٠ م .
- العقّاد ، عباس محمود - ديوان العقاد ، مطبعة المقتطف والمقطم ، مصر ، ١٩٢٨ م .
- عنتره - شرح ديوان عنترة (صححه امين سعيد) المطبعة العربية ، مصر ، سنة ؟ .
- غانم ، محمد عبده - ازهار الاشعار (جمع ارثر جون آربري (A.J. Arberry) ، مطبعة طيلوري ، لندن ، ١٩٥٠ م .
- الغزالي ، محمد - احياء علوم الدين ، ج : ١ ، المطبعة الازهرية المصرية ، ١٣٠٢ هـ .
- غلّاب ، محمد - المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة ، المطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- الفارابي ، ابو النصر - آراء اهل المدينة الفاضلة ، مطبعة النيل ، مصر ، سنة ؟
- فدعق ، علي حسن - نفثات من اقلام الشباب الحجازي (جمع فدعق الزواوي السّاسي) - مطبعة المكتبة العزيزية ، مصر ، ١٩٤٣ م .
- الفراتي ، محمد - ديوان النفحات ، مطبعة الفرات ، العراق ، ١٩٤٦ م .
- فريحة ، انيس - الفكر العربي ، مطبعة صادر ريحاني ، بيروت ، ١٩٥٠ م .
- فهمي ، منصور - خطرات نفس ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٣٠ م .
- فياض ، نقولا - رفيف الاقحوان - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٠ م .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

- فياض، نقولا - على المنبر ج : ١ ، مطبعة الاتحاد ،بيروت، ١٩٢٨ م.
- القرآن - مطبعة الحاج عبد الحميد احمد حنفي ، مصر ، ١٣٥٨ هـ .
- القرشي ، محمد بن ابي الخطاب - جمهرة اشعار العرب ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٣٠ هـ .
- القشيرى ، ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن - الرسالة القشيرية في علم التصوف (شرح زكريا الانصارى) مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ، ١٣٣٠ هـ .
- قنصل ، الياس - ديوان السهام ، المطبعة السورية ،بوانس ايرس ، ١٩٣٥م .
- قنصل ، الياس - ديوان العبرات الملتهبة ، مطبعة ؟ بوانس ايرس، ١٩٣١م .
- الكتاب المقدس ، ترجمة جمعية التوراة الاميركية والبريطانية والاجنبية ، القاهرة ، ١٩٣٨م .
- كثير - ديوان كثير بن عبد الرحمان الخزاعي ج : ٢ (جمع هنرى بيرس H. Pérès) مطبعة جول كربونل ،باريس - الجيريا ، ١٩٢٨ م .
- كرم ، يوسف - تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٣٦م .
- لبكي ، صلاح - ديوان سأم ، مطبعة منشورات الثقافة اللبنانية ، لبنان ، ١٩٤٩م .
- لبيد - ديوان لبيد (تحقيق بروكلمان) مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩١م .
- لبيد - ديوان لبيد العامرى (رواية الطوسي) (اعتناء يوسف ضياء الدين الخالدى المقدسي) مطبعة ادولف هلز هوسن - وين ، ١٨٨٠م .
- المتنبي - العرف الطيب في شرح ديوان ابن الطيب (لناصيف اليازجي) المطبعة الادبية ، بيروت ١٣٠٥
- مشرق ، نجيب عبد الله - ديوان المشرقيات ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، لبنان ، ١٩٣١م .
- مظهر ، اسماعيل - فلسفة اللذة والألم ، مطبوعات مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ١٩٣٧م .
- مظهر، اسماعيل - وثبة الشرق ، مطبعة دار العصور ، مصر ، ١٩٢٩م .
- المعلوف ، فوزى - على بساط الريح ، مطبعة الفنون ،ريو دى جانيرو ، ١٩٢٩م .
- المعلوف ، فوزى - ذكرى فوزى المعلوف (جامعه عيسى اسكندر المعلوف) مطبعة زحلة الفتاة ، لبنان ، ١٩٣٢ م ، [illegible] .
- المعلوف ، قيصر ابراهيم - ديوان تذكار المهاجر ج : ١ ، مطبعة المناظر ، سان باولو ، ١٩٠٤م .
- المعلوف ، نجيب يوسف - دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (لعيسى اسكندر المعلوف) المطبعة العثمانية ، بعبدا ، لبنان ، ١٩٠٨ م . [illegible]
- المقدسي ، انيس - امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٤٦م .
- المقدسي ، انيس - الذكرى لتنسون (ترجمة) المطبعة الاميركانية ، بيروت - ١٩٢٥م .
- المقدسي ، انيس - العوامل الفعالة في الادب الحديث ، مطبعة المقتطف ،القاهرة ، ١٩٣٩م .
- المقدسي ، انيس - المختارات السائرة ،المطبعة الاميركانية ،بيروت ، ١٩٤٣م .
- المكي ، محمد بن علي ابو طالب - قوت القلوب في معاملة المحبوب ج : ٢ ،المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣١٠ هـ .
- الملائكة ، نازك - ديوان شظايا ورماد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٩م .
- مندور ، محمد - في الميزان الجديد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٤م .
- المنفلوطي ، مصطفى لطفي - النظرات ج : ١ ، المطبعة الرحمانية ، مصر ١٩٢٥م .
- المنفلوطي ، مصطفى لطفي - النظرات ج : ٢ ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٣٠م .
- ميرزا ، زهير - كافر ، مطبعة دار اليقظة ، دمشق ، ١٩٤٨م .
- النابلسي ، عبد الغني - ديوان الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الالهية ،مطبعة بولاق ، مصر ، ١٢٧٠هـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

مؤسسة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

- النجفي ، احمد الصافي - ديوان الاغوار ، مطبعة الكشاف ببيروت ، ١٩٤٤ م .
- النجفي ، احمد الصافي - ديوان الحان اللهيب ، مطبعة اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٤٩ م .
- نعيمة ، ميخائيل - الاوثان ، مطبعة صادر ريحاني ، بيروت ، ١٩٤٦ م .
- " " - البيادر ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٥ م .
- " " - الغربال ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٦ م .
- " " - زاد المعاد ، مطبعة المقتطف والمقطم ، مصر ، ١٩٣٦ م .
- " " - صوت العالم ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، سنة ؟
- " " - كرم على درب ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٤٦ م .
- " " - مذكرات الارقش ، مطبعة المناهل ، بيروت ، ١٩٤٩ م .
- " " - همس الجفون ، مطبعة صادر ريحاني ، بيروت ، ١٩٤٣ م .
- الوليد ، ابو الفضل - ديوان رياحين الارواح ، مطبعة ؟ ، ١٩٣١ .
- اليازجي ، ناصيف - مجمع البحرين ، المطبعة الاميركسانية ، ١٩١٣ م .

(مجموعة من الادباء) - مجموعة الرابطة القلمية ، نيويورك ، ١٩٢١م

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اسماء المجلات حسب الترتيب الهجائي

ابولو — مج ١
الاديب — سنة ٧ و ٨ و ٩
الأمالي — السنة الاولى
التعاون — سنة ١٧
الحارس — سنة ٧
الحديث — سنة ٩ و ١٠
الاخلاق — سنة ٤
الرسالة — سنة ٢ و ٣ و ٤ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٥
الرياض — سنة ٣
الزهور — سنة ١ و ٢
السيدات والرجال — سنة ١١ و ١٢
الشام (جريدة) — سنة ١٩٣٢ عدد ٣٨ و ٤٢
الضاد — سنة ٨
العرفان — مج ٢٢ و ٢٨
العصبة — السنة الثانية
الغرى — سنة ١٠
الكتاب — سنة ١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٦
الكلية — مج ١٢ ، وعدد خاص ، يونيو ١٩٤٤ م .
المباحث — السنة الاولى
المشرق — مج ٣
المقتبس — مج ٢
المقتطف — ٣٣ و ٣٥ و ٥٢ و ٦٤ و ٦٨ و ٧٠ و ٧١ و ٧٤ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٦ و ٨٧ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١١٠
المكشوف — سنة ٣ و ٦
المناهج — مج ١ و ٢
المنهل — مج ٨
المورد الصافي — مج ١٠ و ٢٠
النبراس — مج ١ و ٢
الندوة اللبنانية — السنة الاولى
[illegible]
النشرة السورية — السنة الاولى
النواعير — السنة الرابعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الهـــلال — مج ٢٦ و ٢٨ و ٢٩ و ٤١ و ٤٢ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المصـــادر الاجنبيـــة

1 - Arnold, Matthew - Essays In Criticism, second series, London - New York, 1893

2 - Bowra, C.M.- A Book of Russian Verse , London, 1947.

3 - Bradley, A.C. - Oxford Lectures On Poetry, London, 1926.

4 - Burrill, E.W. - Literary Vespers, New York, 1924.

5 - Carlyle, Thomas - On Heroes, Hero-worship & the Heroic In History - Great Britain, 1841.

6 - Coleridge, S.T. - Biographia Literaria, London - New York, 1910.

7 - Christie, A.H. - Legacy of Islam v.2, (ترجمة زكي محمد حسن) مصر، ١٩٣٦

8 - De Boer, T.G. - تاريخ الفلسفة في الاسلام (ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة) القاهرة، ١٩٣٨

9 - Donnelly, F.P. - Art Principles In Literature, New York, 1923.

10 - Drake, D. - Invitation to Philosophy, Cambridge, 1933.

11 - Drew, Elizabeth - The Enjoyment of Literature, New York , 1935.

12 - Duhamel, G. - دفاع عن الادب (ترجمة محمد مندور) ، القاهرة، ١٩٤٢

13 - Emerson, Waldo - Essays - London, 1942.

14 - Evans, b.I. - A Short History of English Literature, New York, 1940.

15 - Guérard, Albert - Preface To World Literature, New York, 1940.

16 - Hitti, Philip - History of the Arabs, London, 1949.

17 - Jones, E.D. - English Critical Essays, England, 1916.

18 - Knight, W. - Prose Works of William Wordsworth V.I., London-New York, 1896.

19 - Lebon, G. - جوامع الكلم (ترجمة احمد زغلول) مصر، ١٩١٤

20 - Lodre, G. De F. القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق (ترجمة نزيه المؤيد العظم) ، دمشق، ١٩٢٥

21 - Lucas, F.L. - Ten Victorian Poets, Cambridge, 1940.

22 - Murry, J.M. - Countries of the Mind, London, 1931.

23 - Nicholson, R.A. - A Literary History of The Arabs, London , 1923.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

24 - Nôldeke - Sketches From Eastern History,(Transleted by J.S. Black), London, Edinburgh, 1893.

25 - O'leary, De Lacy - Arabia Before Muhammad, London - New York, 1927.

26 - Shelley & Sidney - Defence of Poetry, (Edited by H.A. Needham), London, ?

27 - Smith, J.H. & Parks - The Great Critics, New York, 1939.

28 - Snyder, F.B. & Martin R.G. - A Book of English Literature V.II,New York, 1943.

29 - Tisdel, F.M. - Studies In Literature, New York, 1919.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أدب الروح عند العرب

(تلخيص)

حاولت في رسالتي هذه أن أبحث عن القيم الروحية في الأدب العربي القديم ، وكيف تطور فهم الشعراء العرب القدامى لهذه القيم ، وقد رأيناها تتفلت من اوهاق المادة ، وتصعد تدريجيا حتى تجد عند قلة الفلاسفة الشعراء والشعراء الصوفيين تربة خصبة ، وتصبح قيمة انسانية مجرّدة ... ثم ذكرت الاسباب التي اضعفت القيم الروحية في الشعر العربي القديم عامة . وكذلك فعلت في الأدب العربي الحديث، وحاولت أن أبحث فيه عن القيم الروحية ، فاتضح لي ان في الأدب العربي الحديث ميلا الى الايمان بالقيم الروحية ، وتجريدا وتأملا فيها ، غير أنها لم تزل في الطريق حديثة ، تتلمس طريقها تلمسا ، وذكرت العوامل التي تقوّى أدب الروح ، لعلّ ادباءنا يتنبّهون اليها .

وقد قسّمت رسالتي الى خمسة فصول ، ذكرت في الفصل الاول ما نعني بالمادة المجسدة ، والروح المجرّدة ، واظهرت فيه الصراع الذى قام بين المادة والروح في الفكر الانساني منذ كان الانسان حتى عصرنا الحديث ، ثم كيف من خلال هذا الاصطراع نشأت الفلسفة التي جمعت المعارف كلها ، وكيف انشقت عنها واحدة فواحدة ، كل يبحث في حقله ، غير ان كل فرع له صلة متينة بالاصل ، فالفلسفة لا تنافي العلم والدين والادب ، كما ان للأدب صلة حميمة بالفلسفة والعلم والدين ، لأن الادب او الشعر هو أساس متين للمعارف كلها ، كلها تبدأ بالشعور والاحساس ، ثم يكون التعبير عنها فلسفة او علما او دينا .

وفي الفصل الثاني ، تحدثت عن فهم الادب عند الفرنجة ، وتحديدهم الأدب الحقيقي ، فالشعر عندهم من ضروريات الحياة ، وليس من الكماليات ، وللشعر عندهم رسالة انسانية ، يهدف دائما الى تجريد المادة ، والتأمّل فيها ليرفع النفوس الصغيرة، ويمنحها ايمانا وسموا ، ويقدم للنفوس الكبيرة نشوة وغبطة ، جميعهم يشتركون في الانشودة الكبرى ، جميعهم يقفون باسم المحبة على صعيد واحد . وكذلك بحثت في فهم الادب عند العرب المحدثين ، فوجدت شبها واضحا بينهم وبين الفرنجة ،وما اراؤهم الا صدى لآراء اخوانهم الفرنجة ، وقد اتفق الفريقان على ان الادب الحقيقي الخالد هو الادب الذى يغوص في اعماق النفس البشرية ، وفي اعماق الطبيعة ،ليحلّ غوامضها ، واسرارها ، يبحث دائما عن الحقيقة الكبرى ، وعن الكمال والجمال والخير، فيقرب الناس بعضهم الى بعض تحت لواء المحبة الانسانية الشاملة ، ويقدم للبشرية سعادة روحية ، وأدبا روحيا ، يتصل بالعواطف السامية عند الناس ، فيغذيها ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويهذبها ويرقيها . فأدب بالروح أدب ينبعث عن رغبات النفس ، فلا غش فيه ولا خداع .

وبحثت في الفصل الثالث في الشعر العربي القديم ، وقدّمت له بحثا في فهم الشعر عند العرب القدامى ، ورأيت ان فهم الشعر لم يتغير تغييرا كبيرا من عهد ابن سلام الى عهد ابن خلدون وما بعده ، ولم يتجاوز الاوزان الموسيقية ،والقافية والالفاظ الجيدة ، والصور الحسية ، وما فيها من تشابيه ، واستعارات واشارات ، ثم ذكرت تطور الشعر في اغراضه ومواضيعه ، من الشعر الجاهلي حتى العصور العباسية ، معددة المجارى الفكرية التي شاعت في الاعصر العباسية ، والتي انحصرت في الفلسفة وعلم الكلام والتصوف ، وألممت بها الماما سريعا لعلي أدرك مدى تأثيرها في الشعر العربي القديم ، وقد ذكرت المنابع الاجنبية التي استقت منها ، من فارسية ويونانية ورومانية ، ويهودية وسريانية ومسيحيّة . ثم تناولت اشهر الدواوين الشعرية العربية القديمة ، باحثة فيها عن القيم الروحية ، وكيف تطور فهم العرب القدامى لها ،فرأينا ان الادب العربي القديم عامة لم يعن بشأن المجردات ، وقلما التفت اليها متأملا ، متعمقا ، وكان الشعر في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وما بعده على الاطلاق ،واقعيا ، فطريا ،أقرب الى أدب الحس والمادة منه الى أدب الروح ،فيه ما يملاء العين والاذن والفم ، وقد تقرأ ابياتا عابرة نتيجة لاختبارات شخصيّة ، تدخل في باب الحكم والامثال .. ولم تؤثر الفلسفة في الشعر العربي القديم تأثيرا فعّالا ،بل ظلت بعيدة عنه الّا في فئة قليلة جدا ، أما القيم الروحيّة التي طرقها الشعر العربي القديم فهي الله والحب والكمال والجمال ، والحقيقة والدين والفضيلة ، والحرية والعقل والروح والنفس ، والسعادة ،والموت والمعاد والخلود ، هذه القيم الروحيّة قد وجدت في الادب العربي القديم ،غير ان النظرة اليها كانت نظرة مادّية ،شكلية ، تظهر في فعال البشر ، وقد ذكرتها بالترتيب التاريخيّ ، وجاريت تطوّرها والنظر اليها ، فوجدت ان الدواوين العربية القديمة عامة لا تهتم بالتأمل فيها كموضوع قائم بذاته ،بل تذكرها عرضا كما تجيء ببيت او ببيتين ، وقد ذكرت بعض الابيات ، مستشهدة بها ، ووقفت عند الفئة القليلة التي جرّدت هذه القيم ونظرت اليها بنظرة روحية الهية ، وكان لأبي العلاء المعرّى حظ منها — ولو كان قليلا — وكذلك للفلاسفة الشعراء ، أشهرهم ابن سينا ،والشعراء الصوفيين ، أشهرهم رابعة العدوية، وابن عربي وابن الفارض ، وهؤلاء قلة بالنسبة الى المئات الذين ساهموا في الأدب . وختمت هذا الفصل بالبحث في الاسباب التي اضعفت أدب الروح عند العرب القدامى ،وهي تنحصر فيما يلي :

١ — العقلية العربيّة
٢ — الروح الاسلامية ورجال الدين
٣ — فقدان الحرية
٤ — عدم الايمان بقيمة الانسان
٥ — ضعف النقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أما الفصلان الاخيران فخصصتهما في الشعر العربي الحديث ، فكان الفصل الرابع توطئة تاريخية وسياسيّة واجتماعية ، شمل عصرى الانحطاط والانبعاث ، والقرنين التاسع عشر والعشرين ، وذكرت العوامل التي أثرت في الشعر العربي الحديث وايقظته ،وهي :

١ ـ الثورة الفرنسية وما حملتاليه من مبادئ انسانية سامية .
٢ ـ الثقافة الاوربية وما حملت اليه من أدب وفلسفة وعلم .

ثم ذكرت اهم مظاهر النهضة الفكرية العربية الحديثة التي ظهرت في الوعي الفردى واليقظة الروحية في الانسان ، والتي أدّت الى مشادة عنيفة بين التجديد والتقليد ، أو بين الجديد والقديم ، وبعبارة شاملة بين العلم والدين ، ثم ذكرت الاتجاهات الادبية الجديدة في الشعر العربي الحديث ، وهي :

١ ـ الاهتمام بالشؤون الشعبية .
٢ ـ احياء الروح القومية بعد اندثارها قرونا عديدة .
٣ ـ الشغف بالحياة الطبيعية .
٤ ـ التجديد في الاساليب الفنّية .
٥ ـ التأمل في المواضيع المعنوية المجردة .

وهذا الاتجاه الاخير هو ما نعنيه بأدب الروح الذى يعالج القيم الروحية ، وقد اصبحت اتجاها جديدا معلوما ، ومعترفا به ، بعد ان كان مجهولا في الادب العربي القديم ، لا يؤبه له ، ولا يذكر في مواضيعه واغراضه العديدة .

وأما الفصل الاخير فقد خصصته بالقيم الروحية في شعر القرن العشرين ، وقدّمت فيه عرضا شاملا لها ، باحثقعنها في المجلات والدواوين الحديثة ، حيث اصبحت القيمة الروحية الواحدة تعالج في قصيدة واحدة ، بعد أن كانت القصيدة العربية القديمة متعددة المواضيع والاغراض ، وأما القيم الروحية التي عرفها الادب الحديث فهي : الله والروح والنفس ، والحياة والوجود والجمال والكمال ، والفن ، والحقيقة ، والانسانية ، والوطنية ، والسعادة ، والحب والحرية والدين والموت والمعاد والخلود ، وقد عرف اكثرها الادب العربي القديم ولكنه لم يعرفها كما عرفها الادب الحديث ، وكانت عند شعراء العرب القدامى عامة محدودة ، لا تتجاوز المادة والشكل والفعل ، أما عند بعض الشعراء العرب المحدثين في القرن العشرين فهي مطلقة ، تسمو عن المادة ، وترفع معها النفوس الوضيعة لتسبح في الفضاء حرة طليقة ، حيث لا حدود ولا سدود ... ورأينا ان الادب العربي المحدث ـ وان كان على قلة ـ يميل الى الايمان بهذه القيم الروحية التي تجعل من الادب العربي ادبا عالميا .. ولكنني أقول ان الادب الروحي هذا لم يزل جديدا في ادبنا الحديث عامة ، ولم يزل في طريق الايمان . أما الذين اشتهروا بالايمان بهذه القيم الروحية والتغني بها فهم حفنة من الافراد من مختلف البلدان العربية ،ومن الشعراء الذين عنوا بمشاكل النفس والروح في مصر عبد الرحمان شكرى ، واحمد زكي ابو شادى ، وفي العراق الزهاوى والرصافي ، وفي تونس ابو القاسم الشابي ، وأما في سوريا ولبنان فنجد ان الشعراء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المهجريين ساهموا جملة مساهمة فعّالة في هذا الاتجاه الروحي الجديد ، يجيء في طليعتهم جبران ونعيمة ، ساعدهم على ذلك عوامل كثيرة ، اهمها الحرية الفكرية التي عاشوا في ظلالها ، والاحتكاك مباشرة بالحضارة الغربية ، واستعدادهم لهضم الثقافة الاوربية والايمان بهـــا .

وقـــد ختمت رسالتي متحدثة عن العوامل التي تقوّى القيم الروحية في الادب العربي الحديث ، حتى اذا تنبّه لها الأدباء العرب كسبنا لأدبنا العربي عالمية وخلودا . ومن هذه العـــوامل :

١ ـ الثقافة الصحيحة التي تبدأ بالاطلاع على الثقافة العربية القديمة ، وبالتالي بالاطلاع على الثقافة الاوربية العميقـة .

٢ ـ الحرية التي تبدأ بالتحرّر الشخصيّ والفكريّ ، وبالتالي بالتحرّر مـــن الماضي وتقديســـه .

٣ ـ النقد الصحيح الذي يقوّي الأدب وينسقه وينظمه ، ويخلصه من التشـــويش والاضطراب والقلـــق .

ثريا ملحس

This file was downloaded from QuranicThought.com